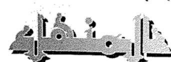


المنهل
AL MANHAL
مجلة للآداب والعلوم والثقافة
العدد (٦٠٢) المجلد (٦٨) العام [٧٢] جماد الآخرة ورجب ١٤٢٧ هـ - يوليو وأغسطس ٢٠٠٦م
مسابقة
المنهل الثقافية
قسيمة المسابقة داخل العدد
المنهل (٧٢ عاما)
حاضر يحفل بالريادة
مدينة
سلطان بن عبدالعزيز
للخدمات الإنسانية
مواقف إنسانية
وأعمال خيرية
القيم فى الشعر العربي القديم.
وسائل اعلامنا .. تغتال أبناءنا!!
الإبل .. خصائص ومميزات.

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة

عن دار المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

مالكها ورأس تحريرها

المغفور له

نبيه عبدالقدوس الأنصاري

من العام ١٤٠٣ هـ/ حتى ١٤٢٤ هـ

غلاف العدد



المركز الرئيسي

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥

رمز بريدي ٢١٤٦١

برقيا: المنهل

فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣

تليفون: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥

٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧

الرياض: ص.ب ٢٩٠

تليفون: ٤٥٤٢٤٣٢

مما قل



كشاف المنهل.. حلم المؤسس

المجلات الأدبية والعلمية ذات المستوى الرصين، هى في حقيقة أمرها «موسوعات متحركة جامعة».. ولذلك كانت أحوج ما تكون إلى أن توضع لها فهارس كشافة ترفع الغطاء عن محتوياتها، وتجعل مضامينها المنوعة مرتبة وعلى طرف التمام للقراء وللباحثين على السواء.

من أجل ذلك رأينا عناية العلماء والأدباء بوضع هذه الفهارس الكشافة للمجلات ذات المستوى الرفيع، والتى هى «مراجع» خالدة في شتى العلوم والفنون والآداب، ومن أجل ذلك كانت تلك العناية تلاقى التقدير والثناء والحفاوة، لأنها تميط اللثام عن مكنونات قيمة محتجبة وراء أستار الألوف والمئات من الصفحات، والعشرات والمئات من الاعداد.

ومن المجلات القيمة التى أُطلعنا على «فهرستها العامة» التى وضعها لها علماء أثبات: «مجلة المقتطف المصرية» التى تلقب بشيخ - أو بشيخة - المجلات العربية الحديثة.. فقد وضع لها علماء فهرسة عامة فتحت أبواب كل ما تحويه من موضوعات وقصائد وكتّاب وشعراء.. وعلماء وأدباء..

ومجلة المنهل هى شيخة المجلات السعودية غير مدافعة، فلها ما يربو عن أربعين عاما وهى تصدر وفيها الوفير والعديد من ألوان تطور المملكة وتاريخها منذ تأسيسها حتى الآن وفيها آداب جمة، وأسهم فيها جل كتّاب المملكة وعلمائها وشعرائها ومفكريها، وكثير وفير من كتّاب العالم العربى والاسلامى وعلمائه وأدبائه وشعرائه.

وعلى طراز تلك المجلات التى حظيت بفهارس عامة مطبوعة كانت الآمال المعسولة، والأحلام اللذيذة، تداعب مخيلتي، وتحولت أوتار قريحتى وغرامى بأن يكون للمنهل أيضا فهرسة عامة - وبخاصة أنه قد بلغ سن الأربعين..

** المنهل:

والآن بتوفيق الله تعالى تحقق حلم المؤسس.. وسوف يكون كشاف المنهل (١٣٥٥هـ - ١٩٣٧م / ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) متاحاً للجميع في (CD) اسطوانة مدمجة.. في بداية العام المقبل بإذن الله تعالى..

«عبدالقدوس الأنصاري»

(المجلد ٣٦، العدد/٩، رمضان ١٣٩٥هـ)

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - الإمارات ٨ دراهم - البحرين دينار واحد - سلطنة عُمان ٦٠٠ بيسة - قطر ٨ ريالات - الكويت ٦٠٠ فلس - الأردن ٥٠٠ فلس تونس ٨٠٠ مليم - الجزائر ٨٠ ديناراً - سوريا ٤٥ ليرة - السودان ١٥٠ ديناراً لبنان ١٠٠ ليرة - المغرب ٩ دراهم - مصر ٣٠٠ قرش - اليمن ١٠٠ ريال بريطانيا جنيه استرليني - فرنسا ١٠ فرنكات - امريكا ٣ دولارات

الإنســـان

□ .. الإنســـان، هو كل حـركـة الحـيـاة: بناء وإعـمـاراً وتنمية..

وهو كل حركة الحياة: أخلاقاً وسلوكا وتحضرا..

وهو كل حركة الحياة : في أصغر دوائرها (الأسرة) وحتى السقف الأعلى في اتساعها (الوطن) ـ هذا داخلياً ـ وينسحب طبعاً وكلا على اندياحاتها المتعاظمة في الأمة، ثم الأمم.

ولما كان للانسان هذا الدور الخطير المتنامي في عطاءاته.

كان الاهتمام به: عقلا (علماً وفكراً وثقافة ومعرفة)..

وكان الاهتمام به : قلباً (إيماناً وعقيدة ـ وجداناً وعاطفة).

وكان الاهتمام به : (صحة وعافية .. وأمناً وأماناً).

وناتج كل هذه الاهتـمـامـات في مـجـمـوعـهـا الكلي يكون الانسان (السويّ)..

والانسان (السويّ) ـ بطبيعة الحال ـ يعطى ناتجاً (سوياً) لـ (نفسه ـ وأسرته ـ ومجتمعه ـ ووطنه) بل لأمته جمعاء.

ولما كانت المملكة العربية السعودية، قد أدركت من قبل أن الانسان هو القيمة الحقيقية للوطن، فقد أولته كل اهتمامها..

ومن هذا المنطلق كانت كل خطط التنمية في كل مجالاتها قـد وُجِّهت من أجل هـذا الشـعب (أفـراداً وجـمـاعـات).. في سياقات طموحة، ليست بنت وقتها ولحظتها، بل في خطة طموحة بعيدة المدى.. عميقة المضمون.. واصلة نافذة.

وهكذا يُصْنع الانسان معافَىً.. لكل الأمة.. ■

المحـــرر

المشرف العام
أ.د/ عبدالرحمن الطيب الأنصاري

رئيس التحرير
المدير العام
زهير نبيه عبدالقدوس الأنصاري

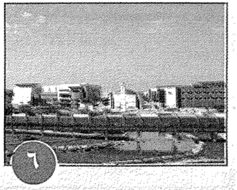
عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

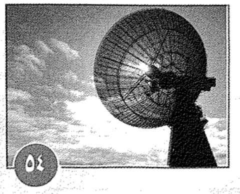
هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

اشـــارة

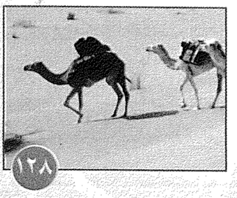
تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

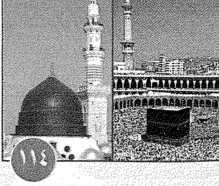
عنوان الموقع :
WWW. al-manhalmagazine.com
البريد الإلكتروني :
E-mail : info@al-manhalmagazine.com





فقرات مستلة





الاشتراكات

جـدة ت: ٦٤٣٢١٢٤
قيمة الاشتراك السنوي
للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال٠
قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

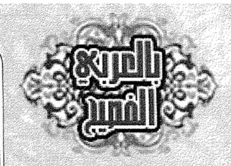
وكـلاء التوزيـع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ – الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ – شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات:
يراجع بشأنها
الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ـ جدة تليفون: ٦٣٩٦٠٦٠ ـ فاكس: ٦٣٩٤٠٩٥





... والبشائر تترى



زهير نبيه عبدالقدوس الأنصاري
رئيس التحرير

□ خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز ـ أيده الله سبحانه بتأييده، وأعزه بعزه ـ منذ أن كان وليّاً للعهد كان صاحب رؤية نافذه..

تميز خادم الحرمين الشريفين بثلاث خصال تمثل نقاط المرتكز للزعامة المتميزة: الصدق .. العزم .. البصيرة النافذه..

وكل واحدة من هذه المرتكزات الثلاث، لها ما يتبعها ويتولد عنها من مسوغات الأداء، وبواعث التنفيذ، ومقومات الحكم الراشد..

خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز ـ أيده الله سبحانه بتأييده ـ جاء إلى الحكم يعاضده ولي عهده الامين ويدعمه، وتحيط به محبة شعبه، صادق في محبته، ذلك لأن الملك نفسه أحبّ شعبه وأمته، فاحبوه.. ولأنه ظل يتحسَّس ويتلمس حاجاتهم ومتطلباتهم، بل كان قريباً منهم روحاً ونفساً، وقلباً وأملا.. بل جلس إليهم وجلسوا إليه.. واستمع إليهم واستمعوا إليه.. لكل هذا، كان الأقرب الى قلوبهم ونفوسهم..

وتلك من مميزات وسمات وملامح القائد الراشد...

(الصدق .. والعزم .. والبصيرة النافذة).. والرائد لا يكذب أهله، كما يقولون..

خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ـ أيده الله جلّت قدرته بتأييده ـ منذ أن تولى مسئولية هذا الكيان الكبير كان همه ومبتغاه ان يضع هذا الكيان الكبير، المملكة العربية السعودية في مكانها الصحيح اللائق بها: تنمية وتطوراً وازدهاراً وحضارة.

وكل هذه تمثل نسيجاً متكاملا تتشابك وتلتقى لُحمتُهُ بسداه، لتنتج كلها منظومة حضارية راقية زاهية.. ومصداقية هذا التوجه هو

ما نراه واقعاً الآن بين أعيننا يسعد به كل أبناء المملكة..

مع اشراقة كل يوم تشرق معها بشائر الخير، رخاء وإنماء..

(الصندوق الاستثماري للضعفاء)..
(الاسكان الشعبى للمواطنين المحتاجين)..
(عناية خاصة باصحاب الأحتياجات الخاصة)..
(جامعات وكليات وأكاديميات جديدة) تفتح في أنحاء ربوع هذا الوطن الغالى.. (تخفيض أسعار المحروقات) وما يتبعها من تخفيض أعباء المعيشة على المواطن.. (مستشفيات عامة ومتخصصة) تلبى حاجة المواطن في كل أنحاء الوطن.

وفي الحياة الاقتصادية للأمة يؤلمه جداً أن يتضرر أناس من حركة الاموال المتداولة في الاسهم وغيرها.. لهذا نجده يعالج الأمر بجدية وحكمة لصالح الأمة.

وقائمة البشائر تطول.. بل البشائر تترى..

وكل هذا أساسه ومبناه: (الصدق.. والعزم.. ونفاذ البصيرة)..

وما ينبغي التوقف عنده هنا من (نفاذ البصيرة) ما أشار إليه خادم الحرمين الشريفين - أيده الله جلّت قدرته بتأييده - ما أشار إليه بقوله: إنه ينبغى العمل لكل الاجيال: الحاضرة والآتية.. كل الاجيال تأخذ نصيبها بكل العدل.. فلا يكون كل الرفاه للجيل الحاضر، والآتي لا شيء له.. بل يكون الرفاه لكل الاجيال: حاضرها ومستقبلها بالعدل والمساواة وبما يرضى الله سبحانه.

إنها (نفاذ البصيرة).. على القائد المتميز أن يمد بصره وبصيرته على امتداد (قرن) من الزمن.. وكم أضاعت الرؤية (تحت الارجل) شعوباً.. ويُحْمَدُ لخادم الحرمين الشريفين هذه النظرة المستقبلية الممتدة الراقية.. وهي دليل على تفتح الذهن، وصدق النية ونفاذ البصيرة.

هذا على مستوى الوضع الداخلي، أما على المستوى القومي والإسلامي، فإن المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين ومن سبقه، قدمت الكثير لأمتها العربية والاسلامية ولا تزال.. وهذا من منطلق توجه مسئوليات المملكة نحو إخوتها في الدول العربية والاسلامية.. وظلت المملكة ملتزمة أداء وعملا في انفاذ كل واجباتها في هذا الاطار بكل الحب والصدق.

بارك الله سبحانه في مليكنا.. وفي وليّ عهده الأمين، وكل النفر الكريم القائمين على إسعاد الوطن والمواطن ■


استطلاع مصور
مدينة
الامير سلطان
.. مواقف
إنسانية وأعمال
خيرية
مدينة سلط
8٨
7٧



مصطفى محمد مصطفى

دارة المنهل - جُدة

- يوجد ما يقرب من ٧٥٠٠٠٠ من ذوى الاحتياجات الخاصة في المملكة العربية السعودية وهم في حاجة ماسة لخدمة خاصة..
- تم الافتتاح رسمياً في ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٢م.
- تغطى منشآت المدينة مساحة تزيد على مليون متر مربع.
- مركز تاهيلى طبي على مستوى عالمى.
- مدينة سلطان صرح عالمي متميز في التأهل والتأهيل.
- هناك اكثر من ٦٠٠ مليون من ذوي الإحتياجات الخاصة حول العالم.

...ان بن عبد العزيز للخدمات الانسانية

الرؤيــــة :

صرح خيري رائد يساهم بشكل فـعـال ومـؤثر في خدمة المجتمع بمنظور إنساني وبما يليق باسم مـؤسـس وراعى هذا الصرح.

الرسالة :

مساعدة الناس ليساعدوا انفسهم..



الأمير سلطان ولي العهد في سطور

ولد صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام يوم الخميس ١٣ رجب ١٣٤٨هـ الموافق ٥ يناير ١٩٣٠م في مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية.

نشأ سمو ولي العهد وترعرع في كنف والده الملك عبد العزيز رحمه الله ولقي عناية والده كغيره من أفراد أسرة الملك عبد العزيز فتربى تربية صالحة، فكان لهذه التنشئة الدينية أثرها الكبير في أخلاقه وتصرفاته وبالتالي في حياته العامة وعلاقته بالناس وإدارته وتسييره أمور الوظائف العديدة التى أسندت إليه.

وقد توسعت معارفه بمطالعاته الواسعة في شتى العلوم وبرحلاته التى قام بها لمختلف أنحاء العالم، حيث كان عضواً في معظم الوفود السعودية الرسمية التى رأسها جلالة الملك فيصل رحمه الله لحضور مؤتمرات القمة العربية والإسلامية وجلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة.

كما شارك في معظم الزيارات الرسمية التى كان يقوم بها جلالته كما رأس سموه وفوداً رسمية في زيارات خارجية مختلفة.

أهم أعماله ومنجزاته :

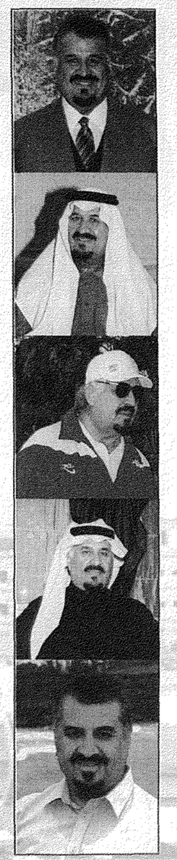
أولى الملك عبد العزيز آل سعود ابنه سلطان ثقته حيث عينه أميراً علي الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية في الأول من ربيع الآخر عام ١٣٦٦هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٩٤٧م وأسهم الأمير سلطان مع والده في إقامة نظام إداري متين مبني على العدالة الاجتماعية وتطبيق شريعة الإسلام.



وعين الأمير سلطان عضواً بمجلس الوزراء بعد أن تم تعيينه وزيراً للزراعة في يوم الخميس ١٨ ديسمبر ١٩٥٣م عند تشكيل أول مجلس للوزراء بالمملكة العربية السعودية، وقد أسهم في عملية توطين البدو ومساعدتهم في إقامة مزارع حديثة وعين سموه وزيراً للمواصلات يوم السبت ٢٠ ربيع الأول عام ١٣٧٥هـ الموافق ٥ نوفمبر ١٩٥٥م، حيث أسهم في إدخال شبكات المواصلات الحديثة البرية والاتصالات السلكية واللاسلكية، وعين سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز وزيراً للدفاع والطيران في يوم السبت ٣ جمادى الآخرة عام ١٣٨٢هـ الموافق ٢١ اكتوبر ١٩٦٢م ولا يزال على رأس عمله.

وكان لسموه الأثر الكبير في تطوير القوات المسلحة بكامل فروعها البرية والجوية والبحرية وقوات الدفاع الجوي، حيث عمل على إيجاد المدن العسكرية الكبيرة المنتشرة في جميع مناطق المملكة.

وصدر الأمر الملكي السامي بتعيين سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء في يوم الأحد ٢١ شعبان عام ١٤٠٢هـ الموافق ١٣ يونيو ١٩٨٢م، ثم وليا



للعهد في يوم الاربعاء الموافق ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ.

المناصب التى تولاها سمو ولي العهد وزياراته :

يترأس سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز عدداً من اللجان :

١ ـ اللجنة العليا لسياسة التعليم.

٢ ـ واللجنة العليا للإصلاح الإداري ومجلس القوى العاملة.

٣ ـ الهيئة العليا للدعوة الإسلامية والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية.

٤ ـ مجلس إدارة الخطوط الجوية العربية السعودية.

٥ ـ الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها واللجنة الوزارية للبيئة.

٦ ـ مجلس إدارة المؤسسة العامة للصناعات الحربية واللجنة العليا للتوازن الاقتصادى.

٧ ـ مجلس إدارة الموسوعة العربية العالمية.

٨ ـ مجلس ادارة الهيئة العليا للسياحة.

وينفق سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز على مشروع الموسوعة العربية العالمية من أمواله الخاصة خدمة للعالمين العربي والإسلامي، يضاف إلى ذلك أن سموه يتبوأ منصب الرئيس الأعلى لمؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية ورئيس مجلس أمانتها.

كما عين سموه نائباً لرئيس مجلس العائلة ونائباً لرئيس الهيئة العليا للاستثمار ونائباً لرئيس المجلس الاقتصادي الأعلى.

وزار سمو ولي العهد دولا عربية وعالمية وكان دائماً ملازماً لاخيه جلال الملك فيصل رحمه الله تعالى في جميع رحلاته الخاصة والدولية وحضر العديد من المؤتمرات

والاجتماعات الإقليمية والدولية ورأس وفد المملكة في اجتماع الأمم المتحدة عام ١٤٠٦هـ الموافق ١٩٨٥م وألقى خطاباً مهماً بهذه المناسبة ورأس وفد المملكة الذى شارك في احتفال الأمم المتحدة بعامها الخمسين في أكتوبر عام ١٩٩٥م.

أعماله الخيرية :

أولا : مؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية.. مؤسسة غير ربحية أنشأها وينفق عليها سموه منذ عام ١٩٩٥م وللمؤسسة عدد من الاهداف الإنسانية والاجتماعية.. ومن مشاريعها ونشاطاتها :

١ ـ مدينة سلطان للخدمات الإنسانية.

٢ ـ مركز سلطان للاتصالات الطبية والتعليمية (مديونت).

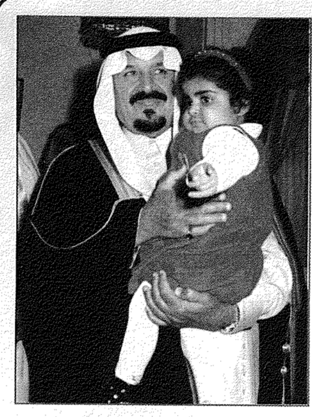
٣ ـ مركز سلطان للعلوم والتقنية.

٤ ـ مشاريع مؤسسة سلطان الخيرية للإسكان.

٥ ـ برامج سلطان للتربية الخاصة بجامعة الخليج العربية بمملكة البحرين.

٦ ـ مركز الأمير سلطان للنطق والسمع بمملكة البحرين.

٧ ـ مركز الملك عبد العزيز لدراسات العلوم الإسلامية بجامعة بولونيا بإيطاليا.



٨ ـ برنامج الأمير سلطان للدراسات العربية والإسلامية بجامعة بيركلني كاليفورنيا بالولايات المتحدة الامريكية.

كما للمؤسسة العديد من البرامج والأعمال الخيرية والبحوث العلمية التى قامت بها المؤسسة أو دعمتها.

ثانيا : لجنة الأمير سلطان بن عبد العزيز الخاصة بالإغاثة..

تقوم اللجنة بتسيير القوافل الإغاثية وتقيم المخيمات والقوافل الطبية العامة لمكافحة الأمراض الشائعة كالملاريا والعمى، وأقامت العديد من المشاريع التنموية والاجتماعية والصحية.



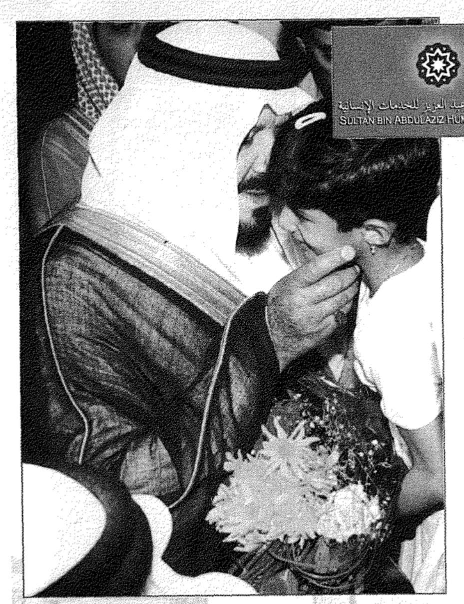
سلطان ابن عبدالعزيز رمز الإنسانية

لكل زمان رجاله ولكل مكان رجال يقومون بأمر الأمة آخذين على كاهلهم حل مشاكلهم.. كثيرون هم الذين حفروا في ذاكرة أوطانهم آثاراً لا تمحوها عوامل الزمان.. انجازات سموه وعطاءاته يصعب تعدادها .. والأمير سلطان ساهم في بناء هذا التقدم وهذه النهضة العملاقة في وطننا الغالي في شتى القطاعات.

فليسجل له التاريخ جدارته وكفاءته وقيادته لما يتمتع به من مواهب وقدرات ومعاملات ومواقف انسانية فريدة وعطاء وإحسان وكرم حتى تميز تميزاً شخصياً ، نعم انه سلطان بن عبد العزيز.. فأعماله الخيرية ومواقفه الانسانية، وعلاقاته الدبلوماسية، شهد له بها الداني والقاصي.

الحديث عن سلطان الانسان والاحسان يعجز القلم عن الوصف واللسان عن القول.. بل تحتاج اعماله ومواقفه الى موسوعة.

فالحديث عن الأمير سلطان يُعَدّ رمزاً من رموز العمل الانساني والتفرد الريادي، واعماله الخيرية وانجازاته وعطاءاته محلياً وعربيا وعالميا تسجل له كل ذلك بكل التقدير والاكبار.. فليسطر له التاريخ بأحرف من نور هذا العطاء الانساني الرفيع.



الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.. وبعد

إن العمل الخيري والإنساني الذي نتشرف بالقيام به لوجه الله تعالى، يتطلب بذل الجهود الصادقة والمخلصة وتسخير كل الإمكانيات ليؤدي هذا العمل النتائج الإنسانية المرجوة منه، والذي تتطلع إليه كافة الشرائح المستفيدة من هذا العمل.

إنني وأبنائي أعضاء مجلس الأمناء ومنسوبي المؤسسة وفروعها، نحتسب إلى المولى عز وجل كل جهد نقوم به، ومهما بذلنا من جهد فإننا نتطلع إلى المزيد تجاه المجتمع بكافة شرائحه، حتى تؤدي هذه المؤسسة رسالتها السامية.

كما أنني أود التأكيد هنا أن المؤسسة ما كانت لتقوم بكل أنشطتها لولا الدعم اللامحدود الذي تلقاه من مولاي خادم الحرمين الشريفين، وفقه الله سبحانه لما يحبه ويرضاه.. مع صادق الدعوات أن يوفقنا المولى عز وجل جميعاً لما يحبه ويرضاه والله الموفق.

سلطان بن عبد العزيز آل سعود

رئيس مجلس الأمناء



الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.. وبعد..

بعون الله وتوفيقه، أكملت مؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية السنة العاشرة وهي تعتز بتقديم خدماتها الإنسانية في ظل دعم ورعاية لا محدودين من مؤسس هذا الصرح سيدي صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز رئيس مجلس الأمناء.

وتخطو المؤسسة وفروعها بكل عزم واجتهاد لتحقيق أهدافها السامية، ابتغاء مرضاة الله سبحانه ثم لتحقيق تطلعات سمو سيدي رئيس مجلس الأمناء الذي يؤكد حفظه الله أهمية أن نستشعر المسئولية الكبيرة الملقاة على عاتق منسوبي المؤسسة وفروعها لتقديم كل جهد صادق ومخلص للقيام بواجباتنا ومسئولياتنا وصولاً إلى تحقيق الخدمات المتميزة والمأمولة من هذا الصرح الرائد.

سائلين المولى عز وجل أن يجزي راعي وداعم هذه المؤسسة وفروعها كل خير وأن يوفقنا سبحانه وتعالى جميعاً لأداء الواجب.



فيصل بن سلطان بن عبد العزيز
أمين عام المؤسسة

أصحاب السمو الملكي أعضاء مجلس الأمناء

- الأمير خالد بن سلطان بن عبد العزيز آل سعود - نائب رئيس مجلس الامناء.
- الأمير فهد بن سلطان بن عبد العزيز آل سعود .
- الأمير بندر بن سلطان بن عبد العزيز آل سعود.
- الأمير فيصل بن سلطان بن عبد العزيز آل سعود -.
- الأمير تركي بن سلطان بن عبد العزيز آل سعود .
- الأمير سلمان بن سلطان بن عبد العزيز آل سعود .
- الأمير نايف بن سلطان بن عبد العزيز آل سعود .
- الأمير بدر بن سلطان بن عبد العزيز آل سعود .
- الأمير سعود بن سلطان بن عبد العزيز آل سعود .
- الأمير أحمد بن سلطان بن عبد العزيز آل سعود .
- الأمير نواف بن سلطان بن عبد العزيز آل سعود .
- الأمير منصور بن سلطان بن عبد العزيز آل سعود .








الأمير خالد بن سلطان — الأمير فهد بن سلطان — الأمير بندر بن سلطان





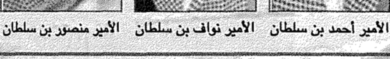
الأمير فيصل بن سلطان — الأمير تركي بن سلطان — الأمير سلمان بن سلطان



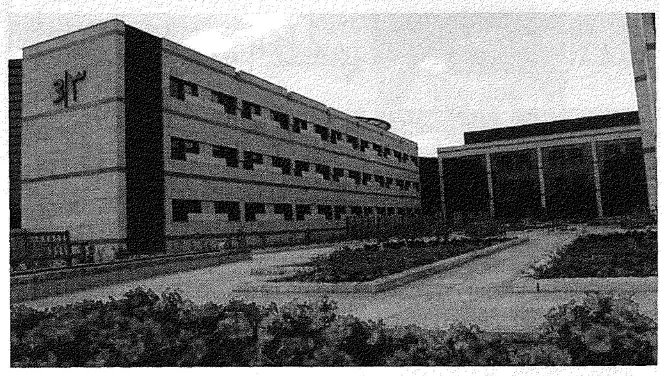



الأمير نايف بن سلطان — الأمير بدر بن سلطان — الأمير سعود بن سلطان





الأمير أحمد بن سلطان — الأمير نواف بن سلطان — الأمير منصور بن سلطان



مدينة سلطان بن عبدالعزيز للخدمات الإنسانية

نبذه تعريفية :

مدينة سلطان بن عبد العزيز للخدمات الإنسانية هي إحدى مشروعات مؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية، كما تعتبر اكبر صرح طبي في تقديم جميع الخدمات المتعلقة بالتأهيل الطبي في منطقة الشرق الأوسط.

وهي مركز تأهيلي طبي يشتمل على ٤٠٠ سرير، وافتتحت المدينة رسميا في ٣٠ اكتوبر ٢٠٠٢م، حيث تقدم الرعاية المطلوبة لكل المرضى، المنومين وغير المنومين.

تقدم المدينة للمرضى والمراجعين أفضل مستوى من الرعاية الطبية من خلال أطباء من ذوي الكفاءة العالية، والمعالجين الفيزيائيين، والمرضين، والهيئة الطبية المساعدة.

تغطي منشآت المدينة مساحة تزيد على ١٫٢٠٠٫٠٠٠ مترمربع، وتقع في منطقة بنبان شمال مدينة الرياض.. وتقدم المدينة الخدمات العلاجية، والمساندة، وتقدم برامج تعليمية وعلاجية مركزة ومكثفة لذوي الاحتياجات الخاصة.

وانطلاقا من رؤية المؤسسة، فقد وضعت المدينة هدفا يقوم على أن تكون مركزا للتميز العالمي في مجال التأهيل. من خلال الامكانيات البشرية والتقنية ذات الكفاءة والبرامج المصممة خصيصا لاعادة المريض لحالته الطبيعية والاعتماد على نفسه ودمجه في المجتمع، وذلك من منطلق رسالة المدينة التى هي «مساعدة الناس ليساعدوا أنفسهم».

الرؤيـــة :

أنشئت هذه المدينة العملاقة لتكون صرحاً عالمياً متميزاً في التأهيل، وأن تساهم وتقدم المستويات العالمية من الرعاية الطبية الدولية في المملكة العربية السعودية.

الرسالة :

«مساعدة الناس ليساعدوا أنفسهم».

مرافق المدينة :

- مركز التأهيل الطبي.
- مركز النقاهة ورعاية كبار السن.
- مركز تنمية الطفل.
- مبنى العيادات الخارجية.
- مبنى الادارة.
- صالة النشاط الرياضي.
- قاعة المؤتمرات.
- الاسـكان .

البرامج التأهيلية :

تأهيل المرضى المنومين :

قامت مدينة سلطان بن عبد العزيز للخدمات الإنسانية بتطوير برامج التأهيل متعددة الاختصاصات، مع الأخذ في الاعتبار الحاجات الخاصة للمرضى.

وتشمل برامجها الرئيسية العلاجية والتأهيلية التالي:

١ـ برنامج تأهيل اصابات العمود الفقري :

يحتوي هذا البرنامج على رعاية تأهيلية مستمرة للأشخاص المصابين بأنواع مختلفة من الشلل نتيجة لإصابة أو لمرض في الحبل الشوكي، ويركز البرنامج على استعادة أكبر نسبة من القدرات الحركية وذلك أثناء تدريب وتعليم المصاب وأسرته للتأقلم مع القدرات التى تساعد على التعايش مع التغيرات الحياتية التى نتجت عن الإصابة.

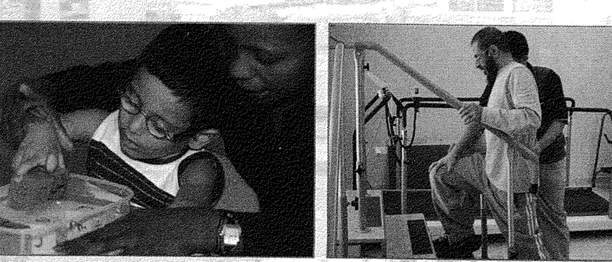
وتوضع خطة تدخل طبي وفيزيائي مناسبة لكل مريض حسب احتياجاته.

٢ـ برنامج تأهيل الجلطات الدماغية :

يعمل هذا البرنامج على استعادة القدرات التعليمية والنشاطات الحركية للتعجيل في الشفاء من السكتات الدماغية (بإذن الله)، ويركز البرنامج على العلاج للتقليل أو الحد من الإعاقة المرتبطة بالإصابة بالسكتة الدماغية بالنسبة للحياة البيئية، ويقدم الفريق المختص بالبرنامج أفضل الخدمات المكنة لمساعدة المصاب على استعادة قدراته اليومية والحركية وعلى العناية بنفسه، كما أن البرنامج يؤمن برنامجاً آخر متخصصاً لأولئك الذين لديهم صعوبة في الأكل والبلع.

٣ـ برنامج تأهيل الإصابات الدماغية :

يساعد برنامج إصابات المخ على إعادة أو على



التعويض عن أكثر نسبة من القدرات الممكنة للشخص المصاب حتى يتمكن من أن يكون فعّالا في مجتمعه وبيئته بشكل آمن، ويساعد فريق العمل بالبرنامج من خلال التقييم الشخصي للحالة على رسم خطة علاجية وتأهيلية متكاملة تغطي كافة جوانب إصابة المريض وتوضح الأهداف المتوقعة بالنسبة لشفائه.

تعتبر الخطة التحليلية التى يعدها فريق البرنامج هي مفتاح تحديد العلاج ومدة الشفاء المتوقعة (بإذن الله)، ومن أهم عناصر البرنامج ، العلاج الفيزيائي المنسق إضافة إلى تأهيل المصاب وأسرته للتعامل مع الإصابة للحصول على أقصى تجاوب مع العلاج فيزيائياً ونفسياً.

٤ـ برنامج تأهيل الاطفال والتدخل المبكر :

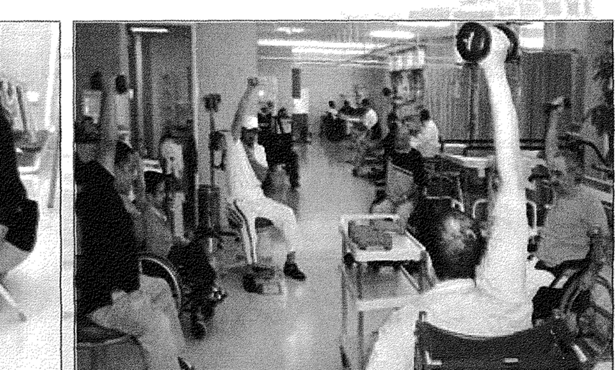
عند وضع الاحتياجات الخاصة بالنسبة للأطفال في هذه البلاد في الاعتبار، يركز البرنامج على تأمين خدمات تأهيلية شاملة للأطفال ذوي الإعاقات المختلفة، ويشتمل البرنامج على العلاج الطبيعي والتعليم، والخدمات الاجتماعية والنشاطات الترفيهية، كما يهدف البرنامج إلى توعية وتمكين الوالدين من أن يكونا مشاركين في البرنامج بشكل مباشر.

٥ـ برنامج مبتوري الاطراف :

إن من أكثر التجارب إيلاماً في حياة الإنسان، فقد عضو من الأعضاء، ومن الممكن أن يساهم التأهيل الجيد والمطور في استعادة الإنسان لحياته الطبيعية قدر الإمكان، ويقدم البرنامج تأهيلا وعلاجاً متكاملين مباشرة بعد عملية البتر وحتى تركيب العضو الصناعي وعودة المصاب إلى منزله وبيئته، ويحتوي البرنامج على أحدث التقنيات العالمية التى تساعد على الوصول الى أفضل النتائج بالنسبة للتأقلم في البيئة اليومية.

٦ـ برنامج تأهيل إعاقات المشي :

نلاحظ إعاقات المشي بين الأفراد الذين أصيبوا بالسكتة الدماغية، أو جراحة في العمود الفقري، أو





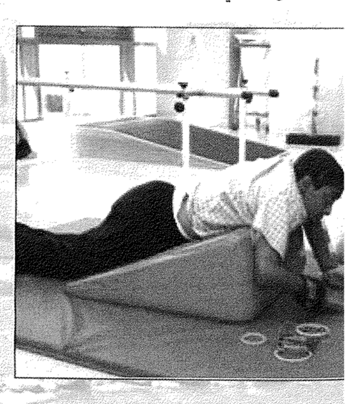
تصلب شديد أو داء باركنسون، وفي الوقت الحاضر تتوفر عدة اتجاهات علاجية لمواجهة إعاقات المشي، وتمثل مستوى متقدماً للتأهيل العصبي المقدم من خلال مدينة سلطان بن عبد العزيز للخدمات الإنسانية.

٧ - برنامج التأهيل الطبي الجراحي :

يقوم الفريق الجراحي الطبي بعمليات طبية تأهيلية وتعليمية للمرضى المصابين بجروح وتشوهات عظمية والخلل الوظيفي جراء الرقود لفترات طويلة أو زراعة الأعضاء أو جراحات الظهر المتتالية.

٨ - برنامج التأهيل (العلاجي) الدوائي وممارسة رياضة الكراسي الطبية :

يقوم الطبيب المعالج بتقويم حالة المريض للتعرف على قدرات المريض في الأنشطة الاجتماعية، الاستجمامية، وفي وقت الفراغ لمعاونته في هذا البرنامج التأهيلي العلاجي.

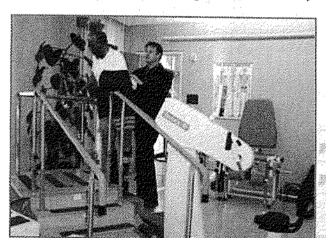


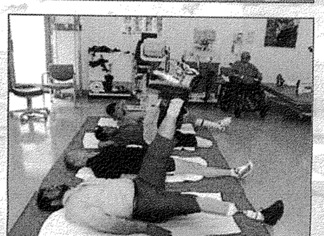
٩ـ برنامج الإحالة لاستكمال العلاج المنزلي :

يتغلب هذا البرنامج على فجوة بين البنية المتقدمة والخدمات المتكاملة التى تقدم لمرضى التنويم الداخلي في حال خروج المريض لاتمام العلاج بالمنزل على أساس الخدمات التى تقدم لمرضى العيادات الخارجية، بعد الانتهاء من العلاج والتمارين اليومية، يعود المريض الى الشقة الموجودة في المدينة التى أعدت خاصة كي يستطيع المريض أن يطبق جميع ما تعلمه في بيئة تشبه بيئته الطبيعية وذلك كي يتحكم في متابعة حياته دون الحاجة لأى مساعدة.

١٠ـ برنامج التأهيل المهني :

يوفر برنامج التأهيل المهني خدمات تقويم وتقييم الإعاقة للمريض على مستوى المدرسة أو الوظيفة، ومعاونة المريض ليعود لنشاطه الإنتاجي في المنزل أو العمل أو المدرسة.





تأهيل مرضى العيادات الخارجية :

تتمثل برامج وخدمات مرضى العيادات الخارجية فيما يلي :

- برنامج التأهيل المائى.
- برنامج علاج إعاقة المشي.
- خدمات العلاج الوظيفي.
- خدمات العلاج الطبي الطبيعي.
- برامج تأهيل الأعضاء البديلة وتقويم الاعوجاج.
- برنامج تأهيل لغة التخاطب وخدمات الباثولوجي (علم الأمراض ـ الأسباب ـ والعلاج).
- التأهيل العلاجي والبرنامج الرياضي للكراسي الطبية (الكراسي التى يستخدمها المعاقون حركيا).
- برنامج التأهيل المهني.

الرعاية الصحية المنزلية :

صمم هذا البرنامج على مستوى عال من الجودة بإشراف طاقم من المتخصصين والمؤهلين في مجال الرعاية الطبية المنزلية من أطباء وممرضين وممرضات، حيث يخدم تحديداً المرضى الذين تطول مدة إقامتهم ممن تتطلب حالتهم رعاية طبية وتأهيلية طويلة الأمد ويحتاجون رعاية مستمرة ومتابعة في بيئتهم وأجواء بيوتهم.

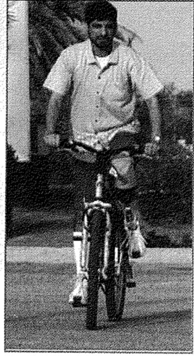
وتقدم خدمة «الرعاية الصحية المنزلية» كافة أنواع الرعاية التى يحتاجها المريض من تأهيل وتدريب على كيفية استغلال قدراته الذاتية للاعتماد على نفسه في المأكل والملبس وتدريبه على المشي باستخدام الأدوات المتوفرة.

كما تشمل الرعاية المنزلية متابعة جرعات المريض الدوائية وتأمينها له وتأمين الغذاء المتخصص لأولئك

الذين لديهم صعوبات في البلع، بالإضافة إلى مساعدة عائلة المريض في توفير جو مناسب للصعوبة أو الإعاقة التى يعاني منها المريض بتجهيز المنزل بما يتناسب مع حالته.

مركز تنمية الطفل :

يتابع الخدمات التأهيلية لأطفال العيادات الخارجية، مع التركيز على خدمات التدخل المبكر، هذا بالإضافة إلى اتاحة برامج تختص بالنصح والتدريب للآباء والمعلمين والأخصائيين، إضافة إلى العاملين الآخرين من ميادين ذات صلة بالأطفال، لتعزيز المعرفة العملية بالتأهيل والحاجة الى التدخل المبكر للأطفال من ذوي الحاجات الخاصة من الميلاد وحتى عمر ١٨ سنة.



- نادى التأهيل للطفولة، الذي يتيح خدمات مباشرة للمرضى، وبرامج تعليمية تأهيلية لمساهمة الطفل المريض داخل الفصل الدراسي.
- التقييم والتقويم الذي يقوم به الأخصائيون :

(اخصائي امراض الأطفال- اخصائي امراض الاطفال النفسية - طبيب عيون - معالج مهني - معالج وظيفي - معلم تربية خاصة - أخصائي تأهيل مهني - أخصائي أمراض سمعية - اخصائي علاج اضطرابات كلامية - مدير الحالات وأخصائيين اجتماعيين).

إدارة الحالات :

تتيح خدمات إدارة الحالة إعداد عمليات منظمة للغاية وشاملة لإدارة حالة التأهيل للمريض.

البرامج والخدمات المتاحة :

- تأهيل أطفال العيادات الخارجية ، العلاج الطبيعي، باثولوجي لغة التخاطب، العلاج المهني، اضطرابات السمع، السيكولوجي، الشامل الأكاديمي، الفحص الشامل قبل المهني.
- برنامج علاجي يومي جماعي وفردي، حركي طبيعي، علاج باللعب، مع التركيز على الوضع.



الخدمات المساندة :

الخدمات المساندة للبرامج التأهيلية تشمل: خدمات غذائية، معملية طبية، وعلاجية للأمراض، وخدمات طبية وجراحية تمريضية، وخدمات صحية وظيفية، وخدمات صيدلانية، إضافة إلى خدمات إشعاعية، تمريضية وخدمات تمريضية خاصة وخدمات طبية للمسالك البولية.

المركز الطبي :

توفر مدينة سلطان بن عبد

العزيز للخدمات الإنسانية خدمات الرعاية الصحية الخارجية لساندة احتياجات كل مريض وفقا للجوانب الطبية والجراحية التي يتم إجراؤها له.

وضمن الخدمات التي تقدم ما يأتي :

(التخدير والعناية المركزة - أمراض القلب - أمراض الجهاز الدوري - طب الأطفال ورعاية المراهقين - علاج قدم المصاب بالسكري - أخصائي طب الأسنان - الأمراض الجلدية - قسم الطوارىء - قسم الأنف والأذن والحنجرة - قسم الغدد الصماء - قسم أمراض النساء - أمراض الدم - ضغط الدم - الأمراض المعدية - الطب الباطني - أمراض الكلى - أمراض الأعصاب - طب العيون - إدارة الألم - قسم علاج الأقدام - الطب الطبيعي واعادة التأهيل - الأمراض الصدرية «الرئوية» - الأمراض الروماتزمية - الطب النفسي والخدمات النفسية).



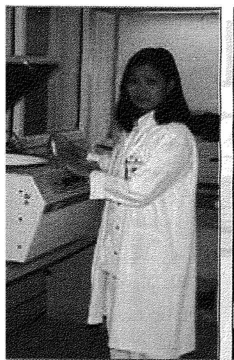
خدمات التمريض :

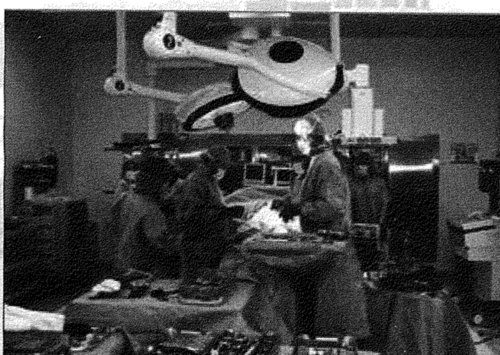
تعريف :

توفر خدمات التمريض عناية شاملة للمريض تقوم على ما يتم من توصيات طبية تختص بالتدريب والتعليم والبحث، وفي ذات الوقت تؤكد ما يقدم للمريض من رعاية في ضوء الاستجابة للحاجات ذات الصلة بالمجتمع الذي نقوم بخدمته.

وتسعى خدمات التمريض نحو أداء رسالتها عبر ما يأتي:

- التعرف على كيفية تعامل الأفراد باحترام وتقدير.
- تعليم المريض وعائلته على الاستقلالية وكيفية العناية الصحية.





ـ زيادة كفاءة جهاز التمريض خلال القيادات المتقدمة والابتكارية.

وحدة السكتة الدماغية :

تشتمل وحدة السكتة الدماغية على ٢٦ سريراً تختص بالمعالجة والتأهيل المطلوب، والممرضات اللائى يعملن في وحدة السكتة الدماغية يجاهدن لمعاونة المرضى من أجل معاونة أنفسهم، من خلال المعاونة المنتظمة لرعاية المرضى وفريق التمريض يمثل جزءاً من الفريق المتعاون لرعاية المرضى.

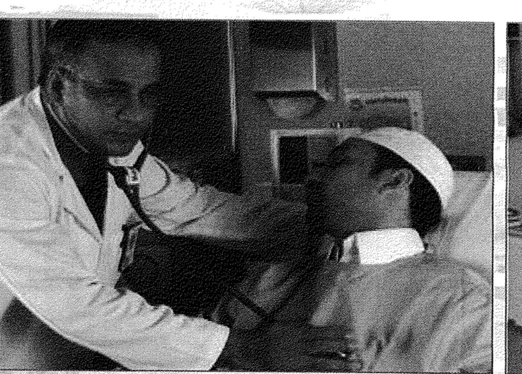
وحدة طب الأطفال:

تشتمل وحدة طب الأطفال على ٢٤ سريراً للمرضى من أعمار سنة حتى ١٤ عاماً والمجموع العام من المرضى معظمهم من المملكة العربية السعودية، اضافة الى الدول المجاورة، البحرين، الإمارات العربية المتحدة، اليمن. وتضم الوحدة حالات مختلفة من المرضى تتضمن: الشلل الدماغي، الصلب الأشرم وجروح النخاع الشوكي، الجروح الرضخية للمخ، التغذية المعضلية الناقصة ومن أهم ما تتضمنه الوحدة من أهداف رئيسية التعليم على التركيز الخاص بالتكيف على تعاقب وتوالى أنماط الحياة بجانب المعاونة والتركيز على دور العائلات في العلاج.

وحدة صحة النساء :

تشتمل وحدة صحة النساء على ٢٤ سريراً، صممت على أساس رعاية المرضى من النساء اللائى يعانين من المعوقات أو من الأمراض المزمنة، وتقع وحدة صحة النساء في المبنى رقم ٢ وفي الدور الثالث، وتعمل الممرضات على معاونة المرضى وعائلاتهم ، وتقدم الممرضات الخدمات المهنية القائمة على التنظير العلمي للتمريض في مجالات ٥ مثل الرعاية الذاتية، التى ترقى بمستوى الصحة الطبيعية والفسيولوجية، وتمارس الممرضات عمليات التمريض، وتعمل من اجل التقويم، والتخطيط ،التحقيق، كما تقوم الرعاية المتقدمة من أجل التأهيل الخاص بالمريضة.





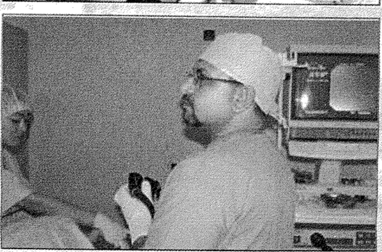
وحدة العلاج الطبي/ الجراحي :

تضم الوحدة ٢٤ سريراً مخصصة للعلاج الطبي والجراحي عند التأهيل، وتساهم الممرضات كأعضاء في فريق متضامن متعاون لمقابلة الحاجات الخاصة بالمرضى وعائلاتهم، وهذه الوحدة تضم (ممرضات مساعدات)، وممرضات يعملن بجناح الوحدة.

إصابات الحبل الشوكي :

وحدة إصابات الحبل الشوكي ((SCI تشتمل على ٢٤ سريراً ومقرها المبنى رقم ٣ الدور الثاني وتعمل الممرضات على معاونة المرضى وعائلاتهم من أجل استقلالية تامة في العلاج، هذا بالإضافة إلى أن التنظيم الداخلي للرعاية يعتبر من المحاور الرئيسية للعمل، كما أن واحداً من المهام التمريضية الرئيسية للقسم هو تعليم المرضى وعائلاتهم والممرضات يعتبرن خبيرات في التأهيل التمريضي خاصة في الاصابات، والعناية بالجلد وكل ما يتصل بالإخراج (البول والغائط) وحالات التسمم بين المرضى، ويتشكل فريق العمل من ممرضات مسجلات في الوحدة وممرضات مساعدات، وممرضات لتسجيل الحالات وتفسير احتياجات الحالات.





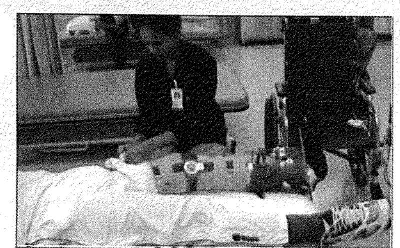
وحدة كبار الشخصيات VIP :

وحدة كبار الشخصيات، تشتمل على تسعة من الأسرة مع جناحين، ذات حجرات فاخرة، وحجرتان معزولتان (الضغط السالب)، هذا وسيتم التوسع في الوحدة لتضم ١٦ سريراً مع نهاية هذا العام، ويقدم فريق التمريض عناية مهنية ذات كفاءة للمريض وعائلته كوحدة مترابطة، وهدف الوحدة الرئيسية هو معاونة المرضى وعائلاتهم نحو الاستقلالية من خلال مفهوم التنظيم الداخلي، هذا ويتكون فريق وحدة VIP/ISO من خدمات التمريض الذي يتكون من ممرضات يقمن بالتسجيل، ومساعدات ممرضات، وممرضات لتسجيل الحالات وتحديد احتياجاتها.

وحدة الارتباط المتبادل للتمريض :

من أجل تقييم ما يقدم للمرضى في مدينة الخدمات، فإن هناك تقييماً متكاملا مكثفاً لمراجعة الوظائف والأحوال التى تحفز غايات المريض وأسرته وتعاون فريق التمريض في تصميم التأهيل المناسب للمريض، ويتم ذلك من خلال تعليم العائلة والمريض فيما يختص بعملية التأهيل، فإن الارتباط المتبادل للمريض مع كل المصادر المعنية، يتم خلال عمليات

مهنية منظمة، هذا والارتباط المتبادل للتمريض يعد البداية لاستمرارية الرعاية التى تكون في العمل اليومي للتمريض.

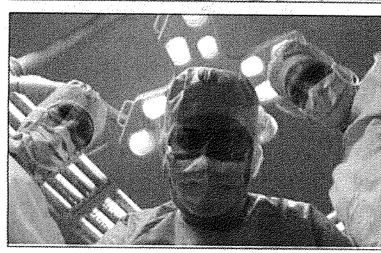


التعليم ينقسم الى ثلاثة عناصر هامة:

١ - تعليم المريض

٢ - تعليم المجتمع.

٣ - تطوير هيئة العاملين بالمدينة.



١ - تعليم المريض :

تقدم مدينة الخدمات معلومات تعليمية للمريض لتعزيز ادراك وفهم المريض لوضعه وحالته، وايضاح جوانب اخرى خاصة وللاستجابة للمواقف الطارئة بدقة، في حال الضرورة، هذا وأفراد عائلة المريض، يدعون لحضور فصل تعليمي، يشمل:

- الإرشاد (الإرشاد التأهيلي).
- مجموعة المعاونة.
- برنامج محاضرات.

٢ - تعليم المجتمع :

تهتم المدينة وتعنى - تجاه تطوير المجتمع السعودي - بتقديم التعليم الصحي للمجتمع، ويتم الوصول إلى المجتمع من خلال:

- المساهمة في البرامج المدرسية للإرتقاء والعناية بالصحة، واليقظة الخاصة بالأمان.
- المساهمة في مناسبات اليوم العالمي للرعاية الصحية.
- إقامة ندوات، محاضرات، ورش عمل تهتم ببرامج الوعي بالرعاية الصحية.

٣ - تطوير هيئة العاملين بالمدينة :

من أهداف مدينة سلطان بن عبد العزيز للخدمات الإنسانية مقابلة التغيرات والمستحدثات التربوية والاحتياجات التدريبية لجميع العاملين، ويتم ذلك عبر اختيارات متوازنة من الانشطة التى تضم محاضرات في الادارة وورش عمل في الادارة، وندوات، وطروحات تعاونية منظمة، وتربية خاصة، وتدريب معلمين، وبرامج معلم/ قيادة، وورش عمل اكلينيكية، وبحوث علمية وعلاجية.

العيادات الخارجية :

بالإضافة إلى برامج التأهيل التي تقدمها المدينة فهي تحتوي على مستشفى متكامل يقدم خدمات العيادات الخارجية وعمليات اليوم الواحد والجراحات

الكبرى من خلال التجهيزات المتطورة الكوادر المؤهلة على أعلى مستويات.

كما توفر الرعاية الصحية الأولية والخدمات العلاجية التخصصية بما في ذلك تشخيص الحالات وعلاجها ومتابعتها في بيئة يتم فيها تلبية احتياجات ومتطلبات المرضى المتعددة أثناء فترة العلاج وتحتوي على التخصصات التالية:

ـ قسم الطب الباطني :

يعتبر الطب الباطني أو ما يسمى بالطب العام أساس الرعاية الصحية، ويتمثل ذلك في مدينة سلطان بن عبد العزيز للخدمات الإنسانية من خلال عدة عيادات ذات تخصصات فرعية تشمل الطب الرئوي وعيادات السكري (طب الغدد الصماء) والروماتيزم وطب أمراض الكلي.

ـ عيادة الطب الرئوي :

توفر العيادة تشخيص ومعالجة حالات أمراض الصدر والرئتين من قبل أخصائي الأمراض الرئوية أو طبيب الصدر، ويوفر مختبر وظائف الرئة بالمدينة اختبارات وأدوات فحص حديثة حيث جُهز بالكامل لمساعدة الأخصائيين.

ـ عيادة الطبْ الأسري :

يعالج الطبيب الأسري، العائلة بأسرها، من خلال تطويره لعلاقة وثيقة مع الأشخاص وعائلاتهم، حيث يحصل الطبيب على صورة متكاملة للتاريخ الطبي للعائلة مما يسهل عليه الرعاية الطبية لهذه الأسرة، كما توفر هذه العلاقة مع العائلة المتابعة الكاملة دون الحاجة لمضايقتهم بتكرار التاريخ الطبي لأي طبيب آخر عند كل زيارة.

ـ عيادة السكري (الغدد الصماء) :

توفر عيادة السكري بالمدينة خدمات ممتازة بداية من التشخيص وحتي التقييم ثم الإرشاد والتوجيه، وذلك عن طريق استقصاء حالات ارتفاع السكر وهبوطه، ومضاعفاته، وأمراض الغدة النخامية والدرقية والغدد النظمية، والضعف الجنسي، بالإضافة إلى علاج السمنة، ونقص الوزن، وتأخر النمو والبلوغ المبكر، تُدعم عيادة السكري بواسطة مرافق مخبرية شاملة.

ـ عيادة أمراض الكلى :

تتخصص العيادة بالأمراض المتعلقة بالكلى وتشمل معالجة حالات ضغط الدم العالي، والسيطرة على الفشل الكلوي، إلى جانب وحدات الغسيل الكلوي، حيث جهزت الوحدة لمعالجة المرضى الذين يعانون من فشل كلوي لمساعدتهم على مواصلة حياتهم كما يجب.

تتكون الوحدة من ١٠ أسرّة مرتبطة بـ ١١ جهاز تنقية دم من نوع جامبرو ((AK200 ويتم مراقبتها بواسطة ثلاثة أجهزة كمبيوتر مرتبطة بالشركة المصنّعة بالسويد.



ـ عيادة الروماتيزم :

ويقوم هذا التخصص بتشخيص وإدارة وعلاج أمراض المفاصل، والأوتار، والعضلات، والأربطة المحيطة بها، كما يختص الطبيب بمعالجة التهابات المفاصل.

ـ عيادة أمراض القلب :

توفر هذه العيادة، الوسائل الممتازة لتشخيص ومعالجة حالات القلب وذلك بواسطة التشخيص المبكر لارتفاع ضغط الدم حتى يمكن تجنب النوبات القلبية والسكتات الدماغية، ويوفر البرنامج المخبري للفحوصات الفسّيولوجية، اختبارات الدم ، تخطيط القلب الكهربائي، تخطيط صدى القلب، اختبار الضغط، وتصوير الشرايين التاجية للقلب بواسطة طرق غير منتشرة وبأقل مضايقة ممكنة للمريض.

- قسم الجراحة العامة :

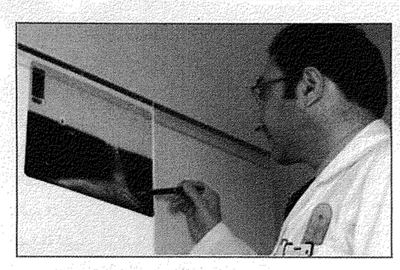
تشمل الجراحة العامة كافة الجراحات في أجزاء الجسم المختلفة، كما أن لدى جراحي المدينة خبرة متخصصة في جراحة مناظير البطن لإجراء العديد من العمليات، ويؤمّن قسم الجراحة أيضاً عمليات اليوم الواحد، حيث تستخدم المدينة آخر التقنيات، التى أحدثت ثورة في عالم الجراحة من خلال تخفيض الوقت المستغرق للجراحة وفترة الإقامة بالمستشفى.

- عيادة الجراحة التجميلية :

هناك الكثير مما يُقدّم ضمن الجراحة التجميلية بداية من الجراحات التجميلية ومحيط الجسم وحتى جراحات إعادة البناء، كما يتم العمل مع جراحين آخرين، في مجال الأنف والأذن والحنجرة، وجراحات الوجه والفم، وتقويم العظام، وقد تخصصت المدينة بجراحة الشفة المشرومة وإعادة بناء سقف الفم.

- عيادة تقويم العظام :

إن تقويم العظام يعد أحد فروع الجراحة التى تختص بتشخيص ومعالجة إصابات وأمراض العظام والمفاصل، ويتخصص جراحو المدينة العاليون في الجراحة التعويضية للركبة والفخذ التى استقطبوها من أمريكا وألمانيا.



- عيادة العيون وجراحات الليزك :

جهزت العيادة تجهيزاً كاملا بأحدث ما توصل إليه طب العيون من التكنولوجيا الحديثة، لتوفير عناية متطورة لمرضى العيون، وتقديم خدمات شاملة لتلبية احتياجاتهم المتعلقة بمشاكل الرؤية وأمراض العيون، ويشرف على هذه العيادة نخبة من الأخصائيين والأطباء الاستشاريين.

- عيادة الأنف والاذن والحنجرة :

تغطي العيادة مدى واسعاً يشمل الحساسية، ومشاكل الجيوب الانفية، ومشاكل التنفس، والتهابات الأذن والحالات النادرة كالأورام الخبيثة، كما تساهم العيادة في معالجة جروح الوجه ويمكن لطبيب الأنف والأذن والحنجرة أن يعمل مع جراحي التجميل واستشاريي جراحة الوجه في عمليات الجروح الأكثر تعقيداً .

قسم طب الأطفال :

- عيادة الأطفال العامة :

يوفر هذا القسم التخصصات التى تهتم بصحة الطفل ووقايته من الأمراض منذ الولادة وحتى سن النضج، كما يتمكن المختصون ضمن هذا القسم من تقديم تخصصات فرعية مثل اختصاص أعصاب الأطفال.

- عيادة الأطفال المعاقين :

تعتبر هذه العيادة الوحيدة من نوعها في المملكة العربية السعودية، حيث تتشكل من فريق طبي متعدد التخصصات (طبيب الأطفال، أخصائي أعصاب الأطفال طبيب التأهيل، أخصائي تقويم العظام، الأخصائي النفسي، وطبيب الأسنان)، ويقوم الفريق بتقييم المريض خلال جلسة (زيارة) واحدة وذلك لتجنب مضايقة المريض ووالديه بزيارة عيادات متعددة.

- عيادة طب الأسنان :

تتميز العيادة بتوفر الكوادر المدربة للتعامل مع الأطفال عموماً والأطفال المعاقين الذين يحتاجون إلى عناية خاصة قد لا تتوفر لدى أي طبيب أسنان، إضافة الى ذلك فإن الوحدة تستقبل جميع الحالات لإجراء الفحوصات الروتينية والتنظيف والتقويم والتركيبات، كما أن الوحدة مجهزة بتقنيات تساعد على الحفاظ على صحة المريض، من خلال استخدام أجهزة أشعة بنسبة إشعاع أقل، واستعمال الأدوات لمرة واحدة فقط لكل مريض للقضاء على احتمالات العدوى بين المرضى.

- عيادة التحكم بالألم :

توفر عيادة التحكم بالألم خدمات للمرضى الذين يشتكون من آلام مزمنة عندما لا يتجاوب المريض للعلاج للمعالجة التقليدية أو التدخلات الجراحية، كما توفر العيادة طرق معالجة وتدخلات متخصصة للسيطرة على الألم بشكل فعّال ويشغل الوحدة أخصائيون - ذوي مؤهل عال في التحكم بالألم - بالتعاون مع أقسام أخرى بالمستشفى، حيث إن هذه الرعاية الخاصة تعتبر خدمة متعددة التخصصات.

- عيادة الطب النفسي :

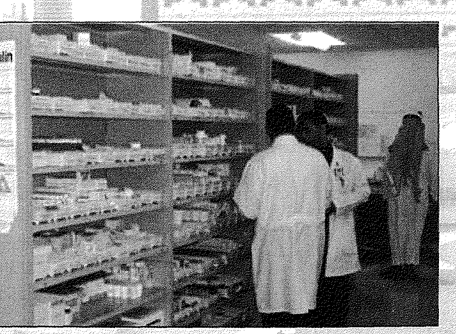
يتكون فريق الطب النفسي بمدينة سلطان بن عبد العزيز للخدمات الإنسانية من نخبة من الأطباء والأخصائيين النفسيين الخبراء في مجالات الصحة العقلية، كما تؤمن العيادة خبرة واسعة في مجالات الطب النفسي للأطفال، ومعالجة المشاكل السلوكية، والأمراض الذهنية بداية من الأمراض المعتدلة وحتى الشديدة، ويتم التعامل مع المرضى بشكل حسّاس وسري.

- وحدة الأمراض المعدية :

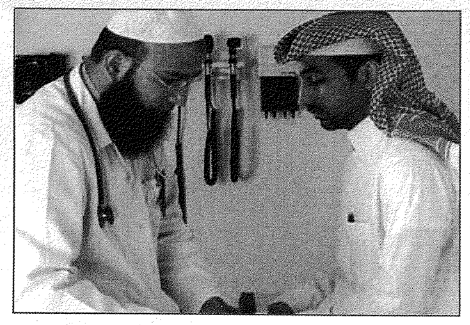
يقدم أخصائي الأمراض المعدية خدمات واسعة، بدءاً من تشخيص وعلاج الأمراض المعدية، وحتى منع العدوى، في جميع أنحاء المستشفى، كما يمكن للأخصائي أن يعرّف بالمخاطر الصحية، وسُبل الحماية إلى جانب التوصيات بالتطعيمات الوقائية وبالتالي يحدد الدول التي يمكن السفر إليها.

- عيادة الطب التأهيلي :

طبيب التأهيل هو طبيب



مـخـتـص بالعــلاج الطبـيــعي والتـأهيل، إن الهـدف الأسـاسي لطبـيب التــأهيل هو حــصــول المريض على أعلى مستوى وظيفي للجـهاز العظمي العضلي سـواء كـان المريض يعـاني من مـرض عـصـبي مـضـعف أو إصـابة رياضـيـة، ويقـوم طبيب التـأهيل بتكوين فـريق للعـلاج الوظيـفي، والعلاج الطبيعي، وعلاج أمـراض النطق والتـخـاطب، والتـمـريض والتغذية حيث تؤدي جميعها دوراً مهماً في تقدم حالة المريض.



الأقسام المساندة :

- وحدة الأشعة :

يقوم بالإشراف على هذا القسم نخبة من الأطباء الاستشاريين من حملة الشهادات العلمية العالية، ومن ذوي الكفـاءات والخبـرة الطويلة في مـجال عملهم.. نخـبة من الأطبـاء الأخـصـائيين وكـوكـبة من كـوادر التقنيين المساعدين المتميزين في عملهم، كما أن القسم يواكب أحدث ما توصلت إليه تقنيات العصر بالنسبة للتجهيزات التقنية والأجهزة التشخيصية.

- المختـــبر :

يعد المختبـر بالمدينة من أفضل المختـبـرات في المملكة، حيث إنه يحتوي على أحدث الأجهزة المخبرية ويعـمـل بإشـراف فـريق فني مـتـخـصـص في مـجـال تكنولوجيا العلوم الطبية، كما يسعى المختبر لأن يقدم خدماته التشـخـيصـية للمرضى داخل المدينة وكذلك المرضى المحولين من مستشفيات ومراكز طبية أخرى من كافة أنحاء المملكة.

مركز المعلومات :

- يتم قـبـول المرضى المنومين بالمدينة بواسطة لجنة قبول المرضى المسئولة عن تقييم جميع ملفات المرضى الذين يرغـبـون الاسـتـفـادة من خـدمـات برامج التـأهيل الطبي.

- تقــرر لجنة قــبــول المرضى دخــول المريض إلى المدينة استناداً إلى حالته الصحية من جهة وإلى الفترة الزمنية التى سوف يقضيها من جهة أخرى، علماً بأن قرار قبول المريض لا يخضع لأي اعتبارات شـخصية تجـاه المريض أو تجـاه الطـبيب المحول وبالتـالي فـأنه يخضع للشروط التالية :

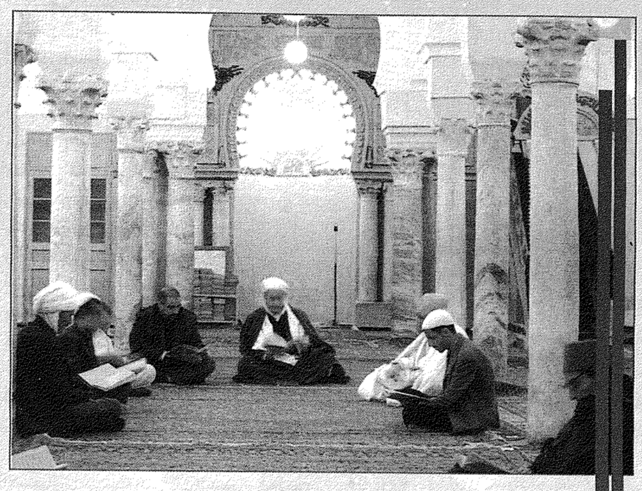
١ - مدى الاستفادة المتوقعة للمريض من برنامج التأهيل.

٢ - الضرورة الملحة لقبول المريض في أسرع وقت ممكن.

٣ - المدة الزمنية للعلاج.

٤ - عدد الأسرة المتوفرة في المستشفى.

٥ - مقدرة المريض على دفع التكاليف ■



التكامل بين العقل والدين

□ الإسلام هو القوة المحركة التى صنعت الحضارة الإسلامية الرائدة، وأعطت العقل حرية الحركة وأطلقت له العنان لينطلق في مجال الابتكار والإبداع، وحذرت من إهماله وتعطيله، وفي هذا يقرر القرآن الكريم أن الذين يعطلون العقل إنما يتجردون من إنسانيتهم وينزلون إلى مستوى البهائم، فيستحقون جهنم وبئس المصير.

قال تعالى: {ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون} (الأعراف/ ١٧٩)، وفي موضع آخر من القرآن الكريم يقول سبحانه وتعالى: {إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون} (الأنفال/ ٢٢).

والحضارة الإسلامية ما كان لها أن تشهد إقلاعها منذ القرن الأول للهجرة، وما كان للدين

الإسلام احترم خصائص العقل البشري

هيثم جلـول

سوريا

الإسلامي أن ينتشر ويعم المعمورة ويسلك دروبه فاتحا الى حدود الصين شرقا وإلى إسبانيا غربا في زمن قياسي لولا إعمال العقل وإعطائه الدور الهام إلى جانب الإيمان المتجذر في نفوس المسلمين.

والإسلام هو دين الله الوحيد الذي ربط بين الدين والعلم بميثاق غليظ، وأقام صلحا دائما وصفاء لا يشوبه كدر، وتوأمة فريدة بين القدرة العقلية والهداية الدينية، بما أولاه للمعرفة من عناية واهتمام ورعاية، إذ جعلها مع الإيمان بالله أساس كل تقدم وقاعدة كل رقي مادي ومعنوي وصدّر بهما أولوياته في المشروع الحضاري الذي أقامه وحققه على أرض الواقع[١].

والاسلام الذى أولى المعرفة والتبصر والاستقصاء في الدلالات والسنن الكونية أنكر على الناس إيمانهم بالخرافات التى تقاوم أحكام العقل وتحجز القلب عن التلاقي والاصطلاح معه لتزجه في آفات وضلالات لا نهاية لها، فليس المؤمن من كان ميالا الى التعتيم، ذلك أنه لا يوجد شيء يصيب ثقته في القوة التى أودعها الله فيه (أي قوة العقل) إلا إنكاره لهذه الهبة الإلهية والأمانة التى حمّله إياها، ثم إن الإيمان الذي لا يضبطه العقل قد يقع في أفدح الأخطاء.

ولا شك أن الإنسان لا تكتمل إنسانيته إلا إذا أشرق عقله بالعلم والمعرفة، واتقد بالحب على أن تكون محبة فؤاده نابعة لقرار عقله، والإيمان الذي لا يضبطه العقل ولا يتفاعل معه القلب والوجدان يكون إيماناً ناقصاً قد يوقع صاحبه في أفدح الأخطار.

والقرآن الكريم كلام الله المنزل والحديث الشريف الموحى الى رسول العالمين قد أمرا بإلحاح إعمال العقل، فكانا الأساس الأول في صياغة العقل المسلم على المستوى الفردي والمستوى الجماعي، مما أوصل العناية الإلهية والهداية المحمدية إلى قلوب الشعوب التى استضاءت بنور الإسلام في الأمصار كافة على اختلاف أصولها العرقية وبيئاتها وأعرافها وتراثها الحضاري والثقافي.

وللعقل الذى نتحدث عن دوره تعريفات كثيرة ومختلفة، ولكنها مهما اختلفت وتضاربت أو تداخلت تلتقي جميعا، أمام نقطة واقعية مشتركة هي : اعتبار العقل حامل المعرفة، وطاقة تجريد، ومركز التفكير والأحكام، وملكة متعالية شكلت التفوق النوعي للإنسان بوصفه كائنا فكرياً[٢].

والإيمان بكلمة واحدة : هو التصديق ، التصديق بالقلب والعقل، لأن التصديق يسبقه تصور، والتصور والتصديق والاستنتاج والحكم من أعمال العقل[٣]، فالإيمان (حالة قلبية عقلية) تشيع في النفس الاستعداد للتصرف على أساس من الثقة الملهمة حتى ولو كنا لا نرى إلا خطوة واحدة في الطريق أمامنا[٤].

والعقل من منظور أساسي: هو مناط التكليف من حيث إن إنسانية الإنسان لا تتحقق إلا به، فقد منح الله تعالى (العقل) للإنسان، بل خص الإنسان بهذه المنحة من ضمن مخلوقاته وهو الذي رضي بحمل الأمانة التى عرضها الله سبحانه وتعالى منذ بداية خلق الكون (أي أمانة الإرادة الحرة أو حرية الاختيار)

على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها (خوفاً من مسؤوليتها) وحملها الإنسان، الإنسان وحده، دون سائر المخلوقات، الذي رضي بحمل أمانة (حرية الاختيار) وتحمل تبعات ذلك.

فالإنسان هو الوحيد القادر على القيام بالتحليل والتركيب والاستقراء والاستنتاج واكتشاف العلاقات، وكل العمليات والوظائف الأخرى اللازمة لإجراء (المحاكمات) وإصدار (الأحكام).. أي ممارسة (الاختيار بين البدائل المتاحة).

والخطاب الإلهي - الذي مناط التكليف به هو وجود العقل - يدعو إلى النظر والتفكر في المخلوقات ترسيخاً للإيمان في النفوس، {إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار} (آل عمران/ ١٩٠ ، ١٩١). ويدعو إلى ذم الظن في الاعتقاد والتقليد العفوي من غير التفكر بافتراضه المقابل لليقين العقلي {إن يتبعون إلا الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً} (النجم/ ٢٨).

والإسلام ينكر على العقل الجمود والتقليد ويخاطبه بالأوامر والنواهي، ويعتمد عليه في إثبات أعظم حقيقتين في الوجود وهما وجود الله تعالى وصدق دعوة النبوة، وبذلك فسح المجال للعقل بأن يكتمل مع الإيمان، وأن يجول في آفاق هذا الكون العريض ما شاء صاعداً إلى الأفلاك، وهابطاً الى الأرض، ومتأملا في النفس. {قل انظروا ماذا في السماوات والأرض} (يونس/ ١٠١)، {وفي الأرض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون} (الذاريات/ ٢٠، ٢١).

وترك له أن يكشف من ظواهر هذا الكون ما استطاع إليه سبيلا، وأن يسخر ما قدر عليه، فكل ما فيه سخره الله لمنفعته {وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} (الجاثية/ ١٣).

وترك للعقل أن يستفيد من تجارب الآخرين وينتفع بتراث السابقين، ومعارف اللاحقين {فاعتبروا يا أولي الأبصار} (الحشر/ ٢)، {فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون} (الأنبياء/ ٧).

بما أن العقل محدود المدى فإن الدين قد وسع مداه

وبهذا كله يتبين أن الوحي الإلهي لم يشل الفكر الإنساني ولم يجمده ، بل كان له هادياً ومعيناً في بعض الحالات، وترك له الحرية الكاملة والاستقلال المطلق في مجالات أخرى، وإنها لكثيرة ورحيبة[٥].

فالإسلام يؤمن بالوحي مكملا للعقل ومعينا له فيما تضل فيه العقول وتختلف ، وما تغلب عليه الأهواء، وهادياً له إلى ما ليس من اختصاصه ولا هو في مقدوره من الغيبيات والسمعيات وطرائق التعبد لله تعالى.

فهو عقيدة عقلية، وهذا يقضي ألا يؤخذ إلا عن يقين عقلي، ولكن العقل ليس قادراً على كل شيء ، فقد جعل الله تعالى للعقل حدوداً لا يستطيع أن يتخطاها، وهو كما يذكر ابن خلدون في مقدمته - مثل ميزان الذهب، يزن الكمية القليلة بدقة ولكنه يعجز أن يزن الجبال - [٦].

لذلك كان لابد من الإيمان بالغيب، والتسليم بما يأتي به الوحي من أمور الغيب (اليوم الآخر والجنة والنار)، وتوفير طاقات العقل لاعمار الأرض، وتحقيق

الخلافة فيها كأحسن ما تكون الخلافة. لقد طلب منا التسليم بالغيب بالإطلاق وليس بالاقتناع، وما دمنا آمنا بأن القرآن من عند الله عقلياً فهذا يقتضي أن نسلم بكل ما جاء فيه ويزول بذلك أي تناقض يظن على أن هذه المعرفة عما وراء الطبيعة أمر ضروري لأي إنسان وبخاصة المسلم ذلك لأن:

أولا : الإنسان فطر على التفكير في أمور ما وراء الطبيعة، ماذا كان قبل الحياة وماذا سيكون بعدها وما هو مصير الإنسان بعد الموت، ولو لم يطلعنا الله تعالى على هذه المعارف، لدعانا الفضول إلى وضع تصورات حولها.. وهذه التصورات ستكون بالتأكيد مجرد أوهام أو تخيلات ليس لها أية قيمة معرفية.

ثانيا : من الضروري أن يعلم الإنسان هذه الحقائق ليكون على بينة مما ينتظره بعد الموت من ثواب أو عقاب، بالإضافة لهذا فإنها تكون اختباراً حقيقياً لإيمان المسلم.

ونخلص إلى القول : إن هذه المعارف التي يزودنا بها الوحي الإلهي عن عالم ما وراء المادة ويطلب إلينا التسليم بها هي معرفة ضرورية للإنسان ولا توجد تضاداً مع المعرفة العلمية التي يتوصل إليها الإنسان بالعقل والتجربة.

وهنا نتوقف عند نقطة هامة وهي أن المعارف التي تتعلق بالعقيدة يجب أن تؤخذ عن يقين، فلا ينفع فيها الظن، وقد ذكرنا أن الخطاب الإلهي قد ذم الظن وبخاصة في أمور العقيدة، ولهذا لا يقبل فيها إلا النصوص القطعية، وتكمن الخطورة في قبول نصوص ظنية، أن تكون هذه النصوص غير ثابتة عن الرسول عليه الصلاة والسلام، وأن دلالتها ليست قطعية، ويطلب من المسلم التسليم بها، وهنا يأتي دور (العقل) عقل المسلم الواعي في الغوص في خبايا النص باحثاً لاستشارته والاستنارة به في حل إشكاليات الحياة التي تستوقفه حتى يؤخذ النص بدلالاته القطعية لا الظنية بغية استنشاق هواء الإسلام المستنير الواضح المبني على إيمان صحيح معافى لا لبس فيه.

وبعد .. فإن العقل - الى جانب القلب المستنير بنور الله تعالى - هو وسيلة الإنسان للإيمان، في ضوء آيات الآفاق والأنفس، بوجود الله ووحدانيته، وهو الوسيلة أيضاً لإثبات الوحي والنبوة والرسالة.

أول آية في القرآن الكريم تدعو للقراءة والقراءة عقل

فالعقل هو الذي يثبت إمكان ذلك ووقوعه بالفعل، وأن متلقي الوحي الإلهي هو رسول مرسل من عند الله، والعقل هو الحكم الأول والأخير في هذه القضية[٧].

ومن الثابت لدى علماء الدين كما ذكرنا أن العقل هو عماد التكليف، لأن التكليف خطاب من الله تعالى يطلب التقيد بالأحكام التكليفية: (الواجب والمندوب والمباح والمكروه والمحرم) ولا يتلقي ذلك الخطاب إلا من العقل ويدرك معناه[٨]، لذلك فقد رفع التكليف، ورفعت المسؤولية عن الصبي (أي غير البالغ) والمجنون (فاقد العقل).

ولما كان للعقل الأهمية الكبرى في توجيه السلوك البشري، فقد اعتبرت الأديان السماوية أن حفظه هو أحد الأمور الكلية أو المقاصد العليا الخمسة للشرائع الإلهية، وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال. (ولقد اهتمت الشرائع الإلهية في حفظ العقل اهتماماً كبيراً من طريقين: طريق تحقيقه وإيجاده، وطريق المحافظة عليه. فتحقق العقل يكون بهبة من الله للإنسان يجعله به نعمة كبرى تستوجب التقدير

وعرفان الجميل، والمحافظة عليه تكون بمنع الإنسان من تناول ما يضره كالخمر وبقية المسكرات، وتعاطي المخدرات والحشيش والأفيون والقات)[٩].

ومن الحقائق الثابتة أن القرآن الكريم زاخر بالحض على استخدام العقل، بل والأمر باستخدامه، ويتوافر ذلك في القرآن الكريم الى درجة تسوغ القول بأن (استخدام العقل هو المقصد الأول في القرآن الكريم) إن صح التعبير.. ولقد ذكر القرآن فعل عقل وما اشتق منه (خاصة) حوالي خمسين مرة وأشار (عامة) إلى العقل ومشتقاته ومعانيه المختلفة في أكثر من ثلاثمائة آية قرآنية، مستخدماً كل الألفاظ الدالة عليه أو ترشد أو تشير إليه من قريب أو بعيد من التفكير والتدبير والتذكر والحكمة واللب والنظر والرشد والرأي والعلم والفقه.. إلى غير ذلك من الألفاظ التى تدور حول الوظائف المتنوعة على خلاف معانيها وخصائصها مما يعتبر تصريحات واضحة وإيماءات قوية بدور العقل وأهميته للإنسان، وضرورة استخدامه في كل شؤون الدنيا والآخرة[١٠].

ويلاحظ الفيلسوف القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد أن (القرآن كله إنما هو دعاء إلى النظر والاعتبار، وتنبيه إلى طرق النظر[١١]، وكان الفيلسوف الفرنسي جاك بيرك قد أقر قبيل وفاته بقوله: (لقد أقنعتني الدراسة المتعمقة للقرآن بالمكانة التى يفسحها دينكم للعقل البشري).

ويرى الشيخ محمد عبده أن التقليد القائم على إهمال العقل، حتى في العمل الديني الصالح ليس من شأن المؤمنين، (إذ المرء لا يكون مؤمناً إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به، فمن رُبِّي على التسليم بغير عقل، والعمل ولو صالحاً بغير فقه فهو غير مؤمن، لأنه ليس القصد من الإيمان أن يذلل الإنسان للخير، كما يذلل الحيوان ، بل القصد منه أن يرتقي عقله وتتزكى نفسه بالعلم بالله والعرفان بدينه، فيعمل الخير لأنه يفقه الخير النافع المرضي لله، ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته في دينه ودنياه ويكون فوق هذا، على بصيرة وعقل في اعتقاده)[١٢].

في حين حاربت الكنيسة العلماء كان علماء المسلمين في قمة تألقهم

وفي مجال الاجتهاد الشرعي (الذي هو استفراغ الوسع وبذل المجهود في طلب المقصود من جهة الاستدلال، ليحصل للفقيه ظن بفقه شرعي)[١٣]. فقد جعل العقل سبيلا لاستنباط الأحكام الشرعية من مصادرها، بالاعتماد على إدراك مقاصد الشرائع، وتمييز المصالح والمفاسد العامة، ومعرفة الراجح من المصلحتين أو المفسدتين بالموازنة المجردة بينهما، وتقرير حكم الأفضل، حتى يطمئن كل امرئ إلى سلامة الغاية التشريعية من التكاليف الإلهية، ويسارع إلى امتثالها، ويقيس عليها ما يطرأ له في حياته من أمور تحتاج لحكم الشرع[١٤].

وجعل الله حفظ العقل كما أسلفنا من المقاصد العليا للشريعة، وأعطى العقل صلاحيات كثيرة في مجالات التشريع والأخلاق وتسخير الموجودات الأخرى لمصلحة الإنسان، ذلك أن الإسلام ينهض على دعائم الحقيقة العلمية الثابتة مهما كان متعلقها ومضمونها، ومن ثم فهو يشرع السبل كلها إلى المعرفة الإنسانية المطلقة، ويحمل الناس جميعاً على تقديس العلم الحقيقي وتحكيمه في شؤون الحياة تحكيماً يسلمه مقاليد فهم الدين نفسه، بحيث لا يعد المقلد في الإسلام مسلماً، حتى يتحرر عن ربقة

التقليد ويقيم معتقداته الإسلامية على براهين من العلم يهضمها العقل وتطمئن إليها النفس، وحسبنا في هذا قوله عز وجل {ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم} و{ما} هنا من أدوات العموم كما هو معروف فهي تشمل كل شيء حتى الدين نفسه[١٥].

وكان للشاعر الفيلسوف محمد إقبال ملاحظة جديرة بالنظر أوردها في كتابه عن (التجديد في الفكر الإسلامي) ومؤداها أن سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام كان لابد أن يكون خاتم الأنبياء، وأن تكون رسالته آخر الرسالات، لأنه جاء يدعو إلى (تحكيم العقل) فيما يعرض للناس من مشكلات[١٦].

والجاحظ يقول إن العقل هو وكيل الله لدى الإنسان، وكذلك القرآن الكريم، فهما وكيلان جعلهما الله سبيلين لهداية خليفته الإنسان، ولا يعقل التخلف والتناقض أو التضاد بين وكيلين لموكل واحد[١٧].

إن العقل كما ذكرنا وسيلة الإنسان للإيمان، ولاستنباط الأحكام الشرعية من مصادرها (بالاجتهاد) ولاكتساب المعرفة وتسخير الموجودات الأخرى لصالح البشرية، وهكذا فبالعقل يحصل الإيمان ويثبت، وبالإيمان يستخدم العقل ويحفظ، والعقل والإيمان مرتبطان بعلاقة حميمة ودائرية، فكل منهما للآخر ، من حيث الحفظ والوجود أو التفعيل، سبب ونتيجة في آن معاً ■

الهوامش :

(١) انظر : د٠ محمد يوسف عميد كلية الشريعة بفاس (المغرب) دور الإسلام في بزوغ النهضة الأوربية المعاصرة (جريدة الشرق الأوسط) لندن ١٩٩٧/٧/٢٧م٠

(٢) د٠ سعيد مراد (العقل الفلسفي في الإسلام) مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٩٣م ص ٣١٠

(٣) الشيخ محمد الغزالي (ظلام من الغرب) الطبعة الثانية، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٥م ص ٦٥٠

(٤) د٠ هارولد فينك (لمن ترهقهم الحياة) ترجمة الدكتور محمد الحلوجي، دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٦٩م، ص ٢٤٩٠

(٥) د٠ يوسف القرضاوي (الخصائص العامة للإسلام) الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان ١٩٩٣م، ص ٦١٠

(٦) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار القلم، الطبعة الخامسة بيروت، لبنان ١٩٨٤م ص ٤٦٠٠

(٧) د٠ يوسف القرضاوي (الخصائص العامة للإسلام) الطبعة الثامنة، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان ١٩٩٣م، ص ٦٣٠

(٨) انظر : الإمام محمد أبو زهرة (أصول الفقه) دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٥٨م، ص ٣٢٨٠

(٩) د٠ وهبة الزحيلي (الأصول العامة لوحدة الدين الحق) مكتبة العباسية، الطبعة الأولى، دمشق، سورية ص ١٤٢ ـ ١٤٣٠

(١٠) انظر : منى توتنجي (منزلة العقل في الإسلام) جريدة *اللواء*، بيروت ١٩٩٥/٧/٢٨م٠

(١١) محمد بن أحمد بن رشد (الكشف عن مناهج الدلالة في عقائد الملة ـ فلسفة ابن رشد) دار العلم للجميع والمكتبة المحمودية التجارية، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٣٥م ص ٦٣٠

(١٢) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، الجزء الرابع، ص ٤١٤، ذكره الدكتور محمد عمارة في (الإسلام وقضايا العصر) دار الوحدة، بيروت ١٩٨٠م ص ١٤١٠

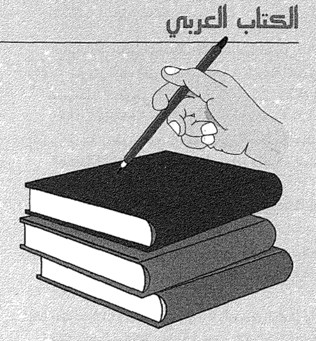
(١٣) د٠ محمد عمارة (الإسلام وإشكالية الاجتهاد مع وجود النص دائما) جريدة الحياة، بيروت ١٩٩٥/٣/١٥م٠

(١٤) د٠ وهبة الزحيلي (الأصول العامة لوحدة الدين الحق) مكتبة العباسية، الطبعة الأولى ، دمشق، سورية ص ١٤٠٠

(١٥) د٠ محمد سعيد رمضان البوطي (منهج العودة إلى الإسلام) مؤسسة الرسالة طبعة ثانية، بيروت، لبنان ١٩٨٦م٠ ص ١٠٠٠

(١٦) د٠ زكي نجيب محمود (تجديد الفكر العربي) دار الشروق، بيروت، لبنان، ١٩٧١م ص ٣٠٩٠

(١٧) د٠ محمد عمارة (التراث في ضوء العقل) دار الوحدة، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م، ص ١٤٩٠



أهمية العنوان في صناعة الكتاب عند العرب

□ اختلفت استراتيجيات صوغ العنوان في الثقافة العربية، باختلاف المراحل التاريخية في أدبنا العربي، وكذا باختلاف الأجناس الأدبية (شعر، رواية، قصة، محكى قديم) التى ينطلق من خلالها الباحثون لمقاربة موقع العنوان في صناعة الكتاب عند العرب.

ومن أجل التعرف الدقيق على طبيعة التحديدات التى خص بها القدماء محفل العنوان، لابد من الاعتماد على التحديد القاموسى الوارد في «لسان العرب» لابن منظور، حيث نجده يعرف العنوان انطلاقاً من البحث عن أصول الكلمة.

يقول ابن منظور في هذا الصدد: «عن الكتاب يعُنُّهُ عنًّا وعنَّنَهُ: كعنْوَنَهُ، وعنْوَنْتُهُ وعلْونْتُهُ بمعنى واحد، مشتق من المعنى، وقال اللحيانى: عنَّنْتُ الكتاب تعنيناً وعنَّيْتُهُ تعْنية إذا عنونْتُهُ أبدلوا من إحدى النونات ياء، وسُمِّي عنواناً لأنه يعُنُّ الكتاب من ناحيته، وأصله عُنَّانُ، فلما كثُرت النونات قلبت إحداها واواً، ومن قال عُلْوَانُ الكتاب جعل النون لاماً لأنه أخف وأظهر من النون»[١].

أما في معجمه الشهير بعنوان: «معجم مصطلحات النقد العربى القديم»، فيعرف أحمد عبد المطلوب العنوان كالتالي: «عنَنْتُ الكتاب وأعنته لكذا: عرضته له وصرفته إليه. وعنَّ الكتاب وعنَّنه كعنونه، وعنونته وعلونته بمعنى واحد، والعنوان: الأثر، والعلوان: لغة فيه»[٢].

بينما نجد «المنجد في اللغة والأعلام» يعرف العنوان كالتالى: «العنوان من خلال فعل (عَنْوَنَ عنونة: الكتاب: كتب عنوانه، وعنوان الكتاب: سمته وديباجته/ وعنوان كل شيء: هو ما دلَّك من ظاهره علي باطنه/ عنوان الرسالة في اصطلاح الكتاب: ما كُتب على غلافها من اسم الشخص الذى كتبت إليه ولقبه ومحل إقامته»[٣]. ويتفق هذا التعريف في شطره الأخير مع ما ذهب إليه صاحبا: «معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب»، فالعنوان بالنسبة إليهما (مجدي وهبة وكامل المهندس): الاسم الذى يدل عادة على موضع الكتاب، كما قد يعنى مكان الإقامة»[٤]. كما لا يتورعان عن إيجاد دلالات وتقسيمات أخرى للعنوان، مثال ذلك:

- مفهوم «العنوان الكامل» وهو اسم الكتاب كاملا من غير حذف أو اختصار، ويوضع عادة في صفحة العنوان، وقد يسبقه في صفحة أخرى قبل صفحة العنوان الاسم المختصر للكتاب.

- مفهوم «العنوان المختصر» وهو «الجزء من العنوان الكامل الذي يدل على موضع الكتاب، ويطبع عادة على صفحة قبل صفحة العنوان وتُفهرس الكتب في بعض المكتبات، بالإضافة الى فهرسى العنوان والموضوع، حسب العناوين المختصرة للكتب حتى يسهل البحث عليها»[٥].

في مقابل هذا المفهوم الشائع عن العنوان، نجد من يعطى للعنوان دلالات أخرى موازية، ففى «باب العنوان»، يبتدع ابن أبى الإصبع المصرى

د. عبد المالك أشهبون

المغـــرب

مفهوماً آخر للعنوان، وهو كالتالى: «العنوان هو أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف أو فخر أو مدح أو هجاء أو عتب أو غير ذلك، ثم يأتي لقصد تكميله بألفاظ تكون عنواناً لأخبار متقدمة، وقصص سالفة»[٦].

وإذا رجعنا الى تعريف القدماء للعنوان، فإنا سنجدها تختلف وتتنوع، ولقد أورد المقريزي في كتابه: (المواعظ) ما يلى: «أعلم أن عادة القدماء من المعلمين قد جرت أن يأتوا بالرؤوس الثمانية قبل افتتاح كل كتاب وهى الغرض والعنوان والمنفعة والمرتبة وصحة الكتاب ومن أى صناعة هو وكم فيه من أجزاء وأي أنحاء التعليم المستعملة فيه»، كما أن للجاحظ رأياً في هذا المفهوم يقول فيه: «وكانوا لا يرضون بالكتاب إلا إذا كان مختوما ومعنونا كما في قول الجاحظ: «وقد يكتب بعض من له مرتبة في سلطان أو ديانة الى بعض من يشاكله، أو يجرى مجراه، فلا يرضى بالكتاب حتى يخزمه ويختمه، وربما لم يرض بذلك حتى يعنونه ويعظمه»[٧].

وقديما قيل «إن العنوان مشتق من العناية، لأن الكتب في القديم كانت لا تطبع فلما طبعت وعنونت، جعل القائل يقول من عنى بهذا الكتاب؟ ولقد عنى كتابه».

وقد جرت العادة في التأليف العربي القديم أن تتغلب عناوين مؤلفات العلماء على أسمائهم أي أن العالم أشهر ما يكون بمصنفاته مما سوى ذلك[٨].

ويورد المقريزي في كتابه «المواعظ» الرؤوس الثمانية التي لا سبيل إلى تجاوزها قبل افتتاح كل كتاب وهذه الرؤوس هي: «الغرض والعنوان والمنفعة والمرتبة وصحة الكتاب ومن أي صناعة هو وكم فيه من أجزاء وأي أنحاء التعليم المستعملة فيه» وهي العناصر الثمانية التي تضمن للمؤلف الذيوع والانتشار وتمنحه المصداقية والشرعية[٩].

وإذا افترضنا أن العمود الفقري للإبداع العربي القديم كان هو الشعر، وهو ديوان العرب، ومفخرتهم، فإن طرح التساؤل عن طبيعة تعاطي الشعراء ونقاد الشعر مع هذا المكون النصي يستمد مشروعيته من هذا الوضع الاعتباري المميز للشعر في الثقافة العربية.

وبالعودة الى الأبحاث الواردة في هذا المجال، فإننا سنجد أن أغلب الدراسات والأبحاث انصبت على ما يسمى بـ «المطالع والمقاطع» في حين كان نصيب العنوان في الشعر العربي قليلا، بالنظر إلى ما أولي لغيره من مكونات النص الشعري من أبحاث ودراسات.

وبالرجوع الى ما كتب حول خطاب «المطالع والمقاطع» سيجد الباحث نفسه أمام مدونة

عنوان الكتاب يمثل خارطة لموضوعاته

مصطلحية وافرة ومتعددة (الابتداءات أو الاستهلالات أو الافتتاحات)، الى درجة غدا معها المطلع من ضروريات المنجز الشعري، فحتى يكون الشعر أعذب لفظا، وأحسن سبكا، وأوضح معنى، فإن من واجبات الشعراء وإكراهات القصيدة العربية القديمة هو لزوم تأنق الأديب في ثلاثة مواضع من كلامه، وهذه المواضع هي: *الابتداء، والتخلص، والانتهاء*.

والابتداء: أن يكون مطلع الكلام شعرا أو نثرا أنيقا بديعا، لأنه أول ما يقرع السمع فيقبل السامع على الكلام ويعيه، وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه وإن كان في غاية الحسن»[١٠]، وهذا ما يذهب إليه التنوخي، حيث يخلص إلى أنه: ينبغي لمن نظم شعرا أو ألف خطبة أو كتابا أن يفتتحه بما يدل على مقصوده منه ويختمه بما يشعر بانقضائه، وأن يقصد ما يروق من الألفاظ والمعاني لاستمالة سامعيه إليه»[١١].

وهكذا تستوقفنا العديد من المؤلفات النقدية القديمة في الشعر والتي أولت عناية خاصة لمفهوم المطلع/ الابتداء، إذ يرى أبو هلال العسكري أن الابتداء في الكتابة الشعرية هو: «أول ما يقع في السمع من كلامك، والمقطع آخر ما يبقى في النفس من قولك؛ فينبغي أن يكونا مُونقين»[١٢].

أما عن المواصفات التى تؤهل صاحبها لكى يحوز على صفة الجودة والرونق، فإن للباقلانى رأي في هذا الباب، حيث يخلص الى أن هذه المواصفات لابد وأن تأخذ بعين الاعتبار ضرورة «مراعاة الفواتح والخواتم والمطلع والمقاطع والفصل والوصل، بعد صحة الكلام، ووجود الفصاحة فيه مما لابد منه، وأن الإخلال بذلك يخل بالنظم، ويذهب رونقه، ويحيل بهجته، ويأخذ ماءه وبهاءه»[١٣].

ومن بين أسباب ذيوع شعر بعض الشعراء، حسب ابن رشيق، إيلاء أهمية كبيرة لخطاب الفواتح والخواتم.. فقد قيل لبعض الحذق بصناعة الشعر: لقد طار اسمك واشتهر، فقال «لأنى أقللت الحز، وطبقت المفصل، وأصبت مقاتل الكلام، وقرطست نكت الأغراض بحسن الفواتح والخواتم ولطف الخروج الى المدح والهجاء، وقد صدق، لأن حسن الافتتاح داعية الانشراح، ومطية النجاح، ولطافة الخروج الى المديح، سبب ارتياح الممدوح، وخاتمة الكلام أبقى في السمع، وألصق بالنفس؛ لقرب العهد بها؛ فإن حسنت حسن، وإن قبحت قبح، والأعمال بخواتيمها، كما قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}»[١٤].

وانتقل أهل الأدب والنقد من تحديدات هذا المصطلح الى مواصفات إتقانه والتفنن فيه، فغدا الحديث، بكثير من التسليم، عمَّا يسمى بـ «براعة الاستهلال» و«براعة الاختتام».

يقول البغدادي في هذا المضمار: «وأما براعة الاستهلال فهى من ضروب الصنعة التى يقدمها أمراء الكلام ونقاد الشعر، وجهابذة الألفاظ، فينبغى للشاعر إذا ابتدأ قصيدة مدحاً أو ذماً أو فخراً أو وصفاً أو غير ذلك من أفانين الشعر ابتدأها بما يدل على غرضه فيها»[١٥].

وإذا تأملنا هذا الاهتمام الكبير بالمطالع والمقاطع في النقد العربى القديم مقابل الغياب الملموس للاهتمام بمحفل العنوان، فإننا سنخلص إلى أن النقاد العرب القدامى جعلوا نصب أعينهم مطالع القصائد لا عناوينها، ويعزو رشيد يحياوي غياب الاهتمام بمحفل العنوان في الثقافة العربية الى تعويضه بصيغ أخرى تحل محله وتؤدي ذات الوظيفة ومن بين هذه الصيغ المأثورة: «حسن المطالع» وذلك لما كانت تمثله مطالع المقدمات الثلاث الذائعة الصيت في بناء القصيدة العربية (الطللية والغزلية والخمرية)، ولما تحدثه من آثار في التلقى، حيث تصبح بمثابة وسيلة إغراء تشد القارىء لمتابعة القصيدة، فكانت هذه المطالع، بالنسبة إليهم، بمثابة العنوان المرشد، والدليل الى عالم النص.

القدماء كانوا أكثر عناية باختيار عنوان الكتاب

لكن إذا كان الأمر كذلك، لماذا اعتنى القدماء بهذا المرشد في تآليفهم الفكرية وأهملوه في تآليفهم الإبداعية؟ هل لأن

الفكر «يستوجب مرشدين يأخذون بيد القارىء الى عالم المفاهيم أم لأن الشعر ليس في حاجة لمرشدين وأن القصيدة هي مرشدة ذاتها ومرشدة غيرها إليها دون وسيط؟»[١٦].

لعل فهم القدماء لدور العنوان في الشعر العربي، باعتباره مجرد عتبة مرشدة الى المعنى، أدى إلى اختزال وظائفه المتعددة الى وظيفة وحيدة وواحدة ألا وهي نقل معنى النص، ففي اللغة ليس للعنوان أهمية في ذاته، ذلك أن مفهوم العنوان قديما «لا أهمية له سوى في كونه يدلك على شيء آخر. وكما ورد في القاموس: «كلما استدللت بشيء يظهرك على غيره فعنوان له»». وبذلك فالعنوان مجرد عتبة ومرشد، الأمر الذي أفقد هذا المفهوم زخمه وثراءه الواسعين.

وبانتقالنا الى تجربة الشعر الحديث، فإننا سنلقى أن العنوان أضحى يعرف الكثير من التطور والغنى، بدءاً من التخلي عن فكرة اعتبار العنوان مجرد وسيلة بسيطة لفهم أولي لمعنى النص الشعري (أي مجرد عنصر مُتَعَدَّى)، مروراً بالاعتراف الضمني بتفرد وتميز العنوان نظراً لكونه أصبح ينظر إليه كنص مصغر لا غنى عنه في اكتمال الكتابة الشعرية المعاصرة (عنصر لازم).

هكذا بات ينظر كل من الشاعر والناقد المعاصرين الى العنوان لا باعتباره مرشداً دالا نتعداه الى غيره، ولا مفتاحاً بسيطاً وميسراً لعملية العبور من خارج النص الشعري الى داخله، بل محطة لازمة فيه سواء على مستوى الإنتاج أو التلقي، حيث أصبح بالإمكان الحديث، وبكثير من الاطمئنان، عن شعرية النصوص المعروضة في النص الشعري الحديث انطلاقا من عناوينها.

ولمزيد من التوضيح، نستعير في هذا المقام تصور الشعراء الحداثيين لمفهوم العنوان، وذلك للتعبير عن طبيعة فهمهم لوظائف العنوان واستيعابهم لرهاناته الفنية.

مقدمة الكتاب تمثل البوصلة الحقيقية للكتاب

يقول الشاعر المهدي أخريف في هذا الصدد: «ليس العنوان بمفتاح ، أو لا ينبغي له، المفتاح أنت أيها القارىء، المفتاح حدسك وإحساسك، إصغاؤك وتفهمك المتفطن.. العنوان في أفضل أحواله دليل مضلل، العنوان قيد وفخ خطير إلا إذا كنت ممن يحرصون على حصر طيور الشعر في أقفاص التأويلات القارة، حينئذ يمكنك أن تعتمد على العناوين في تيسير «المهام القرائية» وخصوصا الإمساك بالطريدة المنشودة أو بيت القصيدة أو البنية الدلالية أو ما شئت»[١٧].

وإذا كانت تقاليد العرب تتركز على أهمية حفظ أبيات ومقاطع وقصائد الشعر، فإننا نتساءل مع

رشيد يحياوي هذا السؤال الجوهري والمشروع: «أليس الذي يعلق بذاكرتنا الآن هو العناوين؟ ألا تحتفظ هذه الأخيرة في ذاكرتنا بألقها وإشعاعها الشعري وكأنها أكثر شعرية من قصائدها»[١٨].

ونخلص في الأخير إلى أن انشغال الناقد العربي بالعنوان كان من منظور دور العنوان في صناعة الكتاب بصفة عامة، بينما كان غياب الاهتمام بمحفل العنوان في القصيدة العربية القديمة ملحوظا، وذلك ما يشكل نوعا من أنواع الانتقاص من قيمته في صناعة القصيدة، ولقد تم تعويض الاهتمام بالعنوان بخطاب المقاطع والمطالع في القصيدة العربية القديمة، من زاوية إعطاء الأولية لبراعة الاستهلال، ما دام هذا الاستهلال هو الذى بإمكانه استمالة القارىء ، والتأثير عليه من أجل الدخول الى عالم النص الشعري.

الهوامش :

(١) ابن منظور: (لسان العرب) المجلد الثالث عشر، دار صادر، بيروت، ص ٢٩٤.

(٢) أحمد عبد المطلوب: (معجم مصطلحات النقد العربى القديم)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، ص ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٣) (المنجد في اللغة والأعلام)، دار المشرق، بيروت، الطبعة الرابعة والثلاثون ١٩٩٤م، ص ٥٣٤.

(٤) مجدي وهبة وكامل المهندس: (معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب)، مكتبة لبنان، بيروت ط: ٢، ١٩٨٤م، ص ٢٦٢.

(٥) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٦) ابن أبى الإصبع المصري: (تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن)، تقديم وتحقيق: حفنى محمد شرف، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامى، القاهرة ١٩٩٥م، ص ١٦٨.

(٧) يراجع كتاب عبد الرزاق بلال: (مدخل الى عتبات النص، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم»، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء ٢٠٠٠م، ص ص ٢٨ ـ ٢٩.

(٨) المرجع نفسه، ص ٣٠.

(٩) المرجع نفسه، ص ٢٨.

(١٠) أحمد مطلوب: (معجم مصطلحات النقد العربى القديم)، مرجع سابق، ص ٢٨.

(١١) المرجع نفسه، ص ٩٢.

(١٢) أبو هلال العسكري: (كتاب الصناعتين)، تحقيق: على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، عيسى البابى الحلبى وشركاؤه، القاهرة ط: ٢، ١٩٧١م، ص ٤٥٥.

(١٣) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى: (إعجاز القرآن) تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٤م، ص ٢٤١.

(١٤) ابن رشيق القيرواني: (العمدة)، تحقيق وتعليق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الرشاد الحديثة، (ب.ت) ص ٢١٧.

(١٥) أحمد مطلوب: (معجم مصطلحات النقد العربي القديم)، مرجع سابق، ص ١٢٦.

(١٦) رشيد اليحياوي: (الشعر العربى الحديث، دراسة في المنجز النصى)، افريقيا الشرق، ط ١، ١٩٩٨م، ص ١١٠.

(١٧) المهدي أخريف: (العنوان في الشعر ضرورة أم خدعة؟) جريدة (العلم) الملحق الثقافي، السبت ٣٠ يناير ١٩٩٩م، ص ٠٧.

(١٨) رشيد اليحياوي: (الشعر العربى الحديث، دراسة في المنجز النصى)، مرجع سابق، ص ١١٠.

(الاثنينية) معلم ثقافي عربي سعودي في جدة



شعار الاثنينية



عبد المقصود خوجه

□ (إثنينية عبد المقصود خوجة) في جدة بوتقة نشاط فكري وثقافي وإنساني مضت تستضيف كل يوم (اثنين) تقريباً واحدا من أعلام أدب وعلم وفكر في العالم الإسلامي خصوصاً منه الوطن العربي، تغمرهم بالحفاوة في حشد من رجال الأدب والفكر في جدة حيث يشد الرحال للمناسبة أعلام فكر، وأدب وسياسة من مختلف أنحاء المملكة بما فيها العاصمة الرياض لتثمين جهود فارس الإثنينية وانجازاته العلمية والفكرية أو الأدبية ونحوهما أو هذه جميعاً أو غيرها، فيلقي من على المنصة الشرفية الزاهية بفضاء رومانسي بهيج مفتوح : بعض الكتّاب والأدباء كلمات عن المحتفى به، وعن بعض أعماله بعد إشادة صاحب الإثنينية بجهوده في إثراء المكتبة العربية خصوصاً والإسلامية عموماً لتحال الكلمة للمحتفى به ليتحدث عن السيرة العلمية والإنسانية، ثم يأتي دور الجمهور من الكتاب والأدباء وبعض من أساتذة الجامعات في المملكة في طرح أسئلتهم وانشغالاتهم من واقع ميدان الضيف وتأليفه ونشاطه ثم تختتم الأمسية بعد منتصف الليل بوجبة طعام فاخرة تتلو إهداء (فارس الإثنينية) درعها التاريخي الرمزي.



أ.د. عمر بن قينة

الجـــزائـر

الإثنينية لصاحبها : (المفكر رجل الأعمال الشيخ عبد المقصود خوجه) هي ندوة أدبية وفكرية أسبوعية ودار نشر ثقافي للتراث بالمملكة كما تنشر كل فعاليات (الإثنينية) في مجلدات سنوياً كما أنها ذات طابع خيري وإنساني.

هي معلم ثقافي عربي سعودي بارز في جدة تمد بعونها نوادي ومؤسسات بالعون وتفتح ذراعيها لكل أبناء (الضاد) من ذوي الإسهامات البارزة الجادة في وطننا العربي من (الرباط) إلى (بغداد) بل كما قلت في كلمتي على المنصة (من طنجة إلى جاكرتا).

هي معلم ثقافي لا يشكك فيه أحد، بدت استثناء أو كالاستثناء في وطننا العربي حيث يتنافر (العلم) و(المال) ولا يلتقيان! ها هنا التحما في دار تأسست على (التقوى) وحب الخير فاجتمع المال الشرعي مع العلم لأهداف نبيلة لخدمة الثقافة العربية من أقصى المحيط إلى أعالي الخليج، فلم يغب (المغرب الإسلامي العربي) فكرمت الإثنينية الموريتاني والمغربي وكنت الجزائري الذي شرف بتكريمها يوم ١٤٢٦/١/٢٦هـ/ ٢٠٠٥/٢/٧م، ليحل ضيفا بها من المغرب أخيراً كاتب آخر، هو المفكر الإسلامي (أ.د. حسن الوراكلي) الأستاذ في جامعة الملك عبد العزيز يوم الاثنين ١٤٢٦/١١/١٧هـ/ ٢٠٠٥/١٢/١٩م، حيث التأم جمع من رجال الفكر والرأي وبعض من رجال السياسة أيضاً من بينهم (السفير المغربي) الذي حضر للمناسبة من الرياض فعبر هذا الرجل الذى لا أعرفه عن مستوى حضاري رفيع من السلوك والتفكير، وهذا موضوع آخر أبتعد عن الخوض فيه مقارنة ومناقشة فشجونه دامعة.

كان بهاء الأمسية في الإثنينية بضيفها العلم المغربي المفكر الجامعي (حسن الوراكلي) الذي قضى قرب بيت الله الحرام نحو عشرين سنة وبصاحبها وبروادها لتكون مسك الختام لهذا الفصل الأول من العام في انتظار طبع (فعاليات الأمسية) في مجلد كتقليد اتبعته الإثنينية منذ نحو ربع قرن حين نشأتها سنة (١٤٠٣هـ/١٩٨٢م) وقد كان أول من كرمته صاحب مجلة (المنهل) الشيخ الأستاذ (عبد القدوس الأنصاري) رحمه الله يوم ١٤٠٣/١/٢٢هـ/ ١٩٨٩/١١/٨م، فانطلق من هنا عطاؤها لتكريم الأعلام، من بين عالم وأديب وشاعر وغيرهم من المبدعين في مختلف مجالات العطاء الإنساني من داخل المملكة وخارجها أسبوعياً في (الإثنينية) المعلم «ومعظمهم من خلاصة الصفوة في تخصصاتهم المتنوعة» كما جاء في مقدمة أول مجلد حيث باح الشيخ عبد المقصود خوجة بفكرة هذا المشروع الحضاري الفكري.

«لقد كان عشق الكلمة والحب لأصحابها يختلط بأيامي وسنوات طفولتي الباكرة: فمن جلسات الصباح التى كان يلتقي فيها نخبة من كتاب وشعراء وأدباء الوطن في مكتب والدي - محمد

سعيد عبد المقصود خوجة ـ رحمه الله ـ رئيس تحرير أول صحيفة صدرت في عهد مؤسس المملكة وموحدها (الملك عبد العزيز ـ رحمه الله) إلى تلك الأمسيات الباذخة والزاخرة التى كان يعقدها والدي يرحمه الله على ضفاف مواسم الحج من كل عام في الليلة الثانية من ليالي عيد الأضحى المبارك على شرف أدباء وكتاب وشعراء ومفكري العالمين العربي والإسلامي.

كان الحب على امتدادها يتجذر.. وكان العشق على أمدائها يستطيل سنديانات وأشجار سرو وكان الفؤاد الصغير يتوه بين ما يسمعه ولا يفهمه وبين القليل الذي يفهمه كلمات ويجهله معاني».

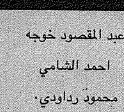
ها هنا (خميرة الإثنينية) التى أشار صاحبها إلي أنها: «بصورة أو بأخرى تختلط بأيامي وذكريات طفولتي فهي عبارة عن (خميرة) ظلت في عقلي الباطن إلى أن وجدت البيئة المناسبة لتخرج بالشكل الذي ترونه اليوم»، وهي ختاما كما يقول صاحبها.. «في معناها ومبناها عبارة عن كلمة شكر وتقدير لبعض المبدعين الذين أتمنى أن يستمر تواصلنا معهم لنعّبر لهم عن مكنون نفوسنا تجاه ما قدموه لأمتهم ومجتمعاتهم وإثراء حياتنا بإبداعاتهم».

إن كنت خططت لهذه الكلمة بالتوقف هنا فقد بدا لي من الضرورة ألا نهمل من جوانبها الأخرى جهودها الخيرية الخيرة في النشر، في المقدمة: (كتاب الإثنينية) السنوي هو مجلد يتضمن نشاط (الإثنينية) في ندواتها فنشر من ذلك حتى اليوم ثلاثة وعشرون جزءاً في أربعة وعشرين مجلداً بين (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م) و (١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م) وسعدت بضمها لمكتبتي مع كل العنت بحملها إلى (الجزائر) بمناسبة تكريمي كجزء من ذلك هذا فضلا عن مجلدات أخرى في قضايا الفكر والثقافة.

كما سعدت بالدفعة الثانية من منشورات (الإثنينية) خارج فعالياتها منها ما أخذ طريقه إلى الجزائر ومنها ما لا يزال ينتظر الفرصة السانحة ومن هذه المجلدات دراسات فكرية وأدبية ودواوين شعرية لمفكرين وأدباء وكتاب من المملكة العربية السعودية ومن خارجها أذكر هنا من الدواوين الأعمال الشعرية الكاملة للشامي في ثلاثة أجزاء ديوان زكي فيصل في ثلاثة أجزاء أيضاً ومن الدراسات (عبد الله بلخير) شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية، لمحمود رداوي والتوازن معيار جمالي للدكتورة (غادة الحوطي) فضلا عن غيرها من نظير ونحوه في الدراسات وفي الإبداع مثل «سوانح وآراء في الأدب والأدباء» للدكتور بدوي طبانه.

لا جدال إذن في كون (الإثنينية) معلم ثقافي عربي نشأ لخدمة الثقافة والفكر والأدب وتثمين جهود الرجال، في هذه الميادين تكريماً وكرماً في النشر والتوزيع لأهداف نبيلة بعيداً عن ظلال المآرب مهما كانت طبيعتها في منأى عن أية مكاسب مادية، خارج المكاسب المعنوية للنشاط الأدبي والفكري والحركة الثقافية في الوطن العربي ■

إصدارات (سلسلة الاثنينية)



اســـم الإصـــدار	اســـم الكاتب
(الاثنينية من الجزء الأول وحتى الجزء الثاني والعشرين)	عبد المقصود خوجه
١ـ ديوان الأعمال الكاملة للشامي (٣ أجزاء)	احمد الشامي
١/١ـ عبد الله بلخير شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية	محمود رداوي.
٢/١ـ ديوان عاصفة الصحراء	محمود عارف
٣/١ـ ديوان الأربعون	عبد السلام هاشم حافظ
٤/١ـ ديوان قلبي على وطني	يحيى السماوي
٥/١ـ ديوان جرح باتساع الوطن	يحيى السماوي
٦/١ـ ديوان حصاد الغربة	د. زاهد زهدي
٢ـ ديوان زكي قنصل (٣ أجزاء)	زكي قنصل
٣ـ البهاء زهير	محمد ابراهيم جدع
٤ـ التوازن معيار جمالي	د. غادة الحوطي
٥ـ سوانح وآراء في الأدب والأدباء	د. بدوي طبانة
٦ـ ترجمة حياة	محمد حسن فقي
٧ـ ديوان قوس قزح	مصطفى الزرقاء
٨ـ عبد العزيز الرفاعي من المهد إلى اللحد (جزءان)	احمد سالم باعطب
٩ـ ديوان الأعمال الكاملة (ج ٩)	محمد حسن فقي
١٠ـ ديوان أوراق من هذا العصر	د. خالد البرادعي
١١ـ ديوان زمن لصباح القلب	فاروق بنجر
١٢ـ الشعراء في اخوانياتهم	خالد القشطيني
١٤ـ الغربال	حسين عاتق الغريبي
١٥ـ ديوان حلم طفولي	سعد البواردي
١٦ـ الأعمال الكاملة للشاعر احمد الغزاوي (٦ أجزاء)	احمد ابراهيم الغزاوي
١٧ـ المجموعة الكاملة لآثار الأديب السعودي محمد سعيد عبد المقصود خوجه	حسين عاتق الغريبي

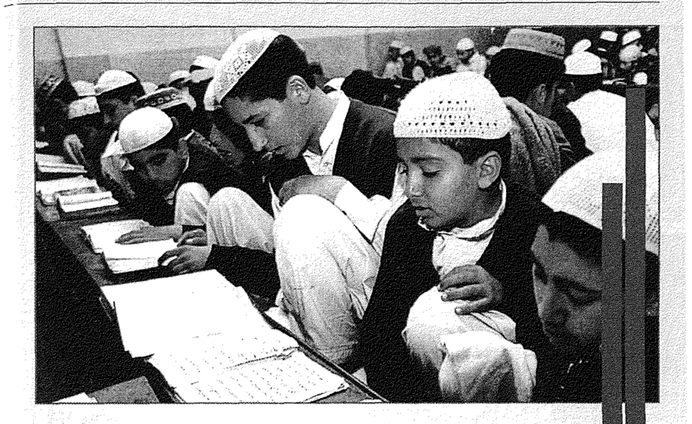








الاثنينية جدة – هاتف : ٦٩٨٢٢٢٢



□ اهتم الاسلام بالتعليم باعتباره ضرورة من ضرورات الحياة ، فنحن بحاجة إذن إلى منهج علمى متكامل يستمد أساسياته من الثوابت الاسلامية نستطيع به حل مسائلنا وتساؤلاتنا الحياتية ، وليس الأمر هينا كما يتبادر إلى اذهان البعض ، فهذا التصور الكبير لنشر هذا المنهج وتعميمه في أرجاء العالمين العربي والاسلامي يحتاج من القائمين على أمور التربية والتعليم والثقافة جهودا مضاعفة لأن المسألة هنا لا تتعلق بنشر منهج علمى فحسب وانما المسألة تتعلق أيضا ببناء انسان متكامل ، ولن يتأتى لنا هذا البناء إلا بغرس الإيمان في القلوب والنفوس كمدخل هام من مداخل تكوين منهج إسلامى متكامل .

التعليم الإسلامي

الانســان إذن هو العنصــر الحـيـوي الهـام لمشــروع نشــر المنهج الاســلامى أولا واخـيــرا، ويشترط في هذا الانسان حضوره المستمر لتطبيق النهج الاسـلامى القويم، فهو أي «الانسـان» خلقه الله سـبـحـانه وتعـالى ليكون خليـفتـه على الأرض لعمارتها، ومن المظاهر الاساسية للعمارة تسـخير ما في الطبيعة الكونية من خامات لصنع الرخاء والارتقاء بمستويات الفرد المعيشية، ويتجلى هذا التسخير في عالم اليوم في التقنية والتصنيع، ولا يمكن تحـقـيق تقـدم مـشـهـود في هذين المجـالين الهـامين الا بفكر نير وقيم انسانية عالية، ويهتم الاسلام اهتماما كبيرا بفكر الانسـان وقيمه، وهذا يعنى أن تقدم البشرية مـرهون في حقيقـة الأمر بتوافر افكار خلاقة مبدعة وقيم صلبة تحـافظ على سـلامـة الفرد وكيـانه، والأمـة الاسـلامـيـة تتـمـتـع بتــجـربـة فـريدة أدت الى قـيــام دولة قـويـة أبّان الفتوحات المظفرة، وما كان ذلك ليتحقق لولا تمسك المسلمين «وقتذاك» بمفـهـوم التوحيد، وهو من أهـم المفاهيم الأسـاسية لبناء التقدم، وقد ارتبط توحيد الأمـة الاسـلامـيـة كمـا نعلم بكل عـمـليـة تعليـمـيـة وتربوية منذ فجر الدعوة الى الاسلام.

إن الأمة الاسـلامية مطالبـة اليوم بالعودة الى حظيرة عقيدتها الربانية المثلى، وها نحن نرى بأم العين في مـعظم الدول العـربيـة والاسـلامـيـة أن السـيـاسـة التـعليـمـيـة في تلك الربوع تمر بمـحنة خطيرة للغاية حينما الغى المنهج التعليمى التربوي واستبدل بالمناهج الغربية، فكانت النتيجة ما نراه اليـوم من تحـول الحريات الضـرورية الى قـوانين طبيعية أرضية، فأضحت ديارنا الاسـلامية «صورة طبق الاصل» من النماذج الغربيـة، فـاقدة لوعـيـهـا تمامـا، وغـيـر قـادرة على اسـتـيـعـاب الحـضـارة وتجـاوزها، وهـذه لعـمـري أم المشـاكل التى تعـانى منها الأمة الاسلامية الأمرَّين في عصرنا الحاضر، فـتـحـولنا الى المناهج التـربوية الغـربيـة ادى الى تحـول مـسـيـرة التـعليم في ديارنا الاسـلامـيـة الى تلقـائيـة كـاملة قـوامـهـا التـقـليـد ليس في مـراحل التعليم المختلفة فـحـسب وإنما في مـراحل البحث العلمي أيضـا.

ابـتـعـاد المسلمين عن عـقـيـدتهم الاسـلامـيـة هو سـبب تخلفـهم وانتكاسـاتهم المتلاحـقـة، وتاريخنا الاسلامي يشهد أننا صنـاع حضارة متميزة سبقنا بهـا دول العـالم كلهـا، فـعـرفنا نظريات العـقل التجريبى على يد الحسن بن الهيثم قبل أن يتطور

محمد حمد الصويغ

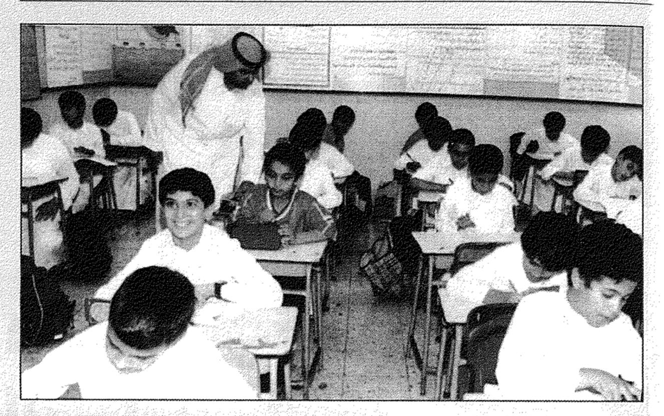
الدمام - السعودية

في بلدان الغرب، وعرفنا نظريات العقل المجرد على يد الحارث بن أسد المحاسبي، وعرفنا الكثير من النظريات في الطب والجبر والوراثة على يد كبار العلماء المسلمين، فلا شك أن الحضارة الإسلامية كانت حضارة متعددة الثقافات، وكانت تلك الحضارة «في وقتها» متبوعة وليست «تابعة» لأنها حضارة استمدت قوتها من مبادىء الشريعة الاسلامية التى كانت تمثل الأساس الوحيد لبناء الإنسان المتعلم، فابتعاد الأمة الإسلامية عن عقيدتها أدى إلى الاعتقاد السائد بأن المنهج التعليمى هو مشروع غربى في أساسه، وأن علينا الاقتداء به شكلا ومضمونا، فالمشكلة التى تعانى منها الأمة الاسلامية اليوم الأمرين تتمحور في الاقبال على النهج التعليمى الغربى واهدارها لعملية المطابقة بين «*العلم والعمل*» كما كان يحدث ابّان مجدها القديم.

فالتعليم الاسلامي اذن لابد أن يقوم على تخلّق «المعلم والمتعلم» بخلق القرآن الكريم، وهو دستور أمة الاسلام، لابد أن يقوم على عملية غرس ذلك الخلق العظيم في نفوس الناشئة لنصل بعد ذلك الى تحقيق «النموذج القرآنى» كأهم مرحلة نبني على أساسها سياستنا التعليمية والتربوية والثقافية والمعرفية، ونبنى كذلك على أساسها خطواتنا نحو البحوث العلمية، ليكون لنا بعد ذلك وجهنا المميز عن الغرب، وأسلوبنا الاسلامى الذي نعرف به في مجال العملية التعليمية بكافة مراحلها.

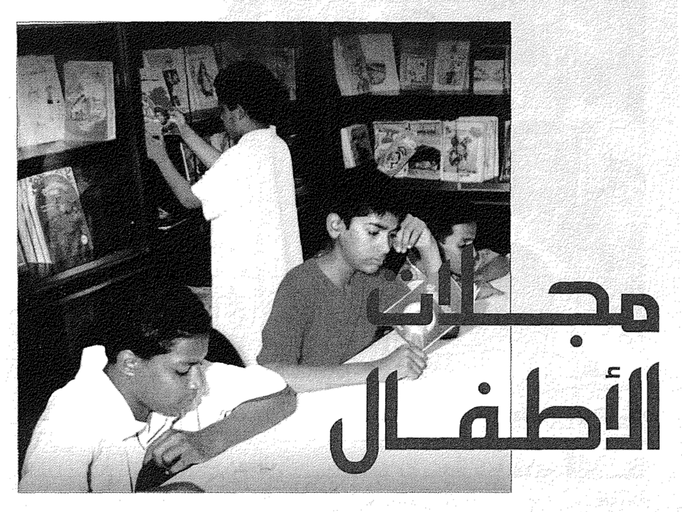
وهذا المنهج التعليمى الاسلامى لابد أن تأخذ به دولنا العربية والاسلامية كافة إذا أردنا الوصول إلى مرحلة «النهج القرآنى» منذ المرحلة الأولى لتكوين الإنسان وبنائه فكريا، أي منذ مراحل الدراسة الأولى، ولعل خير ما يمكن البدء به في هذه المرحلة هو تحفيظ الطفل القرآن الكريم، ثم في المراحل التالية ابتداء من مرحلة الاعداد لابد أن نقرن مبادىء العلوم الأساسية بعلوم القرآن، ولابد في هذه المرحلة أيضا من دراسة «تأسيس العلوم» عند المسلمين منذ مرحلة اشتغالهم بها حتى نتمكن من تنمية الشخصية الاسلامية في نفس الطالب.

وفي مجال البحوث العلمية لابد من التركيز على «مرحلة المصاحبة» وهى مرحلة لا تخفى على المشتغلين بالتاريخ الاسلامي حيث كان الطالب المسلم يستفيد من أساتذته «بمصاحبتهم» أو ملازمتهم ليأخذ العلم منهم مباشرة، ويتأثر بهم، فبناء الاجيال المسلمة لا يتأتى عن طريق الحصول على شهادة عليا فحسب، ولكنه يتأتى من خلال حصوله على التجربة والخبرة من اساتذته ومربيه في مجال تخصصه.



أمام فوضى الانترنيت والفضائيات المفتوحة ينبغى تحصين الشباب بثوابت هذه الأمة

وللوصول الى «النموذج القرآنى» الذى أشرت اليه في مجال التعليم الاسلامى فلابد أن يعايش الطالب عقيدته الاسلامية معايشة يومية، اى أن تكون العلوم القرآنية منهجا له في حياته العلمية والعملية فيما بعد، وأن لا تكون منفصلة عنه أبدا، فلابد في حالة كهذه أن نوائم بين العلوم النظرية وتطبيقها العملى حتى لا يكون العلم في واد والعمل به في واد آخر، وأظن أن المشكلة التعليمية داخل دولنا العربية والاسلامية تنبع من هذه «الاشكالية» فنحن نهتم بالعلوم النظرية اهتماما كليا ونهمل التطبيق العملى لما درسناه، وفي ضوء هذه المواءمة المطلوبة فلابد لنا من إعادة النظر في مناهجنا التعليمية في كثير من اقطارنا العربية والاسلامية، وأعود لأركز ثانية على اننا مطالبون حينما نرسم سياستنا التعليمية لاسيما في المراحل النهائية، وأعنى بها مراحل «البحوث العلمية» للحصول على الدرجات العلمية في أي مجال علمى أن نهتم بمرحلة «المصاحبة» لأن حصول الطالب على «الخبرة» العملية المباشرة لا يتم الا بتنفيذ هذه المرحلة والتقيد بها ■



مجلات الأطفال

□ *تعتبر الصحف والمجلات من أهم وسائل الإعلام المعاصرة التى تنقل المعلومات والأخبار الى القارىء ورغم ظهور الكثير من وسائل الإعلام الحديثة والمتعددة إلا أن المطبوعات مازالت تحمل عناصر البقاء والتشويق والإثارة.*

«وتتبع المجلات الصحف عادة وتشبهها الى حد كبير في كثير من الخصائص والمميزات لكنها تنفرد عنها بالتالي[١]:

١ ـ التخصص، فهناك مجلات علمية، وأخرى سياسية واقتصادية وغيرها.

٢ ـ التنوع في المحتوى بين الأدب والفكر والثقافة.

٣ ـ القدرة على التحليل والتفسير للمادة.

٤ ـ المزج بين المادة المكتوبة والصور والرسومات.

٥ ـ القالب الفني المتميز (ورق، ألوان، إخراج).

لذلك يقبل الناس على المجلة باعتبارها مصدرا إضافيا من مصادر المعرفة وهي ليست بديلا عن الصحيفة.

وكما يهتم الكبار بالمجلات وينجذبون إليها، فإن الأطفال ينجذبون وبصورة أكبر تجاهها، حيث تعد المجلة حديقتهم وبيئتهم التى يتعايشون معها. ولعل أبرز خصائص مجلة الطفل التى تدعو الصغار لاقتنائها ما يلي:

ـ متخصصة في معارفهم وأدبهم وثقافتهم.

ـ تتبنى كتابات الأطفال، وتستقبل رسائلهم وتنشر إنتاجهم وصورهم.



أ. د. مصطفي رجب

عميد كلية التربية - سوهاج - مصر

- تصقل مواهبهم، وتنمي قدراتهم.
- تنقل أخبارهم ونشاطاتهم.
- تساير قدراتهم العقلية، وتتفهم نفسياتهم.
- تعتمد على الرسم والصورة إضافة للكلمة المكتوبة، باعتبارها وسيطا محببا لنقل المعرفة.
- ترعى هواياتهم وتمنحهم فرصة تنميتها.
- توفر لهم القدوات (الأبطال) حيث يقلدونهم لا شعوريا.
- تقدم تاريخ الأمة وأحداثها للطفل من خلال مواد قصصية محببة.
- تشجع الأطفال على القراءة، وتدعم قدراتهم التعليمية.
- المجلة «الإسلامية» تؤصل لدى الأطفال المفاهيم الإسلامية الأساسية، بصورة مبسطة وبطريقة شيقة[٢].
- تقدم لهم جرعات مناسبة من العلوم والمعارف والثقافات المفيدة.

من ذلك يتضح أن مجلات الأطفال تتميز بخصائص عديدة جعلتها متفردة عن باقي الوسائل الاتصالية الجماهيرية الأخرى. منها جاذبية الألوان، والجمع بين الكلمة والصورة واللون، كما تتمتع بجاذبية الغلاف، والعرض الشيق والأسلوب الصحفي السهل الممتع، كما تتنوع مادتها وأبوابها، وكذلك رخص ثمنها مقارنة بالكتب القصصية وغير القصصية، كما تتمتع مجلة الطفل بجميع الخصائص التى تميز الكلمة المطبوعة حيث يتوفر فيها عنصر المبادرة الكلية من جانب المتلقي، فالطفل يمكنه اختيار ما يروق له من مواد منشورة على صفحات المجلة. فكل هذه الخصائص جعلت المجلة الصادرة للطفل وسيلة اتصال هامة وضرورية للطفل ونموه في جوانب عديدة علاوة على تسليته وإمتاعه وإشباع رغباته نحو القراءة والتعلم والترفيه.

وهناك الكثير من الدراسات التى تناولت خصائص مجلات الأطفال ومن أبرز الخصائص التى تتسم بها مجلات الأطفال:

١ - أنها وسيلة اتصال جماهيرية تعكس جوانب من الثقافة العامة للمجتمع بقدر كبير من التنوع.

٢ - أنها وسيلة سهلة ويسيرة ويمكن حملها دون عناء يذكر، كما يمكن الاحتفاظ بها، والرجوع إليها أكثر من مرة للتحقق مما فيها من معلومات، واسترجاع ما فيها من معارف والاستمتاع بما تحويه من قصص.

٣ - تصدر بصفة دورية منتظمة مما يتيح لها تكوين علاقة بالطفل بحيث ينتظر صدورها ويهتم بقراءتها واقتنائها، وسمة الانتظام الدوري غير المنقطع أو المتباعد ، تهيء الفرصة للمجلة لكي تتيح للطفل الاطلاع على كل جديد من أخبار وأحداث وقضايا.

٤ - تتيح للطفل القارىء السيطرة على الموقف القرائي حسب ظروفه، فهو يقرأ عندما يريد، وأينما يريد، وكما يريد.

٥ - تستخدم الألوان التى تعطي للمجلة جاذبية خاصة.

٦ - تتسم باستخدام لغة تناسب عمر الطفل، وأسلوب يتسم بالسهولة والوضوح والجمال.

٧ - تخاطب مرحلة عمرية محددة في حياة الطفل.

المجلة .. وسيلة تربية وتوجيه وتثقيف

٨ ـ تعطي اهتماماً خاصاً بالمسابقات والهدايا، وتعتمد عليها بشكل أساسي في زيادة التوزيع وجذب قراء جدد.

٩ ـ تهتم بنشر معلومات عن عالم النبات والحيوان والطبيعة.

١٠ ـ تعتمد على الصور والرسوم الى جانب كثرة القصص وتنوعها، مع التركيز على شخصيات معينة أو على ما اصطلح على تسميته بالأبطال.

ويمكن إجمال ما تتميز به مجلات الأطفال من خصائص على النحو التالي:

(١) أنها تعتمد على تصوير المعاني وتجسيدها من خلال الكلمة المطبوعة النابضة بالحياة والجاذبية، وعن طريق تحويل الصفحات الى لوحات فنية ذات جمال ومعنى تناسب قدرات الأطفال على استخدام أعينهم وتيسر لهم القراءة وتنمي قابليتهم على التذوق الفني وتساعدهم على تكوين صورة ذهنية إيجابية.

(٢) أنها تعتمد بشكل أساسي على الصور باختلاف أنواعها (فوتوغرافية، مرسومة، ساخرة، توضيحية) مع ما تتميز به الصورة من لغة يستطيع الأطفال مهما اختلفت مستويات ذكائهم وتعليمهم فهمها والتأثر بها.

(٣) أنها تتمتع بجميع الميزات التى تميز وسائل الاتصال المطبوعة، إذ تيسر للطفل فرص الاختيار من بين المجلات المتاحة في مجتمعه أو بيئته، وتتيح له

مجلة الطفل في عالمنا العربي .. تجربة في حاجة الى الكثير من التجويد والتدقيق

إمكانيات التحكم في ظروفه إذ يتاح له قراءتها في أي وقت أو أي ظرف يشاء، كما يمكن أن يستغرق الوقت الذي يناسبه في القراءة حسب مقدرته اللغوية على الفهم، وأن يعود الى قراءة المجلة، أو موضوعات معينة منها متى يشاء.

(٤) أن مجلة الطفل بمرور الوقت تتحول الى صديق له إذ تنشأ بينه وبين شخصيات المجلة وأبطالها وكتابها علاقة شخصية حميمة، ويرسم لهم صوراً في خياله ويثق بهم الى حد كبير ويتفاعل معهم بل قد يصل ذلك الى درجة التوحد مما يؤدي الى نتائج مختلفة قد تكون إيجابية أو سلبية.

فكل ما سبق من خصائص عديدة لمجلة الطفل جعلها وسيلة اتصالية هامة وضرورية للطفل لما تتميز به من خصائص ومميزات جعلتها تفوق الكثير من الوسائل الاتصالية الحديثة مثل (الإذاعة والتلفزيون) وغيرها.

فالأطفال ينجذبون إلى الألوان الزاهية والأغلفة الجذابة المصقولة، والموضوعات الشيقة المدعمة بالصور والرسوم بأسلوبها السهل البسيط، وتنوع المادة المتناولة بتنوع تخصصاتها، وتعدد الأبواب التى تتناول الجوانب المختلفة، كل ذلك جعل الأطفال يتشوقون وينجذبون الى المجلة، فتعتبر المجلة بالنسبة للأطفال حديقة غناء وارفة الظلال مليئة بالأزهار.

فالطفل يستمتع بالنظر الى صفحاتها فيروح عن نفسه وذلك من خلال الأبواب والموضوعات الترفيهية والمسلية، ويقطف منها ما يشاء من زهور وورد وذلك من خلال قراءة ما يروق له من موضوعات متعددة المشارب والتخصصات (علمية وأدبية وثقافية ودينية وترويحية)

كل ذلك من خصائص جعل مجلات الأطفال الصادرة لهم على قدر كبير من الأهمية الذى لا يقل عن دور الأسرة تجاه أطفالها لما لها من مميزات عديدة وجعلها أيضاً على قدر كبير من التميز في تقديم خدماتها الهادفة في تنشئة وتثقيف الأطفال.

وظائف مجلات الأطفال :

تؤدي الصحافة ومجلات الأطفال دوراً هاماً في عملية تثقيف الأطفال وتشكيل شخصياتهم وكذلك تقوم بمهام ووظائف عديدة تنبع من أهمية هذه الوسيلة الإعلامية والتربوية والتثقيفية تجاه الأطفال ونموهم من جميع النواحي.

والصحافة كقوة حضارية تستطيع أن تقوم بدورها بالتأثير في تكوين الشخصية الإنسانية الحضارية المرنة التى تتفاعل مع الآخرين، خاصة إذا قامت الصحافة بأداء مهمتها. وبوظائفها الست الرئيسية المعروفة وهي:

- الأخبار والإعلام Information
- الرأي والتفسير - أو الشرح والتعليق Inter-operation.
- التعليم والتثقيف العام أو التوجيه والإرشاد.
- التنشئة الاجتماعية Guidance.
- الترفيه والتسلية Socialization.
- الإعلان والتسويق Entertainment.

ولا شك أن هذه الوظائف الست للصحافة تنطبق - الى حد كبير - على الصحف والمجلات الموجهة الى جمهور الأطفال من وظائف متعددة لا تقل في رسالتها عن دور الأسرة في التربية والتثقيف والتعليم.

ولصحافة الأطفال دور كبير في تنمية الأطفال عاطفياً وأدبياً واجتماعياً حيث تعتبر «أداة توجيه وإعلام، وإمتاع وتنمية للذوق الفني، وتكوين عادات ونقل قيم ومعلومات وأفكار وحقائق وإجابة لأسئلة الأطفال وإشباع لخيالاتهم وتنمية ميولهم القرائية».

فصحافة الأطفال - المتمثلة في مجلاتهم - لها دور كبير ووظائف عديدة تجاه تثقيف الطفل وتعليمه وإثراء معارفه وتشكيل شخصيته الخلاقة وفكره الناقد البناء، وذلك من خلال تقديم الخبرة الأولى للقراءة والتذوق الفني والجمالي.

المجلة وسيلة تواصل للطفل مع العالم

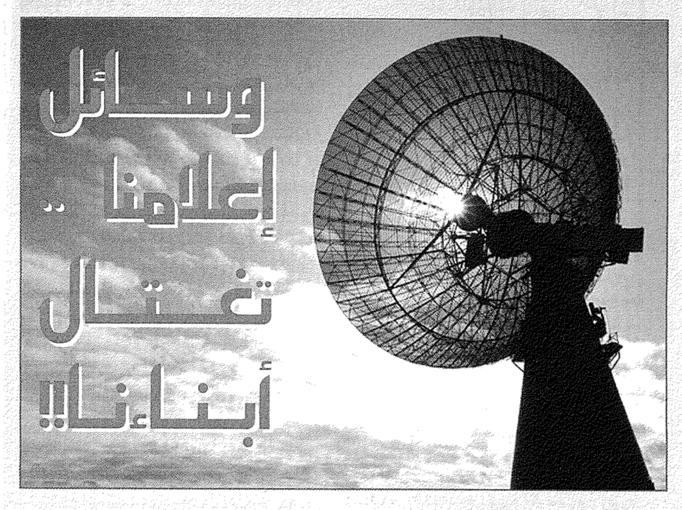
ومجلة الطفل المطبوعة كمصدر ووسيلة للترفيه والرقي والتسلية المفيدة وكعامل أساسي في عملية تثقيفه وتشكيل شخصيته وتوسيع دائرة معارفه، تؤكد على ما يميز المجلة المطبوعة كوسيطة بالنسبة لحياة الأطفال الى جانب وظيفتها الثقافية والترفيهية فهي تحقق لهم الرغبة في التملك والاقتناء، وفي محاكاة من هم أكبر سناً بممارسة القراءة والانفراد بالذات.. الى جانب ما تحققه لهم من ممارسة أنشطة حياتية كالشراء والاختيار سواء بالنسبة لمجلة معينة دون غيرها أو لوقت التعرض لها وترتيب الاختيار بالنسبة لفقراتها المختلفة.

وذلك من منطلق أهمية المجلات بصفة عامة ومجلات الأطفال على وجه الخصوص ودورها الواضح في الإعلام والثقافة، فقد استطاعت المجلات أن تقوم بالكثير من الوظائف فمنها «أن المجلات تمد القراء بالمتعة والثقافة، والتى تبدو في بعض الأحيان على أنها وسيلة الإعلام القومية الوحيدة الصادقة كما تقدم مجلات الأطفال للقارىء معلومات إيجابية مختلفة في شكل ارشادات ونصائح ■

الهوامش :

(١) مالك ابراهيم الأحمر، نحو مشروع مجلة رائدة للأطفال، كتاب الأمة، العدد ٥٩ - قطر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ١٩٩٧م، ص ٨١.

(٢) ثروت فتحي كامل، فنون الكتابة في مجلات الأطفال، دراسة تطبيقية لمجلة ميكي وسمير عام ١٩٨٧م، ص ٢٧.



□ مرت أمتنا العربية على مدار تاريخها الطويل بأحداث جسام، نجحت في تخطيها والتغلب عليها، وهذه الفترة ومنذ اندلاع الانتفاضة الفلسطينية وهياج العدو الصهيوني، تعيش الأمة العربية أزمة طاحنة بين الشعب الفلسطيني والكيان الصهيوني، وزاد على أمتنا الصراع الإنجلأمريكي، فالشعب الفلسطيني يحاول أن يحصل على حقه في الحرية، وتكوين دولة مستقلة كما سبقه على الدرب نفسه جميع الدول العربية، ولكن هذا العدو الصهيوني الشرس يأبى أن يحقق له ما يريد، ويحاول اغتصاب كل حقوقه، ودفنها بأبشع الطرق؛ فقد حوَّل هذا العدو الشعب الفلسطيني إلى مجموعة كتائب قتالية، حوّل مساكنهم ودورهم إلى مخيمات، ذلك الاسم الذي يرى بعض السياسيين أنه كلمة عربية متفائلة؛ لأنه يعني الإقامة المؤقتة؛ في موقع عابر، ومحطة سريعة، وخيمة عارضة ينتظرها بيت دافيء كمخيمات الإيواء التى تقام لمن تهدم بيوتهم إثر كارثة طبيعية، أو صناعية، ونكرر هنا مؤقتة.

فالخيمة مسكن ناقص يحتضن أناساً تنقصهم الأرض، ويعجزون عن الدفاع عنها؛ فهناك خيمة الفدائي الفلسطيني، وهو الذي تمرد على عجزه، وأدرك أن الإنسان أعطى حرية الموت، وأن عليه مواجهة الموت وهو سائر إلى بلاد الحرية، ولا مجال هنا للحديث عن مواقف متباينة إزاء هذا الأمر، موقف اسرائيلي عدواني، وأمريكي مؤيد لهذه العدوانية الوحشية، وموقف فلسطيني يتحدى، وعربي يتخاذل أحياناً، ويغضب، ويثور أحياناً، ولا حول له ولا قوة لهم في كل الأحيان.

ولكن، نحن مع أسرتنا الصغيرة داخل كل منزل نرى ونسمع كل ما يحدث على الأرض المحتلة: استشهاديون.. مقاتلون من أجل تشتيت كابوس جاثم على صدورهم، وإيقاظ ضمائر نامت، وإسماع آذان صُمَّت عن سماع أنين الجراح والتوجع لشعب سلبت حريته، وامتهنت كرامته.. واسرائيليون معتدون لا يتركون فرصة لإعادة وسيادة أسلوبهم الدموي الوحشي الذي أقاموا به دولتهم الأولى ١٢٢٠ ق.م، والتي استخدم فيها بنو اسرائيل أبشع الوسائل، وأشرس الأساليب بصورة من الوحشية والهمجية، لا تختلف كثيراً عما نراه يجري اليوم على الأراضي الفلسطينية من قتل، وتشويه، ومطاردات، وتعذيب.

ومع ما تشهده وسائل إعلامنا من تقدم ومصداقية، فهي تنقل لنا كل هذه المشاهد بكل دقة، فهي تنقل الحدث في حينه، وبتفاصيله.

ولكن : ما أثر ما تقدمه أجهزتنا الإعلامية على أطفالنا؟

هنا تنطلق الإجابة: أطفالنا يتحطمون..

د. هدى مصطفى محمد

كلية التربية بسوهاج - مصر

ويموتون.. كل يوم خوفاً، وألما بما يشاهدون ويسمعون من أدق التفاصيل حول قتل طفل «بالصوت والصورة» تشريد أسرة، هدم منازل على من بها من سكان، وضع ألغام في طرق المدارس، ويجلس الطفل أمام الشاشة الفضية ليشهد كل هذه الأمور، وهو منكمش منزو لا يشعر به أحد، الجميع ينظرون إلى الشاشة يتابعون الخبر تلو الخبر، ولا ينظرون إلى هذا الطفل، كيف ينظر إلى هذه المشاهد؟ ثم لا يتابعون تصرفاته بعد هذه الأخبار.

لقد شعر الطفل بالخطر الذي يهدد كل أفراد الأسرة، من أب يرى فيه الحماية والأمان، وأم يرى فيها الحضن والحنان، وإخوة يرى فيهم القدوة والأمل، ضاعت كل هذه الأحاسيس في نفوس أطفالنا، ولا يقف الأمر عند هذا الحد رغم صعوبته وضراوته، ومرارته التي يشعر بها كل إنسان، بل يبقى في الأب الاحساس بالضعف تجاه أبنائه لعدم مقدرته على حمايتهم، فما جدوى الأبوة والأمومة؟.



فلندع مشاعر الآباء والأمهات، ونتأمل داخل أبنائنا ذواتهم، فهم يشعرون بالخوف من كل شيء؛ فالطفل يشعر بالقلق فلا يهنأ بنوم - حتى بين أحضان والديه - فهو يحلم بزوال منزله، أو هدمه عليه وهو نائم، يشعر بأن طريقه كله ألغام، فكيف يعيش بهذا الإحساس وهو ينتظر الموت؟ يقولون في الأمثال: «وقوع البلاء ولا انتظاره»، فالنفس البشرية لا تطيق انتظار البلاء والمصائب، وترى أن وقوعها أفضل، فما بال هذا الكائن البريء الذي يتحمل كل هذه الآلام، والمشاعر النفسية المعقدة وهو مازال غضاً طرياً؛ فهو لا يعي أبعاد المشكلة الفلسطينية.

فهل سأل مسئول إعلامي نفسه عن تأثير كل ما يقدم حول هذه القضية؟ حقاً إن القضية الفلسطينية يجب أن تبرز لتكسب عطف العالم أجمع، ليهبوا لنصرتها، ويعترفوا بعدالتها، عن طريق كل ما يذاع من تفاصيل لمشاهد الاغتيالات، كاغتيال طفل؛ كمحمد الدرة، ولكن ألم يسأل أحد نفسه: كم محمداً وأحمد وعبد الله اغتيل في مثل سنه بمشاهدة مصرعه؟ فلم يعد جهاز التليفزيون ذلك الجهاز الذي تلتف حوله الأسرة بجميع أفرادها، الكبار والصغار.. فأنت أمامه في حالة من اليأس والاشمئزاز الذى يجعلك لا تهنأ بشئ، ولا تخلد إلى راحة، وفى ذات الوقت لا يمكن الابتعاد عنه؛ فهو شر لابد منه.



نحن لا نطالب بغض الطرف عما يحدث، أو عدم عرضه، ولكن ليكف عرضه مرة واحدة، ولتكن في برامج متخصصة توجه للكبار، أما ما يوجه للجمهور عامة، وخاصة الأطفال كالأغاني التى يرددها أطفالنا ويستمتعون بتتبعها ومشاهدتها، فليتم الاكتفاء بمشاهد ثورية دون جثث وأشلاء، وهذا ليس استهانة بما يحدث، بقدر ما هو تخفيف من وطأته على أطفالنا.

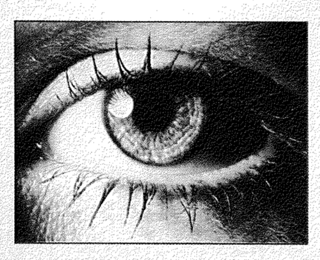
وعلاوة على ما يحدث في فلسطين جاء الآن، وبرز على السطح ما يحدث في العراق، فقد دقت الحرب أبواب كل بيت عربي؛ لتسمع آذان الأطفال قبل الكبار: ماذا جنى أبناء هذا الشعب ليعيشوا في حقل تجارب الأسلحة الجديدة التى أنتجتها مصانع الأسلحة الغربية والأمريكية، ويتم استخدامها لأول مرة على أرض عربية؟ ليتدرب أطفالنا على سماع صفارات الإنذار، ويميزوا أصوات، وأوزان الأسلحة المختلفة لعلهم يكونوا حكاماً على هذه الأسلحة التى اجتهد صانعوها، وتفننوا في أن تكون الأثقل والأسرع، والأصخب، والأكثر ضرراً على انتظار أن يأتي من بين هؤلاء الأطفال من ينجح في استثمار معارفه، ومعلوماته التى يحصلها عن الأسلحة وأنواعها، واستخداماتها في تصنيع الأسلحة الأكثر تطوراً.

ثم يأتي دور أطفال كل العرب الذين يشاهدون، ويتابعون آثار هذه الأسلحة، وما تخلفه من فناء وأشلاء، وفزع، لا يفهمون أبعاد القضية العراقية، وما أسلحة الدمار الشامل؛ فكل ما يفهمونه هو

التغطية الإعلامية على مدار الساعة، وإعادة كل المشاهد مرات ومرات عبر كل القنوات؛ ليتأكد كل مشاهد مما رأى وسمع؛ لتلتصق كل الصور بذاكرته؛ فلا ينسى، ولكن ماذا لو ظلت كل هذه المشاهد والصور في أذهان اطفالنا؟!!

ومن هنا وفي ظل كل الأجواء التى يعيشها أطفالنا، والتي تبثها وسائل إعلامنا تبرز الحاجة ملحة إلى علماء النفس، والمتخصصين ـ الذين يجب أن يكون لهم دور في مواجهة هذه المشكلات ـ بتوجيه بعض البرامج لأطفالنا؛ لتخفيف وطأة ما يتعرضون له بأسلوب علمي،. وليكن لمناهجنا الدراسية دور أيضاً في معالجة هذه الأمور؛ فأطفالنا في حاجة إلينا، نمد لهم أيدينا؛ ليمسكوا بها، وعلينا أن ننجح في انتشالهم من بحار الخوف التى كادت تغرقهم، فلنرم إليهم بأطواق النجاة عن طريق ما يقدم لهم من برامج نفسية علاجية من خلال وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، والمناهج الدراسية حتى ننجح في إحداث توازن نفسي لدى أطفالنا يمكنهم من العيش في هذه الدنيا.

فليبادر كل متخصص، ويبذل قدر جهده لمواجهة هذه الأزمة، وينقذ أبناءنا من محاولات اغتيال نفسي يومي، وقد نواجهها بأنفسنا، ولا ندري، ولنكن أكثر حرصاً عليهم، ونبعدهم عن هذا الاغتيال، ولذلك نطلق من هنا دعوة باسم كل الأمهات أن تتعاون كل الجهات المعنية، بداية من وسائل الإعلام المرئية التى تنتج أفلاما وبرامج خاصة بالأطفال أن يقدموا بعض البرامج المتخصصة التى يشرف عليها الإخصائيون النفسيون؛ لمراعاة نفسية هؤلاء الأطفال، ويكفي ما فات من تجاهل لكل نتائج الأبحاث التى أثبتت أن



التليفزيون وبرامجه تساعد على زيادة العدوانية لدى الأطفال، وتصيبهم بالأمراض النفسية؛ فأطفالنا ـ أو بلغتكم جمهور مشاهديكم ـ يحتاجون إليكم؛ فقدموا لهم ما يخفف عنهم آلامهم وبذلك تتسع قاعدة مشاهديكم، وهي شهادة نجاح لكم.

وهنا يأتى دور الأسرة أيضا في محاولة تجنيب أطفالهم مشاهدة هذه المناظر الدامية وتوجيههم إلى برامج خاصة بهم وبسنهم خاصة وان هناك قنوات خاصة ببرامج الطفولة تثير فيهم غرائز محببة إلى نفوسهم وتلبي حاجات طفولتهم نفسيا واجتماعيا.

ولتبذل وزارات التربية والتعليم العربية بعض الجهد في تقديم مقررات ومناهج تتناسب وهذه الفترة العصيبة التى تمر بها أمتنا من بداية رياض الأطفال التى يحتاج فيها الطفل إلى مزيد من الشعور بالأمن، والحب، والحنان؛ فلتمنحه المناهج أمناً في زمن لا يرى فيه إلا الغدر، ولتغمره حباً، وحناناً في زمن زادت فيه الحروب والآلام؛ فأطفالنا في حاجة إلينا فلنطوقهم، ولنحمهم، ولنشعرهم بالحماية والأمان؛ ليعود أطفالنا إلى سالف عهدهم؛ يلعبون، ويمرحون، ولا يخافون.. ينامون ويهنئون ويحلمون بتحقيق أمانيهم.. اللهم آمين ■

المـرأة والكتابة ..

نساء عالمات

(٣ - ٣)

□ الأستاذ الدكتور مصطفى عبد الواحد أحب مجلته المنهل، وآثرها بفيض قلمه منذ سنين خلت .. ولا يزال محافظاً على وده القديم لها.
وهذه دراساته وبحوثه القيمة تحتضنها صفحات المنهل.. له خالص الشكر والتقدير، وننتظر جديده.
- المنهل -

ومما يدل على دقة النساء في الرواية والحفظ أن الحافظ الذهبي اتهم أربعة آلاف من المحدِّثين ولكنه قال عن المحدِّثات: وما علمت من النساء من اتُّهمت ولا من تركوها[١].

بل إن هناك محدثات تلقى عنهن كبار العلماء.. فالخطيب البغدادي قرأ صحيح البخاري على كريمة بنت أحمد المروزي، وقد أسهمت بنصيب كبير في تكوين هذا العالم الكبير[٢].

وقد عدَّ ابن عساكر أساتذته وشيوخه الذين تلقى عنهم العلم وكان من بينهم إحدى وثمانون امرأة[٣].

وقد سبق أن أشرنا إلى شُهدة بنت أحمد الإبري التى روى عنها الحافظ ابن الجوزي وكانت تسمى فخر النساء، وكانت تحاضر الجماهير في



أ.د. مصطفى عبد الواحد
مكة المكرمة - جامعة أم القرى

مسجد بغداد فيجلس للاستماع إليها جمهور عظيم من الطلاب وكانت تحاضر بالإضافة إلى العلوم الدينية في الأدب والبلاغة والشعر وقد استطاعت بثقافتها وفصاحتها أن تأخذ مكانتها بين مشاهير العلماء وفطاحل المدرسين[٤].

وهناك امرأة أخرى في القرن السابع الهجري هي زينب بنت عبد الرحمن الشَّعري كانت عالمة وأدركت جماعة من أعيان العلماء وأخذت عنهم رواية وإجازة، وأجاز لها الزمخشري صاحب الكشاف وغيره، وقد أجازت هي المؤرخ ابن خلكان سنة عشر وستمائة وهو طفل تشجيعا له وأملا في نجاحه[٥].

والأمثلة كثيرة خلال العصور الإسلامية، وفي كل البيئات التى استظلت بظل الإسلام وما عرفت المرأة الأوربية طريق العلم والأدب إلا تقليدا للمرأة المسلمة في الأندلس التى فاقت الرجال في كثير من الأحيان[٦].

فادعاء أن موقف المجتمع الإسلامي من تعليم المرأة هو موقف المنع والحظر .. افتراء مخالف لحقائق التاريخ وواقع المجتمعات الإسلامية.

وتيارات الجهل والبعد عن الإسلام لا يجوز أن تكون مصدرا لقوانين تاريخية مزعومة.. ففي عصور الجهل والانحطاط تشيع أفكار نابعة من الغلو وسوء الظن، وهذا ما سجله قاسم أمين في كتابه «تحرير المرأة» إذ قال: «ولا يزال الناس



عندنا يعتقدون أن تربية المرأة وتعليمها غير واجبين بل إنهم يتساءلون: هل تعليم المرأة القراءة والكتابة مما يجوز شرعاً أو هو محرم بمقتضى الشريعة؟»[٧].

ومن قبله ناقش الشيخ محمد رشيد رضا قضية النساء والكتابة، في مجلة المنار وبين أن القاعدة الأصولية أن ما يرغَّب فيه الرجال يشمل النساء أيضا إلا فيما أعفى الشارع المرأة منه كالجهاد، ومن ذلك النصوص المرغبة في العلم المادحة له.. لكن بعض المتفقهين زعموا أن طلب العلم لا يشمل طلب الكتابة «الخط» ولا يقتضيه، ثم أوردوا أحاديث منع النساء من تعلم الكتابة، ولما لم يعترف لهم المحدثون بصحة شيء منها رجعوا إلى قياسهم فزعموا أن في تعلمهن الكتابة مفاسد تقتضي كراهتها على الأقل..

وقد ردَّ عليهم رشيد رضا بالتذكير بالحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي والطبراني عن الشفاء بنت عبد الله رضى الله عنها قالت: «دخل علينا رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وأنا عند حفصة فقال لي: «ألا تعلِّمين هذه رُقية النملة كما علَّمتها الكتابة؟»[٨].

والدليل على أن تعليم المرأة في المجتمع الإسلامي أمر مرغَّب فيه أن المملكة العربية السعودية التى تحمل راية تطبيق الشريعة الاسلامية في هذا العصر قد بادرت الى تعليم البنات بعد نشأتها بقليل.. فأنشأت مدارس البنات الابتدائية والمتوسطة والثانوية في كل ناحية من أنحائها كما فتحت مجال التعليم الجامعي لهن فتخرج منهن الألوف في مختلف التخصصات، بل إن منهن من وصلن إلى درجة الدكتوراه والأستاذية في الجامعات ومن ألفن الكتب وقمن بالأبحاث العلمية في مختلف التخصصات.. هذا مع المحافظة على قواعد السلوك الإسلامي واتقاء مضار الاختلاط الفوضوي الموجود في جامعات الغرب والجامعات التى تقلدها في العالم العربي والإسلامي.

وفي تاريخ المجتمعات الأوربية في العصور الوسطى شواهد تدل على أنه كان في هذه المجتمعات من لا يسمح لبنات التجار والصناع بأي لون من ألوان التعليم، بينما كان يسمح لطبقة النبيلات من الفتيات بتعلم القراءة والكتابة ليتمكنَّ فيما بعد من إدارة شئونهن.. أما بنات القضاة والأطباء فقد كانوا يرون أن من الخير لهن ألا يتعلمن القراءة والكتابة[٩].

شهادة مستشرق :

هذا بينما شهد المستشرقون الذين درسوا

تاريخ الأندلس بما بلغته المرأة العربية المسلمة في الأندلس من ثقافة وما تفتح لها من آفاق في مجالات العلم والأدب.

وهذه شهادة المستشرق الأسباني «خوليان ريبرا» في كتابه التربية الإسلامية في الأندلس إذ يقول: تحت عنوان: «الإسلام وتعليم المرأة»: «لم تكن للإسلام أية تحفظات فيما يتصل بتعليم المرأة، وأشد العلماء محافظة في المشرق لم يمتنع عن إجازة تعليم ذخائر السنة لهن، وهو علم ذو قداسة خاصة، ولدينا شواهد على وجود أستاذات بلغن ثلاثا وأربعين في كتاب واحد من كتبها وكان يدرس في أشهر المدارس»[١٠].

ولدينا السِّلَفيّ أحمد بن محمد وهو عالم أسباني «أندلسي» اتخذ من مدينة الإسكندرية مقاما وصارت له بها وجاهة ودخل العراق والشام وبلاد الجبل وخراسان ومصر والحجاز وأعجب به علماء أسبانيا «الأندلس» وطلابها أيما إعجاب، وشيوخه كثرة يزيدون على الألف والنساء بينهن عدة، وبعض أصحابه جمع أسماءهن على حروف المعجم.

وقد اشتهرت في مكة مدرسة «كريمة المروزية» العظيمة وبرز تعليم المرأة في هذا المركز الديني العظيم، ويجب أن يكون من أشد الأمكنة محافظة أكثر من أي مكان آخر.. وبدل أن يكون هذا مدعاة للخجل، كانت الطالبات يذهبن إليها من أمكنة بعيدة ليكون لهن شرف حضور درسها، وبعض الشخصيات الأندلسية التى تنتسب إلى أسر عريقة تتلمذت على هذه السيدة العالمة الجليلة وحرصوا على أن يذكروها بين اسماء أساتذتهم الأكثر شهرة وتقديرا»[١١].

وتحت عنوان «شيوع تعليم المرأة في أسبانيا» يقول هذا المستشرق: «أما هنا في أسبانيا فثمة أسباب أقل مما كانت عليه في البلاد الأخرى يمكن أن تقف عائقا دون تقدير تعليم المرأة، ولأن هذا كان عاديا لا نجد شواهد تلمح إلى عظمته وقدرته وتوميء إلى الاحترام لمن تتوفر فيها هذه الصفات»[١٢].

ويواصل حديثه عن تعليم المرأة المسلمة في الأندلس فيقول: «وكانوا يبعثون بالفتيات إلى المدارس الأولية منذ الصغر لكي يتعلمن نفس المواد التى تدرس للصبيان عادة، وبعضهن فيما بعدُ كن يواصلن التعليم العالي ويحصلن على نفس الإجازات التى يحصل عليها الرجال عادة وبعضهن كن يدرسن الفقه والقراءات والسُّنة، وهي دراسات كان بعضها يؤهل صاحبه لأن يحترف التعليم ويمارسه كمهنة نبيلة. وأخريات كن يدرسن

الأدب ومواد أخرى يمكن أن تنفعهن أحيانا لكي يتبوأن مناصب في ديوان الكتابة الملكية إذا كانت خطوطهن جميلة أو يجدن التحرير في لغة أدبية راقية، ولم يكن عدد اللاتي تميزن كشاعرات وأديبات قليلا وبعضهن مثل عائشة وولادة نافسن أشد الرجال شهرة في عصرهن بذكائهن وبلاغتهن ومهارتهن في الشعر وغيره.

وبلغ تعليم المرأة حدا واسعا من الانتشار يمكن أن نستنتجه مما ذكره ابن فياض في تاريخه «أخبار قرطبة» قال: «كان بالربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، هذا ما في ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها؟»[١٣].

ويذكر هذا المستشرق أن تزاحم الطلاب على الدراسة جعل المرأة أيضاً تقبل عليها وتفتح فيها الدروس كما يصنع الرجال، وكان لبنى حزم وهي أسرة اشتهرت بالأساتذة مدرسة من أشهر مدارس قرطبة يدرس فيها الأب للصبيان، والابن للفتيان، والبنت للفتيات وكان ذلك في القرن الثالث الهجري تقريبا عندما نبتت الرغبة القوية في الدرس، ولكنها كانت في أول خطاها. وفيما بعد بلغت المرأة المسلمة في الأندلس قدرا عاليا من التعليم والتقدير الرفيع يمكن أن يقارن مع أكثر النساء تعليما بين الشعوب القديمة دون تفرقة بين جنس الفتيات، فحتى النساء السوداوات أو السودانيات اللائى عشن في الأندلس يمكن أن تتخذ منهن مثلا للمرأة الأندلسية المسلمة المتعلمة، مثل «إشراق» التى عرفت بين العامة باسم العروضية وقد كانت جارية سوداء.

ويذكر «ريبيرا» أن نشاط النساء لم يقف عند حد الدراسة في الأندلس فحسب، وإنما رحلن إلى الخارج ليدرسن كالرجال سواء بسواء. ويذكر أمثلة للنساء المسلمات اللاتي رحلن إلى المشرق مثل خديجة بنت أبي محمد عبد الله الشنتجيالي التي رحلت إلى المشرق مع أبيها وحضرت معه في مكة المكرمة نفس الدروس التى حضرها، وسجلت في الاجازات التى شهد بها الأساتذة لصالحها، كما رحلت فاطمة بنت سعد الخير بن محمد إلى المشرق مع أبيها وحضرت دروس كبار العلماء.

ورحلت راضية مولاة عبد الرحمن الناصر وقد أعتقها الحكم عن أبيه وتزوجها لبيب الفتى من رجال قصر الخلافة وحجًا معاً وكانا يقرآن ويكتبان، ولقيت عددا من العلماء ونسخت مجموعة من الكتب حافظ عليها الورثة من بعد كنسيج من الذهب، وقدَّرها على نحو عظيم صفوة تلاميذها في الأندلس[١٤].

فهذا هو حديث التاريخ لمن يبتغي الحقيقة.. لا حديث من يتصيد الإشارات الشاردة غير الموثقة ليستدل بها على ما يريد تصوره.. بمعزل عن الموضوعية والإنصاف.. فأين تقع عبارة ابن أبي الثناء من هذه الأدلة التاريخية التى لا يستطيع منصف إنكارها؟!

ولعل أمير الشعراء في العصر الحديث أحمد شوقي قد رد على هذه الشبهات في قصيدة له في وصف حفل نسائى خيري في مصر إذ قال :

خـــذ بالكتـــاب وبالحـــديـــ
ث وسيـــرة السلف الثـقـات

وارجـع إلـى سـنن الخـلـيـــ
ـــقـــة واتبع نُظم الحـيـــاة

هـذا رســـــــول الـلـه لـم
ينقص حـــقـــوق المؤمنات

العلم كـــان شـــريعـــة
لنســائه المتـعـفـفــات

رُضن التـجـــارة والسيـــا
ســـة والشــئـون الأخـريات

ولـقـــــد علـمـت بـنـاتـه
لجُج الـعـلـوم الـزاخـــرات

كــــانت سُكينة تملأ الد
نيـــا وتهـــزأ بالرواة

روت الحـــديث وفـســّــرتْ
آي الكتـــاب البـــينات

وحـــضـــارة الإســـلام تنـــ
ـطق عن مكان المسلمـات[١٥]

الهوامش :

(١) ميزان الاعتدال ٣/٣٩٥، وانظر التربية الإسلامية للدكتور أحمد شلبي، ص ٣٣٦.

(٢) معجم الأدباء لياقوت ٢٤٧/١.

(٣) معجم الأدباء لياقوت ١٤٠/٥.

(٤) التربية الإسلامية، ص ٣٣٦.

(٥) وفيات الأعيان لابن خلكان، ١٧٨/١.

(٦) راجع رحلة الأدب العربي إلى أوربا لمحمد مفيد الشوباشي، ص ١٦٦ ـ ١٦٨ ـ القاهرة ـ دار المعارف.

(٧) تحرير المرأة ص ٣١.

(٨) مجلة المنار المجلد الخامس ـ العدد الحادي والعشرون.

(٩) يراجع كتاب التربية الإسلامية للدكتور أحمد شلبي، ص ٣٢٧ ـ ٣٢٩.

(١٠) فهرست ابن خير، ص ١٤٣.

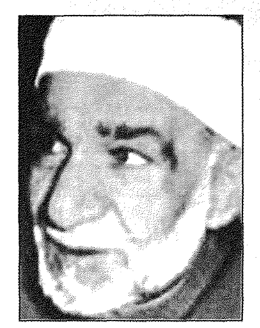
(١١) التربية الإسلامية في الأندلس لخوليان ريبيرا، نشر دار المعارف بالقاهرة، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي، ص ١٥٩، وانظر الصلة لابن بشكوال التراجم: ٢١٨، ٢٩٩، ٣٩٢، ٧٢١، ٨٧٦ وغيرها.

(١٢) المرجع السابق، ص ١٦٠.

(١٣) المرجع السابق، ص ١٦١.

(١٤) المرجع السابق، ص ١٦٢.

(١٥) ديوان شوقي، ١١٣/١.



الاجتهاد والتجديد في إبداعات الشيخ شلتوت (٣ـ٤)

☐ *في الحلقة السابقة أشرنا إلى اجتهادات الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت (١٣١٠ـ١٣٨٣هـ/ ١٨٩٣ـ١٩٦٣م) بميادين العقائد الإسلامية.. وعلوم الغيب.. والسنة النبوية.. وفي هذه الحلقة، تتواصل الاشارات إلى ميادين أخرى من هذه الاجتهادات.*

في البدعة.. والإبداع :

يجب التمييز بين البدعة المحرمة، وهي ما كانت في العقائد.. والعبادات.. والحلال والحرام.. وبين الإبداع في شئون الدنيا، فهو مطلوب.. ذلك «أن الابتداع في الدين إنما يكون فيما تعبدنا الله به من عقيدة أو عبادة أو حل وحرمة.. فالابتداع في الدين هو الابتداع الذى يخرج به المؤمن عن دائرة الرسالة الإلهية، وهو الابتداع الذى يغتصب به المبتدع حق الله في تشريع هو له وحده.. هو الابتداع الذى به يضع المبتدع نفسه موضع من يرى أن العبادات أو العقائد ـ التى رسمها الله ليتقرب بها عباده إليه ـ ناقصة أو فاسدة، فأكملها أو أصلحها بابتداعه، أو موضع من يرى أن الرسول [صلى الله عليه وسلم] ، الذى اصطفاه الله لتبليغ دينه قد قصر فيما أمر بتبليغه وحجز عن عباد الله ما يقربهم إليه.

أما ما لم يتعبدنا الله بشىء منه ـ وإنما فوض لنا الأمر فيه باختيار ما نراه موافقا لمصلحتنا ومحققا لخيرنا بحسب العصور والبيئات ـ فإن التصرف فيه بالتنظيم أو التغيير لا يكون من الابتداع الذى يؤثر على تدين الإنسان وعلاقته بربه، بل إن الابتداع فيه من مقتضيات التطور الزمنى



أ.د. محمد عمارة
مصـــر

الذى لا يسمح بالوقوف عند حد الموروث من وسائل الحياة عن الآباء والأجداد»[١].

وفي علاقة الدين بالدولة :

ربط الإسلام الدين بالدولة، والدولة بالدين.. فلا يتصور قيام الإسلام بلا دولة والإسلام هو أساس سياسة الدولة.. ومع هذا، فالسلطة الدينية مرفوضة إسلاميا، في التفسير والفهم للنص الدينى.. وفي سلطات الخليفة والإمام.. وفي أحكام القاضى.. وفي فتاوى المفتين.

مبادىء الإسلام في الحكم هي :

١ ـ السيادة : لله وحده، لأنه الخالق المالك، وهى في كل شعب للشعب نفسه بعد الله جلَّت قدرته الذى استخلفه فى وطنه.

٢ ـ الحكم : لله، وهو حقه وحق الشعب يباشره نيابة عن الله سبحانه.

٣ ـ الحاكم : وكيل للأمة ، وليس له عليها سيادة، بل هي سيدته، وهو خادمها الأمين.

٤ ـ الشورى : أساس الحكم، وكل حكم لا يقوم على الشورى لا يكون شرعيا.

٥ ـ التضامن الجماعي : الأفراد جميعا يتضامنون في المسئولية عن صوالحهم وصوالح الدين والدولة.

٦ ـ الرقابة الشعبية : حق للأمة ان تراقب حكامها، وتحاسبهم، وترسم لهم خطوط تدبير مصالحها، وتشرف على التنفيذ ، وتعدله حسب مصلحتها.

٧ ـ عزل الخليفة : للأمة إذا جار وظلم وظهر غشمه ولم يرعو لناصح أو زاجر، فإن رفض العزل عزلته بالقوة، ولو أدى ذلك إلى نصب الحرب وشهر السلاح في وجهه إذا رأت الأمة ذلك في مصالحها.

٨ ـ أهل الحل والعقد : هم أهل العلم والرأى والخبرة فى كل نواحى النشاط الحيوي بالأمة، وهم لسانها المعبر عن رضاها وسخطها، ومن حقهم ترشيح أصلحهم للخلافة ، وتقديمه للأمة لترى رأيها فيه عن رضى واختيار، دون ضغط أو قهر، ومن حق كل مسلم أن يكون له رأى في اختيار الخليفة، وأن يُمكَّن من إعلان رأيه بحرية تامة، دون أن يضار بسبب رأيه ولو خالف الأغلبية، وعليه مع هذا أن يلزم الجماعة.

٩ ـ هدف الحكم : سعادة المحكومين، وتحقيق السلام في الداخل، والعزة في الخارج، ونشر السلام[٢].

«.. والإسلام لا يخص أحدا بحق الاستثناء بتفسير النصوص، ولا يحق إلزام الناس برأيه، بل يمنح هذا الحق لكل مسلم حائز لأهلية البحث.. والخليفة أو الإمام ليس معصوما من الخطأ ، ولا هو مهبط الوحي، ولا أثرَة له بالنظر والفهم، وليس له سوى النصح والإرشاد، وإقامة الحدود والأحكام فى دائرة ما رسم الله، وهو نائب في وظيفته عن الأمة، توليه وتبقيه، وتطيعه ما دام قائما بمهمته، وقائما على حدود الله، وتعزله إذا انحرف عن الحدود واقتحم حدود الله.

وكما أن هذا وضع الخليفة، فهو وضع القاضى والمفتى، وشيخ الإسلام و«الملا» فوظيفة القاضى لا تعدو الفصل في الخصومات.. ووظيفة المفتى لا تعدو بيان المسائل التى يسأل عنها.. وفتواه ليست ملزمة لمن يستفتيه، وللمستفتى مطالبته بالدليل، وله أن يستفتى غيره ممن يطمئن إلى علمه.

أما شيخ الإسلام، والملا، فإن المسلمين لا يعرفونهما إلا لقبين علميين شاع في بعض العصور والأقطار إطلاقهما على من عرفوا فى بيئاتهم بامتياز خاص في علوم الدين والشريعة، ولا يرتبط بهما حق تحليل أو تحريم في الشريعة، وليس لهما من حق في العصمة من الخطأ، بل لا يعرفهما الإسلام»[٣].

الاستبداد والشورى :

الاستبداد عدو الإنسانية.. والشورى: فريضة إسلامية.. وصفة من صفات الأمة المؤمنة.. وهى حق لجمهور الأمة، تأثم جميعها بتركه.. وهى عامة في كل ميادين الحياة.. وملزمة.

«.. وبتقرير القرآن مبدأ الشورى، قضى الإسلام على عدو الإنسانية الفاضلة ومفسدها، وهو: الاستبداد بالحكم والرأي، واحتكار التشريع والتصريف والإدارة، وحقق للفرد كرامته الفكرية، وللجماعة حقها الطبيعى في تدبير شئونها، والقرآن لا يريد من «الشورى» حين يضعها بين عنصرى الصلاة، والإنفاق في سبيل الله {والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون} (الشورى/ ٣٨).

والإسلام لا يمكن أن يهمل من أصول الحكم، ذلك المبدأ الطبيعى في الحياة، وهو «الشورى» كما لا يمكن أن يريده حين يضعه «محمدة اختيارية» يقصد بها مجرد تأليف القلوب، وتطييب النفوس، دون العمل به، ولا أن يريده «صورة مفتعلة» يبرر بها أرباب الطغيان طغيانهم، وإنما يريده أمرا ثابتا مقررا، مأمورا به، هو حق للأمة تأخذه بالقوة، وواجب عليها، تأثم جميعها بتركه، وحقيقة لها أثرها العملى في الحكم وسياسة الجماعة.

وإذن ، فالشورى التى تنسج خيوطها بكثرة العدد، أو عن طريق الإغراء والإرهاب لا قيمة لها عند الله، والشورى التى تجعل من الفرد المفسد، أو الذى لا يعقل حاكما بأمره في الأمة، لا قيمة لها عند الله، والشورى التى لا يجد المخلصون في جوها متنفسا يكشفون فيه عن عبث العابثين، وفساد المفسدين، لا قيمة لها عند الله، والشورى التى يلبس المنافقون في جوها مسوح الصدق والإخلاص، ويكتمون عن الحاكم المخلص بذور الشر والفساد، لا قيمة لها عند الله»[٤].

وفي الأموال والثروات :

الملكية الحقيقية ـ ملكية الرقبة ـ في الأموال والثروات ـ لله سبحانه وتعالى.. والناس ـ الأمة ـ مستخلفون فيها، لهم فيها ملكية مجازية واجتماعية، محكومة بالشريعة ـ التى هي بنود عقد وعهد الاستخلاف.. والاستخلاف في الأموال والثروات، فلسفة مالية إسلامية متميزة بين الفلسفات المالية والاجتماعية تمثل الوسطية بين الطغيان المالى للرأسمالية، وبين التفريط الشيوعى ـ بإلغاء الملكية ومصادمة الحوافز الفطرية.. ولذلك بلغت هذه الفلسفة الإسلامية في الأموال والثروات على طريق العدل الاجتماعي ما لم يبلغه دعاة الاشتراكية الغربية.

«ففائدة المال يجب أن تعم المجتمع كله، لتقضى به حاجته.. ولقد أضاف الله سبحانه وتعالى، المال تارة الى نفسه ـ تنويها بشأنه ـ وجعل المالكين له مستخلفين في حفظه وتنميته، وإنفاقه بما رسم لهم في ذلك {آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه} (الحديد/ ٧)، {وآتوهم من مال الله الذى آتاكم} (النور/ ٣٣).. وأضافه أخرى إلى الجماعة، وجعله كله بتلك الإضافة ملكا لها {ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل} (البقرة/ ١٨٨)، {ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما} (النساء/٥)، وأرشد بذلك إلى أن الاعتداء عليها، أو التصرف السيء فيها، هو اعتداء أو تصرف سيء واقع على الجميع.

وإذا كان المال مال الله، وكان الناس جميعا عباد الله، وكانت الحياة التى يعملون فيها ويعمرونها بمال الله، هي لله، كان من الضرورى أن يكون المال ـ وإن ربط باسم شخص معين ـ لجميع عباد الله، يحافظ عليه الجميع، وينتفع به الجميع، وقد أرشد إلى ذلك قوله تعالى: {هو الذى خلق لكم ما في الأرض جميعا} (البقرة/ ٢٩).

ومهما رفع دعاة الاشتراكية رءوسهم ونادوا بها فيما بين الناس، فإنك لست واجدا في تعبيرهم ولا في واقع حياتهم ما يقرب من تلك الاشتراكية النابعة من ضمير الإيمان، والتى يجعلها الإسلام دينا مقترناً ـ في الدعوة إليه ـ بالصلاة وشهادة التوحيد، والتى يكون بها كل المال ملكا للأمة، تحفظه اليد المستخلفة فيه وتنميه، ثم تنتفع به كلها.. فهو منها كلها، وهو إليها كلها، وما اليد المعطية واليد الآخذة، إلا يدان لشخصية واحدة، كلتاهما تعمل لخدمة تلك الشخصية، ولا خادم منها ولا مخدوم، وإنما هما خادمان لشخصية واحدة هى «شخصية المجتمع» الذى لا قوام له ولا بقاء إلا بتكافل هاتين اليدين على خيره وبقائه.

ولعل بهذا يظهر معنى «الوسطية» التى حل بها الإسلام المشكلة المالية، تلكم المشكلة التى ظل بها العالم، في أمسه وحاضره، يتردد بين طرفى الإفراط، بالطغيان المالى، والتفريط، بإلغاء الملكية الفردية، وبذلك تقطعت أواصر الرحم الإنسانى، وسخّر الأغنياء الفقراء، وثار الفقراء على الأغنياء، ونشبت الحروب المدمرة، وأفلست دعاوى المدعين، الذين يخدمون أنفسهم في واقع الأمر ويتظاهرون بخدمة المجتمع الإنسانى، وما ربك بغافل عما يفعلون»[٥].

وفي المعاملات المالية المستحدثة :

تلك التى لم تعرفها العصور الإسلامية السابقة، ومن ثم لم تعرض لها اجتهادات الفقهاء الأقدمين.. والتى تحتاج الى نظر جديد وفقه جديد، يبدأ بفقه الواقع الجديد، ثم يبحث لهذا الواقع الجديد عن الحكم الذى لا يخالف روح الشريعة، وقواعد الفقه ونظرياته.

ومن هذه المعاملات المستجدة:

١ ـ الشركات المساهمة :

المحدد ربح الأسهم فيها.. وهى حلال.. لأنها معاملة مستجدة، وليست من المضاربة، حتى يشترط فيها عدم تحديد نسبة الربح «إنها نوع جديد من الشركة أحدثه أهل التفكير في طريق الاقتصاد والاستثمار، ولم يكن معروفا للفقهاء من قبل.

وإذا كانت هذه الشركات إنما تنشأ للبقاء

والاستمرار، ورأى مؤسسوها لذلك أن توزع أرباحها بنسب للأسهم ثابتة على مرتبات العمال وعلى دعم رأس المال وجهات الخير وأرباب الأسهم، كان كل ذلك خيرا لا ظلم فيه لأحد ولا استغلال فيه لحاجة أحد، بل كله نفع وفائدة٠٠ ولابد أن تكون هذه الشركات قد ضمَّنت قانونها الأساسى فرض الاحتمالات من جهة عجز الإنتاج عن قيامها بتلك الجهات وجهة الخسارة، التى قد تلحق رأس المال ووضعت لها أحكاما خاصة يعرفها المساهمون ويطمئنون إليها دون أن تنقطع الشركة بينهم٠

ومن هذا يتبين أن هذه الشركات ليست ربوية تستغل حاجة المحتاجين، وليست من مضاربة الفقهاء، حتى تكون فاسدة بتحديد الربح، على فرض تسليم شروطهم في المضاربة[٦]٠

٢ ـ والأسهم :

داخلة في المضاربة، ولذلك يخضع عائدها للربح والخسارة٠

٣ ـ والسندات :

هى قرض بفائدة محددة٠٠ فهى ربا ٠٠ ولا يجوز إلا للضرورة الواضحة٠

«والفرق بين الأسهم والسندات، أن الأسهم من الشركات التى أباحها الإسلام باسم المضاربة، وهى التى تتبع الأسهم فيها ربح الشركة وخسارتها، وأما السندات، وهى القرض بفائدة معينة لا تتبع الربح والخسارة، فإن الإسلام لا يبيحها إلا حيث دعت الضرورة الواضحة، التى تفوق أضرار السندات التى يعرفها الناس ويقررها الاقتصاديون٠

ولو أن الأمم الاسلامية تكاتفت على وضع أساس اقتصادى يحقق مصالحها، ويقيها شر التحكم الأجنبي، لوجدوا من مبادىء الإسلام الاقتصادية ما يجعلهم في مقدمة الأمم اقتصادا وقوة وحضارة»[٧]٠

٤ ـ وصندوق التوفير :

معاملة جديدة٠٠ ربحها المحدد حلال٠ وهى ليست مضاربة، حتى يحرم تحديد ربحها٠٠ وليست قرضا حتى تحرم المنفعة التى تجرها٠٠ «فالربح الذى تدفعه مصلحة البريد لأصحاب الأموال المودعة في صندوق التوفير٠٠ حلال لا حرمة فيه، ذلك أن المال المودع لم يكن دينا لصاحبه على صندوق التوفير، ولم يقترضه صندوق التوفير منه، وإنما تقدم به صاحبه إلى مصلحة البريد من تلقاء نفسه طائعا مختارا، ملتمسا قبول المصلحة إياه، وهو يعرف أن المصلحة تستغل الأموال المودعة لديها في مواد تجارية ويندر فيها ـ إن لم يعدم ـ الكساد والخسران٠

وقد قصد بهذا الإيداع أولا: حفظ ماله من الضياع، وتعويد نفسه على التوفير والاقتصاد٠

وقصد ثانيا: إمداد المصلحة بزيادة رأس مالها، ليتسع نطاق معاملاتها، وتكثر أرباحها فينتفع العمال والموظفون، وتنتفع الحكومة بفاضل الأرباح٠

ولا شك أن هذين الأمرين٠٠ تعويد النفس على الاقتصاد، ومساعدة المصلحة الحكومية ـ غرضان شريفان كلاهما خير وبركة، ويستحق صاحبهما التشجيع، فإذا ما عينت المصلحة لهذا التشجيع قدرا من أرباحها منسوبا إلى المال المودع أى نسبة تريد، وتقدمت به إلى صاحب المال، كانت دون شك معاملة ذات نفع تعاونى عام، يشمل خيرها صاحب المال والعمال والحكومة، وليس فيها مع هذا النفع العام أدنى شائبة لظلم أحد، أو استغلال لحاجة أحد، ولا يتوقف حل هذه المعاملة على أن تندمج في نوع من أنواع الشركات التى عرفها الفقهاء وتحدثوا عنها

وعن أحكامها.. فهذه المعاملة، بكيفيتها وبظروفها كلها وبضمان أرباحها، لم تكن معروفة لفقهائنا الأولين وقت أن بحثوا الشركة ونوعها، واشترطوا فيها ما اشترطوا.

وليس من ريب في أن التقدم البشرى أحدث في الاقتصاديات أنواعا من العقود والاتفاقات المركزة على أسس صحيحة لم تكن معروفة من قبل، وما دام الميزان الشرعى في حل التعامل وحرمته قائما في كتاب الله {والله يعلم المفسد من المصلح} (البقرة/ ٢٢٠)، {لا تظلمون ولا تظلمون} (البقرة/ ٣٧٩)، فما علينا أن نحكّمه، ونسير على مقتضاه.

ومن هنا يتبين أن الربح المذكور ليس فائدة لدين حتى يكون ربا، ولا منفعة جرها قرض حتى يكون حراما، على فرض صحة النهي عنه، وإنما هو كما قلنا تشجيع على التوفير والتعاون اللذين يستحبهما الشرع[٨].

٥ ـ والاقتراض بفائدة :

ربا، محرّم .. لا يجوز إلا في حالة الضرورة، التى تُقدَّر بقدرها، من حيث مصدر القرض، وحجم الفائدة، وآثار الاقتراض على الاستقلال الوطنى[٩].

٦ ـ والاستقلال الاقتصادي :

للأمة: فريضة اجتماعية.. وهو شرط لاستقلالها السياسى والإدارى، وأساس لعزتها وحريتها «ولقد قرر علماء الإسلام أن كل مالا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا، فتعلمه ووجوده من فروض الكفاية، قالوا ومن ذلك أصول الصناعات، مما هو ضرورى، أو كالضرورى.. ويسر الحياة.. ودفع الحرج عن الناس.. فإذا لم يتحقق ذلك في الأمة كلها، أثمت الأمة كلها.

وليس من ريب في أن أساس هذه الفرضية، هو العمل على تحقيق المبدأ الاسلامى الذى يوجبه الإسلام على أهله، وهو مبدأ استقلال الجماعة الإسلامية في تحقيق ما تحتاج إليه من الضروريات والحاجات، فيما بينها، وبيد أبنائها، دون أن تمد يدها إلى غيرها من الأمم، وبذلك لا تجد الأمم الأخرى ذات الصناعات والتجارات، سبيلا إلى التدخل في شئونها، فتظل محتفظة بكيانها وعزتها ونظمها وتقاليدها، وخيرات بلادها، وكثيرا ما اتخذ هذا التدخل سبيلا لاشتراك الدول الأجنبية في إدارة البلاد وتنظيمها واستعمارها، استغلالا لحاجتها في الصناعات والتجارات.

وإذا كان من قضايا العقل والدين، أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وكانت الحياة متوقفة على هذه العمد الثلاثة: الزراعة والتجارة والصناعة، كانت هذه العمد الثلاثة واجبة، وكان تنسيقها على الوجه الذى يحقق خيرها واجبا»[١٠] ■

ـ للدراسة صلة ـ

الهوامش :

(١) (الفتاوى) ص ١٧٨ ـ ١٨٧.

(٢) (من توجيهات الإسلام) ص ٥٦٠ ـ ٥٦٩.

(٣) (الإسلام عقيدة وشريعة) ص ٥٤٧، ٥٤٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٤٤١، ٤٤٢، وجدير بالذكر والملاحظة أن الشيخ شلتوت كتب هذا في ظل حكم ديكتاتورى، فرّغ الشوري من كل القيم التى تحدث عنها شلتوت.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٥٦، ٢٥٧، ٩٥.

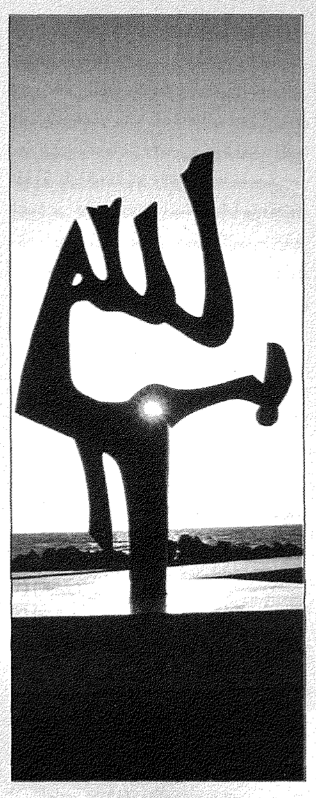
(٦) (الفتاوى) ص ٣٤٩، ٣٥٠.

(٧) المصدر السابق، ص ٣٥٥.

(٨) المصدر السابق ص ٣٥١ ، ٣٥٢.

(٩) (الإسلام عقيدة وشريعة) ص ٢٧٠ ـ ٢٧٥.

(١٠) المصدر السابق، ص ٢٥٤، ٢٥٥.



مع الفجر

مع الفجر حدث، ها هو الروض يكتسي
جمانا على الأفنان تشدو بلابله
يكاد لفرط الحسن يختال ضاحكا
تحيه أنسام فتزهو أوائله
يترجم إبداعا وينثر جنة من الفن
تهدي للبرايا حمائله
ويعشق وجه الأرض يمشي مغامرا
تفتش في دنيا الدواهي دلائله
يغوص الى معنى المعاني يزفها
ربيعا على الأم تبدو خمائله
ويروي شعاب الأرض يجتاح أيكها
تفيض على مرأى المرائي شمائله

* * * *

مع الفجر غنى الجدول الحر شاعراً
يسلسل ماء يسفح الطهر سائله
بأبيض مثل النور لا النور مثله
ولا كل شيء في الدنايا يماثله
يغازل وجدان الطبيعة عاشقا
لُماها له فيها شعورٌ يسائله

ويعزف ما يروي الفؤاد وينتشي سروراً

وتمشي في الفـيـافي قـوافله

تهادى كقرص الشمس يغدو مُدلها

على أفق الآفاق تسعى حبائله

كأن السنا في الأرض جيشٌ عرمرمٌ

تكاد لفرط النور تشقى جحافله

إذا الروح لم تلق الدواهي عظيمة

توارت كفضل الظل تذوي كواهله

* * * *

مع الفجر هذي النفس يحلو حديثها

وتجري على طول النهار جداوله

تفيض مسرات القلوب سعادة

وتبكي على وجه الشقاء جلاجله

يظل على مرأى العيون مجافيا

ودرب السرور الحر تزهو خلاخله

يضاحك وجه الكون يروي دروبه

وتشدو على مر الزمان صواهله

ويحدو ركاب البحر يهدي شموخه

فتطغى على روح المعاني سواحله

سالم بن رزيق بن عوض

جُـــدة

ويرخي عباب الشوق يروي عبابه

فمن شاهد الطوفان شيئاً يطاوله

* * * *

تفتحت الدنيا على الناس بابها

وآيات رب قائمات تجامله

تضّوع مسكا، فاح في الأرض نوره

وسارت على مرأى الوجوه رواحله

وزف الهوى والفن والنور صحبه

تغني به الدنيا على النفس طائله

تكاد ترى الأيام فيه شبابها

وتلوي الليالي نافرات تجادله

إليه مفاتيح القلوب تدافعت

وفيه تهادت تحتويه تساجله

هو الخير تجتاح الوجود فلوله

يروح ويغدو بين كفيه زامله



الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق

تأليف: الأستاذ/ عباس محمود العقاد

☐ *يقول الأستاذ توفيق الحكيم بصدد كتاب (عبقرية محمد) للأستاذ العقاد: إن كل ما عرف عن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، لن يغنينا عما عند العقاد، لأن العقاد قد درس وفكَّر واستنتج لنفسه، ثم صنع للنبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ صورة قلمية لا يمكن أن يُرى نظيرها على هذا التمام في صفحات مثل صفحات كتابه المتوسط الحجم.*

وما يقال عن عبقرية محمد يقال عن الشخصيات الإسلامية التى خصها العقاد بالدراسة والتحليل، فأنت تقرأ كتابه عن أحد هؤلاء وقد طالعت في موضوعه عشرات الكتب، وتظن انك مُسيطرٌ على الموضوع بما تعرفه سابقا، ثم يفاجئك الكاتب الكبير بما لم يخطر لك على بال، لا لأنه ألحق زوائد بعيدة عن الشخصية، ولكن لأنه اكتشف كثيرا من الزوايا الدقيقة بمجهره الحساس، فأتى بالطريف الممتع مما يلذ ويفيد.

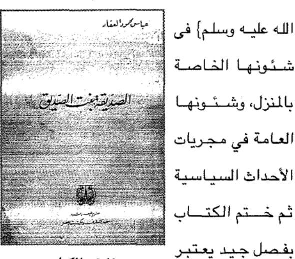
كنت أقول فحوى هذا الكلام في محاضرة عامة بكلية اللغة العربية بالمنصورة، فاعترضني من يقول بكل ثقة إنه قرأ كتاب العقاد (الصِّدِّيقة بنت الصديق) فلم يخرج منه بجديد ما، وأطرقت متعجبا، لأنى قرأت هذا الكتاب، ووجدت به ما لم أكن أعلم، كما أنى قرأت مناقشات حامية دارت حوله في مجلات الرسالة والثقافة والمقتطف، بحيث لم تدر مناقشات حول العبقريات تضارع ما قيل حول كتاب (الصِّديقة بنت الصديق) ووجدت من الرد العلمى أن أتحدث عن بعض هذا الجديد، وعن بعض ما دار حول الكتاب من نقاش، وإذ ذاك يعلم المعترض أنه طعن في غير مطعن، وأن ما قرره النقاد عن مؤلفات العقاد صائب لا مبالغة فيه.

لقد جمع كتاب (الصِّديقة) فصولا دقيقة عن المرأة وعن المرأة المسلمة، وذلك تمهيد للحديث عن المرأة الخالدة «عائشة بنت أبي بكر» وعن نشأتها وزواجها، وعن حديث الإفك الذى دار حولها بغياً دون صدق، وعن حياتها بعد رحيل النبي {صلى



أ.د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر



غلاف الكتاب

الله عليه وسلم} في شئونها الخاصة بالمنزل، وشئونها العامة في مجريات الأحداث السياسية ثم ختم الكتاب بفصل جيد يعتبر نتيجة لما تقدم يتحدث فيه الكاتب الكبير عن (حقوق المرأة) وفي كل فصل سطره العقاد جديد يطالع به القارىء لأول مرة، لا أقول إن الجديد في الأحداث التاريخية فهي معلومة مشتهرة ولا يكاد يجهلها أحد، ولكن الجديد في التحليل والتعليل والاستنباط ثم الانتهاء الى الحكم النهائى الذي يكون نتيجة محتومة لمقدمات صادقة رتبها الكاتب فأحسن الترتيب!.

وأقدم مثلا لما أعنيه من حديث العقاد عن زوج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد بدأه بمقارنة بين خديجة رضي الله عنها الزوجة الأولى وعائشة الزوجة المصطفاة من بعدها، إذ أن الرسول {صلى الله عليه وسلم} قد بنى بخديجة وهي في سن الأربعين، وهو في سن الخامسة والعشرين، وتزوج بعائشة وهو في الخمسين، وكانت حين دخل عليها في الثانية عشرة على أصح الأقوال. هذا الوضع المختلف بين الزوجين والزوج في كلا الأمرين يحتاج الى نظر من العقاد عبَّر عنه بقوله[٢].

«إن الفتى اليتيم ـ محمد {صلى الله عليه وسلم} الذى فجع في حنان الأم منذ طفولته الباكرة، لم يكن أنفع له من زوجة كريمة رشيدة كالسيدة خديجة التى أغدقت عليه من حنان الأمومة ما فاته في بواكير الطفولة، فأدركه عطفها وهو يعالج من نوازع الدعوة النبوية ثورة مقيمة مقعدة في سريرة النفس لا تزال بين الجلاء والغموض، وبين الاقدام والإحجام، ولا تزال في هذه الحالة على حاجتها القصوى الى التثبيت والكلاءة والتشجيع».

أما النبي {صلى الله عليه وسلم} في الخمسين من عمره فقد كان أنفع له، وأبهج لفؤاده أن يُغدق حنان الأبوة على زوجته التى تظفر منه بالحظوة والمودة وأن يستروح من شبابها وجمالها، نعمة تسعده في جهاده، كانت خديجة أما ترعاه، ثم كانت عائشة طفلة تنعم بتدليله، وكانت خديجة تسعفه بالعقل والحنكة، وكانت عائشة تسعده بالطرافة والجمال، وكانت خديجة تصاحبه قبل الدعوة وهو يطلب الأنصار في طوية النفس، قبل

أن يطلبهم في عالم النضال والبلاء! ثم كانت عائشة تصاحبه بعد الدعوة وهو صاحب دين جهر به وبهر ، فكانت هى أولى سفرائه بالإصهار الى رجالات العرب، ورؤساء العشائر والبيوت! لقد كان تقابلا بين الزوجين الفاضلتين من أعجب ما تأتى به المصادفة، بل من أعجب ما يأتى به التدبير، وليس هناك تدبير معروف».

فماذا يقول القارىء في هذا التحليل النفسي والتعليل الاجتماعي؟ هل قرأ مثل ذلك من قبل؟.

هذا عن الموازنة بين السيدتين خديجة وعائشة رضى الله عنهما، أما عن الموازنة بين عائشة وأبيها أبي بكر الصديق فقد اتسع الفصل المعنون بعائشة لشذور من هذه الموازنة ، أستطيع أن أوجزها فيما يلي[٣].

كان الصديق جميلا حتى جاء في بعض الروايات أنه لقب بالعتيق لجماله، وكان نحيلا دقيق التكوين كما هو مشهود وكانت فيه حدة طبع ، مع حدة ذكاء، وكان كريماً سريعا الى نجدة المعوزين والضعفاء، وكان صادق المقال لم يؤخذ عليه كذبٌ في الجاهلية والاسلام، وكان ماضى اللسان جريئاً على إفحام من يجترىء عليه، وتشبهه السيدة عائشة في هذه الخلائق شبها كان يوحى إلى النبي عليه السلام كلما سمعها تجيب من يساجلها أن يقول: (إنها ابنة أبي بكر).

لقد كانت بنت أبيها في أكثر من خصلة واحدة من هذه الخصال النادرة من الرجال والنساء، ولكنها كانت أشبه ما تكون به فى خصلة الصدق، التى اشتهر بها ، ومن أجلها نعت بالصِّديق، وغلب عليه حتى أوشك أن ينسى الناس اسمه الذى دعاه به أبواه، وقد امتحن صدقها في مآزق عسيرة البلاء للنفوس، فتمحصت عن معدن كريم وعرق سليم، ودلت على أصالة هذا الميراث، وقد استدل العقاد على هذا الصدق بأن عائشة في معركتها السياسية لم تقل حديثا واحدا تنسبه الى الرسول يؤيد وجهة نظرها، مع كثرة ما وضع من الأحاديث زوراً لتأييد وجهات أخرى، وهي التى روت مئات الأحاديث الصادقة وأذاعتها ولم يشك أحد في روايتها، إذ كانت ذات حافظة واعية، فهى تقتدى بأبيها في حفظ الأخبار والأنساب، كما كانت تقبس من ميراث أخلاقه وطباعه وملكاته».

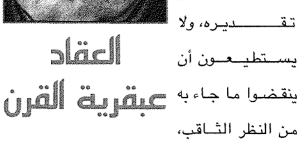
هذا بعض ما قال العقاد في الموازنة بين الرجل وابنته؟ فهل كتب ذلك أحد قبل العقاد؟ وشبيهٌ بذلك الموازنة الطريفة التى عقدها العقاد بين فاطمة بنت محمد وعائشة زوج محمد {صلى الله عليه وسلم} وختمها بقوله:[٤] «إن الصلة بين عائشة وقرابة النبي قد كانت صلة الأدب والتجمل والمجاملة، ولكنها كانت في مجال لا يغلب فيه

التنافس على العطف والإعزاز».

أما ما دار حول الكتاب من نقاش، فأمر متوقع من النقاد، لأن الحديث عن رسول الله وآله يلقى اهتماما كبيرا من المسلمين، فضلا عن علمائهم الكبار، ولكن من غير المتوقع، أن يمضي اللجاج ولا أقول النقاش في مسائل لا تحتاج الى هذا اللجاج، ومن ذلك ما دار حول سن السيدة عائشة رضي الله عنها حين زُفّت إلى رسول الله فقد ذهب الأستاذ العقاد الى أن الأرجح لديه أن سنها حينئذ كانت لا تقل عن الثانية عشرة ولا تتجاوز الخامسة عشرة، وقال إن الفتاة في مثل بيئتها كانت تصلح للزواج في مثل هذه السن لأمور فصلها أتم التفصيل، ثم أيد المؤلف ما اتجه إليه بقوله:

«إن السيدة خولة اقترحتها على النبي وهى في سن الزواج على أقرب تقديرات القبول، إذ لا يُعْقَل أن تشفق من حالة الوحدة التى دعتها إلى اقتراح الزواج وهى تريد له أن يبقى على تلك الحالة أربع سنوات أو خمس سنوات أخرى، ويؤيد هذا الترجيح من غير هذا الجانب أن السيدة عائشة كانت مخطوبة قبل خطبتها للنبي، وأن خطبة النبي كانت في نحو السنة العاشرة للدعوة».

وهذا كلام جيد التحقيق، ولكن أرباب النصوص، الذين يتعبدون بكل قول وُجد في كتاب قديم، قد ذهبوا ينقلون من الروايات المتضاربة ما يدل على أنها زفت في العاشرة، ويعدون العقاد مخطئا في تقديره، ولا يستطيعون أن ينقضوا ما جاء به من النظر الثاقب،



حين ذكر أن عائشة رضى الله عنها كانت مخطوبة من قبل خطبة الرسول لجبير بن مطعم، ومعنى هذه الخطبة أنها كانت في سن تصلح للخطبة، والمسألة ليست مسألة نص في كتاب، إذا لم يكن هذا الكتاب نصا من القرآن الكريم أو أثراً من الحديث الشريف، فما أكثر ما حملت كتب التاريخ من نصوص لا تثبت على البحث، وقد اعتمد المستشرقون رواية السن الصغيرة لحاجة حاكة في نفوسهم لأنهم يريدون أن يجعلوا المسألة مسألة استغراب لا تخضع لمنطق، وهم في أكثر أحوالهم يعمدون إلى أضعف الروايات ليقيموا بها بناء يشيدونه على الأباطيل، فإذا اعتمد المستشرقون هذه الأباطيل التى لا تثبت لتحقيق، فما بال من يدّعون الحرص على نقاء السيرة المطهرة للرسول وآله الكرام، يتركون النصوص السديدة إلى غيرها

من ذات الوهي الضعيف! ولا يعدم كاتب مكثر كالأستاذ العقاد أن يقع في خطأ ما لأنه بشر، وهو يفرح بمن يهديه الى هذا الخطأ، ولكن الأستاذ أحمد محمد شاكر ـ رحمه الله ـ قد لاحظ أن العقاد في هذا الكتاب ذكر اسم الفقيه الشهير (عروة بن الزبير) في غير موضعه، فعد الأمر كبيرة الكبائر، وانبرى يهاجم العقاد لأنه ليس من رجال الحديث الذين يفهمون النصوص على وجهها الصريح، ولم يقل العقاد ولم يقل سواه إن المؤلف من رجال الحديث، ولكن الذي يقوله ذوو الإنصاف أنهم على جلالة أقدارهم.. لو كتبوا عن رسول الله وأصحابه وآل بيته لا يسدون مسد العقاد في قليل أو كثير، فلم الضجيج ؟ لقد أخطأ العقاد في ذكر عروة أفيكون كل ما قاله خطأ!!.

أما الافتراء الصارخ المغلف بستار من النقد الخادع، فهو ما جاء في مجلة المقتطف خاصا بكتاب الصدِّيقة بنت الصديق، حيث حاد الدكتور (ب ف) عن النهج الواضح لحاجة في نفسه، فانزلق إلى اعتراضات تنطق بالسوء في غير مواربة، وقد عدّ الأستاذ العقاد نقد مجلة المقتطف من قبيل (النقد التبشيرى) وكتب رده تحت هذا العنوان، وهى كبوة من مجلة المقتطف التى عرفت زمناً بالحياد المستقيم حين تتناول مسائل الإسلام، ثم تتورط في نقد جارح لا ينهض على أساس من منطق! بل ينادى على نفسه بالتطاول والتجريح.

وقد بدأ العقاد رده الحاسم بقوله[٥] إن الدرس العلمى يخدم الحقيقة ويبحث عنها، ويرحب بها، ولا يكره إظهارها، حيث كانت في مذهب من المذاهب أو إنسان من الناس، أما الدرس الذى يكره إظهار الحقيقة لأنها تخص مذهباً غير مذهبه، أو تشيد بفضل إنسان على غير اعتقاده. فليس ذلك بدرس علمى ولا علم، إنما هو تبشير أو دعاية أو هوى مدخول.

هذا الافتتاح الكاشف أعقبه العقاد بأن ذكر أن الناقد الدخيل حرّف قوله حين أثنى على ما زعمه من قول العقاد .. «إن السيدة عائشة على فضلها أنثى كاملة الأنوثة تغار وتفرط في الغيرة حتى لتدب بين إحدى ضرائرها والرسول ابتغاء الإيثار به، وأنها ذات حدة طبيعية، وأنها ظلت تحمل الحقد لمن نصح للرسول بتطليقها، وأنها مالت إلى ذوى قرباها في الخلافة».

وقد رد العقاد بأنه لم يقل ذلك، إذ لم يتحدث عن حقد السيدة، ودبيبها بالسعاية بين الرسول وزوجاته، ولكن الكاتب فسَّر القول على هواه الخاص، وسياق العقاد لا يدل على ما أشار إليه الناقد في شيء.

والناقد هنا قد حرص على ألا يذكر كلام العقاد بلفظه، لأنه لو سطر ما قاله على وجهه الصحيح، لتعذر عليه أن يجد ما يأفك به، ولكنه لخص بعض ما فهم، أو ما انتهى إليه غرضه من

الفهم! ثم انطلق إلى حديث عن طريقة العقاد في تأليف الكتاب إذ يرى منهجه الأسلوبى يغلب عليه منطق الدفاع، وذلك ما انجذب إليه المؤلف في حديثه عن (قضية الإفك)، فأيد مذهبه بشواهد ونصوص من المعقول والمنقول، وربما لج في استخراج هذه النصوص، وأبعد في استنباط ذلك.

ومعنى ذلك كما يقول العقاد أن الناقد حين يرى الدفاع عن الحق يرفضه، أما حين يشم رائحة النقد في سلوك من السلوك فهو ما يرتاح إليه ويصدقه! والسيدة قد اتهمت في أعز ما تحرص عليه، فلابد من الدفاع عن الحق أمام الاتهام الجائر! والناقد يكره أن يكون المؤلف مدافعاً عن حق رآه، فماذا كان يظن به! أكان يتوقع أن يطمس الحقائق أمام اتهام مغرض سفيه كيلا يكون محاميا في تأليفه! واذ ذاك يرضى الناقد المستتر وراء الغرض البغيض.

ثم لج الناقد لجاجاً في مسائل فرعية من قضية الإفك، فجعل يبتر الأحداث ليوقع في الظّنة المغرضة معنى الاتهام، وقد نقض العقاد كل ما افتراه، على أنه ألجمه بمنطق لا يقوله غير العقاد! وهو بعض ما أشرت إليه من فتوحه العلمية حين حسم الأمر بقول سافر لا لبس فيه، وذلك حين قال[٦]:

«نحن لا نعتمد على دليل يقبله المسلم ويرفضه غير المسلم، إنما دليلنا على براءة السيدة عائشة أنها لو كانت أخطأت وبرأها القرآن - استحال عليها أن تؤمن بالكتاب وأن تصدق أنه وحي من الله، وأيسر شيء عليها إذن أن تخترع الأحاديث على النبي عند مسيس الحاجة إلى الاختراع، وأي حاجة الى الاختراع أمس من لجاج الخصومة بينها وبين علي أو عثمان، وتشيعها للزبير وطلحة في تقديمها إياهما، وهى قادرة على تعزيز ذلك بكلام تعزوه إلى زوجها العظيم، فإيمانها بالقرآن والأحاديث النبوية، وتقديسها لحرمة هذه الأحاديث هو الدليل القاطع على براءتها من التهمة التى افتريت عليها. إذ هى لو كانت قد أخطأت وبرأها القرآن لكان إيمانها بالقرآن والأحاديث من المستحيلات، واستحالة الإيمان هذا حقيقة مقررة يقبلها عقل المسلم، وعقل المسيحى، ويقبلها عقل الملحد الذى لا يدين بدين!».

إن هذا الذى ذكره العقاد في هذه السطور يقطع كل ريبة ساقها مغرض ذو هوى، وبمثله صار العقاد فرداً في بابه، فردا منقطع النظير■

الهوامش :

(١) مجلة الثقافة - العدد ١٧٥ - ١٩٤٢/٤/٥م.
(٢) الصِّديقة بنت الصديق ص ٦١ ط المعارف.
(٣) الصديقة بنت الصديق ص ٤٦ وما بعدها.
(٤) الصديقة ص ٨٥.
(٥) مجلة الرسالة - العدد ٥٥٧ - ١٩٤٤/٣/٦م.
(٦) الرسالة - العدد ٥٥٩ - ١٩٤٤/٣/٢٠م.

القيم في الشعر العربي القديم

☐ تعوَّد النقد الأدبي على تتبع مسالك المبدعين في إبداعاتهم الشعرية والنثرية، على مستوى المعنى والمبنى، والأساليب الفنية والجمالية، والإيقاع المرتبط بالضوابط العروضية، وقد وظف النقاد العرب لفظة «المعنى» للتعبير عن «الأغراض الشعرية»، وعن المعاني الجزئية من أفكار وصور شعرية، فتجمع لديهم من هذه المعاني ما راكم قيما متنوعة تم النظر إليها وتقويمها من منطلق «مقتضى الحال» والموجهات الذاتية للناقد التي لا يسلم منها أي رأي نقدي، مع اختلاف في مدى طغيان العامل التأثري على العامل الموضوعي.

وهدفنا من هذه الدراسة - التي يقتضي المقام أن تكون موجزة - الوقوف على بعض هذه القيم التي بثها الشعراء القدامى في إبداعاتهم الشعرية، فقومها النقاد العرب تقويما تحكمت فيه معايير أخلاقية ومنطقية وعلمية وفنية لها علاقة بمدى تأثر النفس لمقتضاه، وما تقتضيه التقاليد العربية.

فلنبدأ بالناقد محمد أحمد بن طباطبا العلوي (ت/ ٣٢٢هـ) الذي يدعو الى مراعاة القيم المدحية التي تربط أخلاقيا بين الشاعر والممدوح، يقول: «وينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره ومفتتح أقواله مما يُتطيَّر به أو يُستجفى من الكلام والمخاطبات، كذكر البكاء ووصف إقفار الديار، وتشتت الألاف ونعي الشباب، وذم الزمان، لاسيما في القصائد التي تتضمن المدائح أو التهاني، وتستعمل هذه المعاني في المراثي ووصف الخطوب الحادثة، فإن الكلام إذا كان مؤسسا على هذا المثال تطيَّر منه سامعه، وإن كان يعلم أن الشاعر إنما يخاطب نفسه دون الممدوح، فيُجتَنَب، مثل ابتداء قول الأعشى:

«ما بكاء الكبير بالأطلال
وسؤالي وهل ترد سؤالي
دمنة قفرة تعاورها الصيـ
فُ بريحين من صباً وشمال»[١]

إن ابن طباطبا اتخذ مقتضى حال الممدوح منطلقا لتحديد معايير نقدية لقيم مدحية ينبغي مراعاتها حسب منظوره النقدي، داعيا الى تجنب الإتيان في مقام المدح بمعان يُتطير بها، أو توحي للممدوح بما يعكر صفو الانتشاء بالقيم المدحية الجميلة.

وأورد قول البحتري مخاطبا أبا سعيد الثغري في مطلع قصيدته:

«لك الويل من ليل تطاول آخـــره
ووشك نوى حي تُزمُّ أباعـــــرُه

فقال له أبو سعيد: الويل لك والحربُ»[٢]

قدامة بن جعفر (ت/ ٣٣٧هـ) الذى نظر الى هذه القيم نظرة فاحصة وعميقة، تنبع من الأخلاق الرفيعة، فقد فحص بدقة متناهية قول أشجع بن عمرو:

يريد الملوك مـــدى جـــعـــفـــر
ولا يصنعـــون كـــمـــا يصنع
وليس بـأوســـعـــهم في الغنى
ولكنَّ مـــعـــروفـــه أوسع

يقول قدامة في تقويمه لهذين البيتين: «فقد أحسن هذا الشاعر، حيث لم يجعل الغنى واليسار فضيلة، بل جعلها غيرهما»[٣] تعوَّد الشاعر الجاهلى على مدح مخاطبيه بصفات منها الغنى الذي يؤهله ليكون من أجواد قومه، كى يحظى بتقديرهم تقديرا يحيطه بالمهابة والوقار، لكن قدامة لفت انتباهه فقفز هذا الشاعر على الغنى ليستقر مديحه في صفة نبيلة هى المعروف؛ الذى يبدو أنه يريد به الأفعال الحسنة، فهو لا يرتكز على اليسار.

ثم قال في تقويمه لقول الشاعر أيمن بن خريم فى بشر:

فلو أعطاك بشـــــرُ ألف ألف
رأى حـــقـــا عليـــه أن يزيدا
وأعقب مِـدْحَـتى سرج خلنجا
وأبيضَ جـوز جـانيـا عـقـودا
وأنَّا قـــد وجـــدنا أم بشـــر
كـــأم الأســـد مـــذكـــارا ولودا

أ.د. بو جمعة جمي

جامعة ابن زهر ـ المغرب

«فجميع هذا المدح على غير الصواب، وذلك أنه أومأ إلى المدح بالتناهى في الجود أولا، ثم أفسده في البيت الثانى بذكر السرج وغيره، ثم ذكر في البيت الثالث ما هو إلا أن يكون ذما أقرب، وذلك أنه جعل أمه ولودا، والناس مجمعون على أن نتاج الحيوانات الكريمة يكون أعسر»[٤].

إن قدرة قدامة على كشف جمالية التلقى، في البنيات الشعرية، التى توحى له بمعان عميقة ولطيفة يطبعها الذاق الحسن، مكنه من الإبانة عما لم ينتبه إليه مبدع هذه الأبيات الثلاثة، الذى لم يستوح من نعته ممدوحه بالكرم اللامتناهي، تقزيم تلك الصفة الى أن أصبحت مقصورة على عطاء محدد تافه، إذا قورن باللامتناهي، على الرغم من قوله في موضع آخر، «فلا يسمى مخطئا لإصابته في مدح الإنسان ببعض فضائله، لكن يسمى مقصّرا عن استكمال جميع المدح»[٥]، ثم لاحظ عليه مجانبته لقيمة معنوية رائعة وهى أن نتاج الحيوانات الكريمة يكون أعسر، إذ هى لا تلد إلا القليل جدا في حين اعتبر الشاعر أم الممدوح ولودا، فكشفت جمالية التلقى لدى قدامة عن استجلاء معان عميقة دالة على ما يشبه الهجاء، أو التنقيص من قيمة المخاطب.

وقد أومأ قدامة الى قيم أخلاقية؛ تعد من فضائل الناس، وهي: «العقل والشجاعة والعدل والعفة، كان القاصد لمدح الرجال بهذه الأربع الخصال مصيبا، والمادح بغيرها مخطئا، ثم قد يجوز مع ذلك أن يقصد الشاعر للمدح منها بالبعض والإغراق فيه دون البعض، مثل أن يصف الشاعر إنسانا بالجود الذي

هو أحد أقسام العدل وحده، فيغرق فيه ويفتنُّ في معانيه»[٦].

وفي إطار القيم الأخلاقية العربية شد انتباهي اعتبار قدامة الجود أحد أقسام العدل، فإذا كنا نعلم أن الجواد ميسور، فلا شك أن هذا الناقد أدرك أن الفائض من حاجياته فيه حقوق المعوزين، مما يحتم على هذا الميسور ـ إن كان عادلا ـ إنفاق هذا المال على المحرومين، إذ هو بمثابة مالهم، وهو ما نصت عليه الآية القرآنية الكريمة: {وفي أموالهم حق للسائل والمحروم}[٧].

وفي تأصيل الشعراء لهذه القيم الأخلاقية في فن الشعر يقول قدامة: «فقد وجب أن يكون على هذا القياس المصيب من الشعراء من مدح الرجال بهذه الخلال لا بغيرها، والبالغ في التجويد الى أقصى حدود من استوعبها ولم يقتصر على بعضها، وذلك كما قال زهير بن أبى سلمى في قصيدة:

أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله

ولكنه قد يُهلك المال نائلُه[٨]

[قوله: «أخى ثقة» أي: يوثق بما عنده من الخير، لما علم من جوده وكرمه، و«النائل»: العطاء، أي لا يتلف ماله في شرب الخمر، ولكنه يتلفه بالعطاء].

فوصفه في هذا البيت بالعفة لقلة إمعانه في اللذات، وأنه لا ينفد ماله فيها، وبالسخاء لإهلاكه ماله في النوال وانحرافه الى غير ذلك من اللذات، وذلك هو العدل، ثم قال:

تراه إذا ما جئته متهللا

كأنك معطيه الذي أنت سائله

فزاد في وصف السخاء منه بأن جعله يهش له، ولا يلحقه مضض، ولا تكره لفعله[٩]، جليٌّ أن قدامة ركز في تقويمه لمعان شعرية على القيم الأخلاقية السائدة في المجتمع العربى القديم، التى أصلها الخطاب الشعري، ثم اعتمدها النقاد في صنعهم للمعايير النقدية فاعتبر تعفف المدوح من السقوط في أحضان اللذات، وجوده بماله عدلا، انطلاقا من كون العدل هو وضع الشيء في محله، وإجابة السائل وقِرَى الأضياف وكون المال الزائد عن الحاجة حقا للسائل والمحروم، الى درجة أن زهير بن أبى سلمى تفنن في تشخيص صورة الجود؛ تشخيصا أضفى على المعنى جمالية فنية، فوصف ممدوحه بكونه مسرورا بمن سأله، كسرور من تلقى العطاء، وحتى لا يفهم من هذا المعنى أنه يحب الأخذ كما يحب العطاء قال الأعلم الشنتمري: «ولم يرد أنه حريص على الأخذ مستبشر به ولكنه قال هذا، على ما جرت به العادة من محبة النفس للأخذ، وكراهيتها للعطاء»[١٠].

ثم قال :

فمن مثل حصن في الحروب ومثله

لإنكار ضيْم أو لخصْم يجادله

يقول قدامة: «وأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل، فاستوعب زهير في أبياته هذه، المدح بالأربع الخصال التى هى فضائل الإنسان على الحقيقة، وزاد في ذلك الوفاء، وإن كان داخلا في هذه الأربع، فكثير من الناس لا يعلم وجه دخوله فيها، حيث قال: أخى ثقة، صفة له بالوفاء،

العقل والشجاعة والعدل والعفة.. من صفات كمال الممدوح

والوفاء داخل في الفضائل التى قدمنا ذكرها»[١١].

إنه تأصيل لقيم أخلاقية سائدة في عصر ما قبل الإسلام، سعى قدامة الى تأصيلها في معايير النقد الأدبي، متعمقا في دلالة بعض هذه الصفات، ومبرزا علاقتها مع الفضائل الأربع التى اعتبرها إطارا تلتقى فيه جميع القيم الأخلاقية، معتبرا «أخا ثقة» صفة للممدوح بالوفاء، الذى لم يورده بين تلك الفضائل الأربع، لأن الوفاء نابع من العدل والعفة.

وأصّل قدامة لقيم المديح، مراعيا مقتضى حال كل ممدوح؛ فأشار الى صفات المديح التى مدح بها الملوك، فأصبح النقد الأدبى ينظر إليها في معاييره على أنها قيم راعاها من أصّلها من الشعراء، ثم أكد على تأصيلها النقاد.

ومن الممدوحين بمعان شعرية ذات قيمة مدحية معينة؛ من كانت لهم القدرة العلمية والأدبية والفنية على تقويم تلك المعانى التى مُدحوا بها، مثل عبد الملك بن مروان الذى مدحه كثيِّر عزة بقوله:

«على ابن أبى العاصى دلاصُ حصينة
أجاد المُسَدّي سردها وأذالها
يؤود ضعيف القوم حملُ قتيرها
ويستظلع القرم الأشمُّ احتمالها

فقال له عبد الملك: قول الأعشى لقيس بن معدي كرب أحسن من قولك، حيث يقول:

وإذا تجيء كتيبة ملمومة
شهباء يخشى الذائدون نهالها
كنت المقدَّم غير لابس جُنَّة
بالسيف تضرب مُعلما أبطالها»[١٢]

إن جمالية التلقى مكنت الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان - الذى آثر المبالغة في المدح بالشجاعة النادرة التى تحولت الى التهور - في منظور المنطق - من استنتاج معنى أعمق مما توحى به أسلوبية الشاعر؛ وهى أن وصفه بحمله أسلحة الحرب يوحى بالانتقاص من شجاعته الحربية، بالمقارنة مع من وصف بأنه يخوض غمار المعركة غير لابس جُنَّة ، فحاول (كُثيِّر) تأويل معنى الأسلوب الذى مدحه به بقوله: «يا أمير المؤمنين، وصفتك بالحزم والعزم، ووصف الأعشى صاحبه بالطيش والخرق» إلا أن المنهج النقدى عند قدامة - على مستوى مقومات الإبداع الشعري - يحبذ المبالغة، لذلك علق على دفاع (كُثيِّر) عن تلك القيمة المدحية بقوله: «والذى عندي في ذلك أن عبد الملك أصح نظرا من (كثير) إلا أن يكون (كثير) غالط واعتذر بما يعتقد خلافه، لأنه قد تقدم من قولنا في أن المبالغة أحسن من الاقتصار على الأمر الأوسط ما فيه كفاية، والأعشى بالغ في وصف الشجاعة حتى جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جُنة، على أنه وإن كان ليس الجُنّة أولى بالحزم وأحق بالصواب ففى وصف الأعشى دليل قوي على شدة شجاعة صاحبه، لا أن الصواب له ولا لغيره إلا لبس الجنة، وقول كثير يقصرُ عن الوصف»[١٣].

ولقدامة بن جعفر رأى طريف في بيتين لامريء القيس؛ هما:

«فمثلك حُبلى قد طرقت ومُرضع
فألهيتها عن ذي تمائم مُحْول
إذا ما بكى من خلفها انصرفت له
بشق وتحتى شقها لم يُحوَّل»[١٤]

فقدامة لم يكتف بتلقى معنى البيتين الغزليين

مخالفة القيم الدينية والأخلاقية من عيوب الابداع

تلقيا مقتصرا على الانتشاء بجمال الصورة الفنية الغزلية، لكنه أثار قضية معيار القيم الأخلاقية والدينية في الإبداع الأدبي، التى تتحكم في التوجهات النقدية التقويمية لبعض النقاد، الذين يعتبرون مخالفة هذه القيم عيبا في الإبداع يُغْمز به الشاعر إذ إن البيتين انتقد معناهما الفاحش[*]، لكن قدامة بن جعفر ميَّز بين جمالية المعنى وبين فحاشتها، محاكيا التمييز بين جودة النجارة في الخشب وبين رداءته، وبذلك دفعه إدراك جمالية التلقى الى الفصل بين القيم الأخلاقية والدينية وبين ما أسماه بجودة الشعر؛ أي جماله الفنى دون أن يفهم من هذا التمييز أنه يشجع الشعر المتضمن لمعان فاحشة.

وقد قال أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى (ت ٣٨٤هـ) : «مما يعاب به أبو تمام قوله:

تثفَّى الحرب منه حين تغلى

مراجلها بشيطان رجيم

فجعل الممدوح هو الشيطان»[١٥].

المرزبانى بنى حكمه النقدى على معيار نقدي أخلاقى متعارف عليه؛ وهو المدح بألفاظ تحمل القدح، فالشيطان على الرغم من كونه يرمز الى القوة والخُدع الحربية في هذا المقام، وتحقيقه لغواية ضعاف العقيدة إلا أن المرزبانى لم يستسغ استعارة الشيطان للممدوح، لكون الشيطان يوحى بالضلال والعصيان، والسير في طريق كله رذائل، وهى صفات ذميمة لا تليق بشخص الممدوح، فقد تغلبت القيم الأخلاقية على المعايير النقدية عند المرزبانى، وهى معايير تثير إشكالا غريبا في مجال توظيف المجاز والاستعارة في البناء اللغوي والصورة البيانية في الخطاب البلاغي، ذلك أن العربي تعوَّد على استعارة ألفاظ ووضعها في غير محلها الذي وضعها فيه الواضع اللغوي من قبل، ثم توظيفها في مختلف أوجه الخطاب على الرغم من كونها تثير الاستغراب عند من لم يتعود على فهم دلالتها البلاغية فتشبيه الشجاع بالأسد - مثلا - بهدف تشخيص جرأته وإقدامه الشديد تشبيه تعوَّد عليه الفكر والخيال العربيان، تعودا أفلح في محو كل الصفات البشعة، التى توحى بها لفظة «أسد» من شراسة واعتداء، وبشاعة الصورة، ونتانة الرائحة.. فتم ربط فكر المتلقى لهذه الصورة البيانية بصفة واحدة هى الشجاعة النادرة لكن انتقاء أبى تمام للفظة «الشيطان الرجيم» وتوظيفها في غرض المديح، على سبيل الاستعارة لم يتعود عليها فكر العربي وخياله في أساليب الخطاب العربي، كما تعود على استعارة الأسد لشجاعة الممدوح، لأن «الشيطان الرجيم» يعتبر في منظور الدين الإسلامى قمة الصفات الذميمة، والرذائل المقوتة، والضلال البعيد.. وهي خصائص يستحيل محوها في ذهن الإنسان السوي محوا يساعد على توجه الفكر والخيال رأسا للقوة والخدعة الحربية التى قصدها أبو تمام في بيته المدحي.

وقد تسبب أسلوبية بناء البيت الشعري في صياغة معنى لا يستسيغه المعيار النقدي، كقول المرزباني: «قال محمد بن داود: أنشد أبو تمام أبا المغيث الرافقي شعرا له يقول فيه:

وكن كريما تجد كريما

تحظى به يا أبا المغيث

فقال له يوسف بن المغيرة القشيري، وكان شاعرا عالما: قد هجاك؛ إنما قال لك: كن كريما، وإنما يقال للئيم: كن كريما»[١٦]، إن الأسلوب الإنشائي في هذا السياق توحي دلالته البلاغية بخلو طبيعة المخاطب من الكرم، لكون هذا الأسلوب يدل على عدم تحققه، فأوحت جمالية التلقي لهذا الشاعر الناقد بكون هذه الأسلوبية دالة على اتصاف المخاطب باللؤم، وليس بالكرم.

الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) لم يشذ عن رأي قدامة بن جعفر في اعتباره المبالغة إبداعا فنيا، فأوضح أنها ضروب اختلف فيها، غير أنها الغاية القصوى في الجودة «فمن أحسن المبالغة وأغربها عند الحذَّاق: التقصي، وهو بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن من وصف الشيء، كقول عمرو بن الأيهم التغلبي:

ونُكرم جارنا ما دام فينا
ونُتبعه الكرامة حيث كانا»[١٧]

لهذه القيمة الأخلاقية دلالة بلاغية تنم عن قيمة الكرم في المجتمع العربي القديم، وهو كرم لا حدود له، وردت في الشعر العربي القديم صور مختلفة له، تبدو عليها المبالغة على مستوى المعنى السطحي، لكن على مستوى المعنى العميق؛ توحي بكون هذا الكرم سلوكا عجيبا في أوساط المجتمع العربي يستحق الإكبار، لأن إطعام الجوعى له قداسته في بيئة صحراوية تشتد فيها الحرارة المهلكة التي تسبب انحباس الغيث، وجفاف الماء والمرعى، ثم يدهم الجوع الناس فيواجهون خطر الموت.

ومن المبالغة قول امرىء القيس :

تنوَّرتها من أذرعات وأهلها
بيثرب أدنى دارها نظر عال

انتقد ابن رشيق معناه بقوله: «وبين المكانين بُعد أيام، وإنما يرجع القُفَّال من الغزو والغارات وجه الصباح؛ فإذا رأوها من مسافة أيام وجه الصباح وقد خمد سناها وكل موقدها فكيف كانت أول الليل؟»[١٨].

إن المعاني الشعرية المصوغة صياغة فنية ينبغي أن ينظر الى دلالتها العميقة التي توحي بها الجمالية الفنية، وهو ما عبَّر عنه الخليل بن أحمد الفراهيدي بقوله:

«الشعراء أمراء الكلام يصرِّفونه أنَّى شاءوا، ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده من تصريف اللفظ وتعقيده.. واستخراج ما كلَّت الألسن عن وصفه ونعته والأذهان عن فهمه وإيضاحه، فيقرِّبون البعيد ويبعِّدون القريب، ويُحتج بهم ولا يحتج عليهم، ويصورون الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل»[١٩].

إن الخليل بن أحمد أدرك الفرق بين الصياغة النثرية والصياغة الشعرية، التي تعبر عن الجمالية الفنية، والإيقاع الموسيقى الذي يضاعف من هذه الجمالية، وهو ما يشفع لهم بتخريج «كلامهم على وجوه من الصحة، فإنهم قلما يخفى عليهم ما يظهر لغيرهم، فليسوا يقولون شيئا إلا وله وجه، فلذلك يجب تأوُّل كلامهم على الصحة والتوقف عن تخطئتهم فيما ليس يلوح له وجه»[٢٠]، ذلك أنه ليس للشعر

جودة البناء اللغوي والبياني في القصيدة لا يلغي الالتزام بقيم الدين والأخلاق

مقصدية أخلاقية أو تعليمية، وإنما وكد الشاعر هو تجويد الصورة، وإلباسها لباسا فنيا وجماليا.

وقد تدخلت القيم الدينية في تحديد المعايير النقدية، لتنعت المعاني المكونة لها بالغلو الفاحش، الذي يقول فيه ابن رشيق: «فإذا صرت الى أبي الطيب صرت الى أكثر الناس غلوا، وأبعدهم فيه همة، حتى لو قَدرَ ما أخلى منه بيتا واحدا، وحتى تبلغ به الحال الى ما هو غني، وله في غيره مندوحة، كقوله:

يترشَّفن من فمي رشفات
هُنَّ فيه أحلى من التوحيد

وإن كان له في هذا تأويل ومخرج بجعله التوحيد غاية المثل في الحلاوة فيه»[٢١] على الرغم من إمكان تأويل الصيغ الشعرية، إلا أن تصنيف ابن رشيق لهذا المعيار النقدى تحكم فيه الشعور الدينى الذى فرض على فكره وإحساسه الروحى أن لا يفتح أى باب لتصور شيء يمكن أن يكون أحلى من الإيمان بوحدانية الله تعالى، وهو ما يطرح قضية الإبداع الشعري والجمالية الفنية اللذين يركبان الخيال غير المراعى للقيم الدينية، لأن هناك مواصفات للإبداع الصادر من قريحة المبدع المؤمن وخياله، في حين يبقى الخيال جامحا لدى المبدع الذى لا تقيده ضوابط دينية، وهو أمر يجعل أطروحة الفن للفن صعبة التوافق مع الإبداع الفنى الملتزم بتلك الضوابط الدينية.

وهو ما أكد هذا العالم الناقد الاستشهاد عليه بقول المتنبى نفسه:

«كأنى دحوت الأرض من خبرتى بها
كأنى بنى الإسكندر السدَّ من عزمى

فشبه نفسه بالخالق، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، ثم انحط الى الإسكندر، وربما أفسد أبو الطيب إغراقه هكذا ونقص منه بما يظنه إصلاحا له وزيادة فيه»[٢٢].

وهكذا يتأكد أن الشعر العربى تضمن قيما - ولا سيما المدحية منها - تتعارض مع معايير القيم الأخلاقية والدينية؛ أوردها مبدعو ذلك الشعر على سبيل تعظيم الممدوح، والرفع من مكانته، أو تفخيم صورة المخاطب، ذلك أنه تتدخل عدة مقومات في صياغة صور فنية وقيم جمالية، لكن مساهمة هذا الغلو؛ المتمثل في تشبيه الشاعر نفسه بالخالق جل وعلا على سبيل الغلو الفنى، تكون منافية للمقوِّم الدينى، فتحطم تلك القيم الجمالية والفنية في منظور ابن رشيق وأمثاله، فلم يشفع للمتنبى الجمالية الفنية التى توحى بها الصورة الفنية المتسمة بالغلو، بل إن ابن رشيق عاب عليه صياغة معنى آخر متمثلا في الانحطاط من الأعلى الأعظم الى الأسفل الضعيف، وهو الإسكندر الذى ليس إلا إنسانا ضعيفا.

وفي إطار تحديد المعايير النقدية ما بين مستوى الغلو ومستوى الحقيقة، أورد ابن رشيق قول أبى تمام:

المعيار النقدي مرتبط بالمسار الاجتماعي والعرفي

فقد بثَّ عبد الله خوف انتقامه
على الليل حتى ما تدبُّ عقاربهْ

فعلق على معناه بقوله: «فاعتبروا يا أولى الأبصار»[٢٣] التعليق يوحى بكون ابن رشيق لم يستسغ هذا الغلو الفاحش الذى اعتمد أبو تمام في تسويغ إبداعه هذا وغيره، حرية المبدع في إطلاق العنان لخياله؛ يصوِّر به قيما مدحية مغرقة في الغلو، وهو غلو يصطدم بإسناد قوة عظيمة للممدوح يختص بها الله تعالى، ولم يشفع لأبى تمام عند ابن رشيق ومن يسلك مهْيَعه في النقد كون الأمر يتعلق بإبداع صورة فنية تطبعها الجمالية الفنية، وتشعر الممدوح بعلو مكانته، وهى أسلوبية يقتضيها مقام المدح.

ثم يقيد ابن رشيق الغلو والإغراق في صياغة المعانى التى تُعرض على المعايير النقدية المختلفة عند النقاد، بقوله: «وإذا لم يجد الشاعر بدا من الإغراق - لحبه ذلك، ونزوع طبعه إليه - فليكن ذلك منه في الندرة، وبيتا في القصيدة إن أفرط، ولا يجعل هجيراه كما يفعل أبو الطيب، وأحسن الإغراق ما نطق فيه الشاعر أو المتكلم بكاد أو ما شاكلها، نحو كأن ولو ولولا، وما أشبه ذلك مما لم يناسب أبيات أبى الطيب المتقدم ذكرها في البشاعة»[٢٤].

أورد ابن رشيق لزهير بن أبى سلمى البيت الثانى من البيتين :

لو كان يخلُد أقوام بمجدهم
أو ما تقدم من أيامهم خلدوا
أو كان يقعد فوق الشمس من كرم
قوم بأوّلهم أو مجدهم قعدوا[٢٥]

علَّق ابن رشيق على البيت الثاني بقوله: «فبلغ ما أراد من الإفراط، وبنى كلامه على صحة»[٢٦].

العالم الناقد حازم القرطاجنى (ت ٦٨٤هـ) أورد في معرض حديثه عن «ماهية الشعر وحقيقته» معيارا فنيا وأخلاقيا، فقال: «وأردأ الشعر ما كان قبيح المحاكاة والهيئة، واضح الكذب، خليا من الغرابة، وما أجدر ما كان بهذه الصفة ألا يسمى شعرا، وإن كان موزونا مقفى؛ إذ المقصود بالشعر معدوم منه، لأن ما كان بهذه الصفة من الكلام الوارد في الشعر لا تتأثر النفس لمقتضاه» وقد علل هذا العالم كون قبح المحاكاة يؤدى الى رداءة الشعر بقوله: «لأن ما كان بهذه الصفة من الكلام الوارد في الشعر لا تتأثر النفس لمقتضاه، لأن قبح الهيئة يحول بين الكلام وتمكنه من القلب.. ووضوح الكذب يزعها عن التأثر بالجملة»[٢٧].

وقد حاول النقاد التمييز بين الكذب والمبالغة في المعانى الشعرية، فاعتبروا أن تغيير الحقائق العلمية يعد كذبا قبيحا يعاب به الشاعر، كقول بعضهم:

فإن صورة راقتك فاخبُر فربما
أمرُّ مذاق العود والعودُ أخضرُ

المعيار النقدى الذي وظفه حازم القرطاجنى في تقويم هذا البيت الشعري هو الحقيقة العلمية؛ يقول: «فبنى على أن مرارة العود أكثر ما تكون عن اليبوسة وأنها في الأخضر على القلة، والأمر بخلاف ذلك لأن وجود المرارة مع الخضرة هو الأكثر.. وهذا

مراعاة مقتضى الحال ضرورة عند النقاد

غلط مستقبح في المعاني مؤد الى انعكاس حقائق المقاصد، فليتحفظ من مثله»[٢٨].

وقد اعتمد هذا العالم الناقد جمالية التلقي في استجلاء قيمة بلاغية من قول امرىء القيس :

وإن كنت قد ساءتك منى خليقة

فسُلِّي ثيابى من ثيابك تنسل

إذ يقول : «ففى قوة هذا الكلام، على ما يتراءى إليه غرض القول، أن يكون الاستثناء نقيض المقدم والنتيجة نقيض التالي، أي لكنك لم تسؤك منى خليقة فيوهم أنه منتج: فلا تسلى ثيابى من ثيابك، وهذا استثناء، واستنتاج غير صحيحين وإنما يستعمل هذا في الخطابة على جهة الإقناع، وإنما تصح نتيجة الشرطية المتصلة إذا استثني نقيض التالى فأنتج نقيض المقدم، والمقدم هى القضية التى حرف الشرط، والتالى هى القضية التى تكون جوابا للشرط»[٢٩].

لقد قابل حازم القرطاجنى بين أسلوبية الخطابة في الإقناع، وأسلوبية الإبداع الشعري في التأثير الجمالى، فالبنية التركيبية واحدة في المقام الخطابى وفي مقام الإبداع الشعري، لكن دلالتها البلاغية مختلفة في صياغة قيمة بلاغية، ولعل رفضه لتقدير الاستثناء المقابل للشرط ناجم عن كونه أوحت له جمالية التلقى بكون امرىء القيس جعل نفسه مترفعة عن استعطاف عنيزة المتغزل بها، لذلك لا ينبغى تقدير نفى هذا العيب عن نفسه، لأنه تأويل يتضمن الأسلوب الإقناعى الذى يعتبر من أسلوبية الخطابة.

وقد تطرق حازم القرطاجنى الى قيمة اخلاقية تختص بمراعاة حسن الأدب مع المخاطب، فقال:

«ومن الأبيات التى وقع فيها سوء أدب حيث يجب حسن الأدب قول جرير:

يا بشرُ حُقَّ لوجهك التبشير

هلا غضبت لنا وأنت أمير؟!

قد كان حقُك أن تقول لبارق

يا آل بارق فيم سُبَّ جرير

فقال بشر : ما وجد ابن اللخناء رسولا غيري!؟»

فقد بدا أن المقام هو المحدد للقيمة الأخلاقية التى يطالب الشاعر بمراعاتها، وهى قيمة أدركها إحساس الأمير بجمالية التلقي، فكان تعليقه على ما اعتبره جرير مدحا، هو توبيخه له على خطاب متضمن للإهانه.

لم ينتبه بعض الشعراء الى دلالة الخطاب الذي يقصدون به مدح مخاطبهم، لكن المتلقى يستوحى من تلك الدلالة قيمة دالة على سوء الأدب، يقول حازم القرطاجنى: « ومن ذلك استفتاح أبى نواس قصيدته التى هنأ فيها الفضل بن يحى بن خالد بدار ابتناها فقال:

أربعَ البلى إن الخشوع لباد

عليك وإنى لم أخنك ودادي

فتطيَّر الفضل من ابتدائه فلما ختم القصيدة بقوله:

سلامٌ على الدنيا إذا ما فقدتم

بنى برمك من رائحين وغاد

استحكمت كراهته لما سمع، فما مر أسبوع حتى نُكب بنو برمك»[٣٠].

إن أبا نواس لم ينتبه الى أن المقدمة الفنية توحي بالتطيُّر كما أن البيت الآخر بدا في ظاهره للشاعر أنه يصور المكانة العليا للبرامكة، لأن الدنيا ستفقد قيمتها ولذة الحياة بها إذا انتزعت منهم السلطة لكن المخاطب أوحت له جمالية التلقي بالتشاؤم من هذه القيمة المدحية الى درجة الكراهية، فتحققت نبوءته بنكبة البرامكة التي قضى فيها الخليفة هارون الرشيد، بعد استئثارهم بالحل والعقد.

وعليه، فإن الشعر العربي تضمن معاني تعبر عن قيم أخلاقية عربية، وقيم دينية مجددة دعا إليها الإسلام، فتناولها النقد العربي بالتحليل والنقد، واضعا لها معايير نقدية تراعي ما أسماه البلاغيون بمقتضى الحال، فكان النقاد يؤاخذون الشاعر بمدى ملاءمة المعاني التي يضمنها شعره الذي قاله في المديح - مثلا - لما يقتضيه مقام المدح، وباقي الأغراض الشعرية الأخرى التي ذكرت في تناولها قيم معينة وتلك المعايير النقدية تتأثر برد الفعل للعقيدة الدينية للناقد، وثقافته، وباقي المؤثرات الأخرى التي تؤثر في أسلوبية إبداعه الشعري، فاختلف النقاد في بعضها كالقيم التي يطغى على تصويرها الغلو ■

الهوامش :

(١) عيار الشعر تأليف محمد أحمد بن طباطبا العلوي ص ١٢٦ شرح وتحقيق عباس عبد الساتر مراجعة نعيم - زرزور الطبعة الأولى ١٩٨٢م دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) نفسه ص ١٢٧.

(٣) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ٢١٦ - ٢١٧، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بمصر، طبعة ١٩٦٣م.

(٤) نفسه ص ٢١٧ - ٢١٨ (الخليج: فارسي معرب؛ شجر تتخذ من خشبه الأواني، وقيل كل جفنة، وصفحة وآنية صنعت من خشب ذي طرائق وأساريع موشاة، جوز جان: اسم كورة من كور، بلخ بخراسان، عقود : قوي).

(٥، ٦) نفسه ص ٦٩.

(٧) الذاريات الآية/ ١٩.

(٨) شعر زهير بن أبى سلمى، صنعة الأعلم الشنتمري ص ٥٧، تحقيق فخر الدين قباوة، دار القلم العربى بحلب الطبعة الثانية ١٩٧٣م.

(٩) نقد قدامة ص ٦٩ - ٧٠ .

(١٠) شعر زهير بن أبى سلمى ص ٥٨.

(١١) نقد قدامة ص ٧٠.

(١٢، ١٣، ١٤) نفسه ص ٧٣ - ٧٤ وص ٧٤ وص ١٨ - ١٩.

(*) المنهل : قضية (اللفظ والمعنى) قديمة حديثة وظلت موضع جدل بين النقاد.. بين مؤيد ومعارض.. لكن، ينبغي أن يكون الحد الفاصل في هذا: ان ما حرمه الشرع الاسلامي يبقى محرماً، وليس للشعر والشعراء الحق في الخروج عن هذه القاعدة الشرعية ويبقى قياس الحسن في القصيدة أو البيت هو بمقدار جمال (اللفظ والمعنى) والمعنى الجميل هو المرتبط بضوابط الشرع، واحترام العرف العام في التحسين والتقبيح.

(١٥) الموشح للمرزباني ص ٣٧٥ ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، تثفي: من أثفيت القدر، وثفيتها : إذا وضعتها على الأثافي.

(١٦) نفسه ص ٤٠٥.

(١٧) العمدة ٢/٥٥.

(١٨) نفسه ٢/٥٦.

(١٩) منهاج البلغاء وسراج الأدباء صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني ص ١٤٣ - ١٤٤، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة الطبعة الثالثة ١٩٨٦م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

(١٠) نفسه ص ١٤٤.

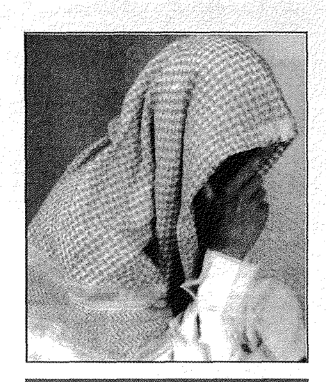
(٢١) العمدة ٢/٦٣.

(٢٢، ٢٣، ٢٤) نفسه ٢/٦٣ و٢/٦٤ و١/٦٤.

(٢٥) شعر زهير بن أبى سلمى ص ٢٢٧ - ٢٢٨.

(٢٦) العمدة ١/٦٤.

(٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠) نفسه ص ٧٢ وص ١٤٦ وص ٦٦ وص ١٤٨ - ١٤٩.





ما البكـــاء ؟

يفرق اللغويون القدامى بين البكا (بالقصر) والبكاء (بالمد). فالبكا (بالقصر) هو نزول الدمع من العين أو العينين، والبكاء (بالمد) هو الصوت الذي يكون مع البكا. وكلاهما تعبير عن الحزن، ويتخذ البكاء صورا متعددة حسب درجة الحزن وطبيعة الباكي وتحكمه في نفسه، فهناك التباكي، والنشيج، والنحيب، والعويل، والنواح، وغير ذلك. فالتباكي هو تكلف البكاء، والنشيج هو تردد البكاء في صدر الشخص، والنحيب هو البكاء الشديد، والعويل هو رفع الصوت بالبكاء والصياح، والنواح هو البكاء مع ترديد الكلام.

وعلى الرغم من أن البكاء تعبير غريزي عن الحزن، يشترك فيه الإنسان مع بعض الحيوان، فإن الثقافات المختلفة تخضعه لعادات وأحكام متوارثة تحدد منْ يبكي؟ ولِمَ يبك. ؟ ومتى يبكي وكيف يبكي. ؟..

وتميل الثقافة العربية إلى اعتبار الدموع التى تنحدر من العين تعبيرا عن الحزن الذي يصيب روح الإنسان. فقد نُسب إلى حبر الأمة عبد الله بن عباس (رضى الله عنه) قوله:

وليس الذي يجـري من العين مـاؤها
ولكنه روح تذوبُ فـــتـــقطرُ



د. علي القاسمي

الربـــاط

إذن فالدموع تترجم حالة نفسية يعاني منها إنسان يحرق الألم نفسه فيحيلها إلى دموع تتجمع في مآقي عينيه ثم تتقاطر على خديّه على شكل عبرات حَرّى، أو كما قال ديك الجن الذي هصره الحزن والندم بعد أن قتل زوجته على إثر وشاية كاذبة اتهمتها بالخيانة، بيد أنه اكتشف براءتها بعد أن سبق السيف العذل، فلم يجد سوى البكاء متنفساً له:

ليس ذا الدمع دمع عـيني ولكن

هي نفـسي تذيبـهـا أنفـاسي

ما فائدة البكاء ؟

تصيب الإنسان نائبة من نوائب الزمان، مثل فقد قريب أو فراق حبيب، فيشعر بالحزن والأسى واللوعة، ويطلق العنان لدمعه، فيحس بعد ذلك بشيء من الراحة، كما قال الشاعر الأموي غيلان ذو الرمة :

لعل انحـدار الدمع يُعـقب راحـة

من الوجـد أو يُشـفي نجيّ البـلابل

كما لو كانت الدموع تستطيع أن تطفىء النيران التي يؤججها الحزن في الروح أو تخمد لهيب الحب والوجد في النفس، كما تخيل الشاعر العباسي البحتري :

هو مــاء الدمــوع يخـمـد ناراً

من جــوى الحب أو يبلّ غليــلا

ومهما كانت الصورة ، فإن الإنسان الحزين يشعر بشيء من الراحة بعد أن يذرف الدموع، فالبكاء يخفف من حزنه، كما يقول الشاعر العباسي ابن الرومي الذي فقد أولاده الثلاثة:

ابك فــمن أنفع مـــا في البكا

إن البكا للحـــزن تحليلُ

فالبكاء يشفي الإنسان من اللوعة، كما يقول أحدهم :

إن البكاء هو الشـــفـــا

ءُ من الجـــوى بين الجـــوانح

فعندما تشتد الأحزان والأوجاع في النفس البشرية، قد لا يجد الإنسان شيئا يشفيه منها سوى البكاء، كما يقول الشاعر الأموي الفرزدق بعد أن فقد قريبا عزيزا عليه:

سأبكيك حتى تنفد العين ماءها

ويشـفي مني الدمعُ مـا أتوجعُ

من يبكي ؟ :

اتفقت العرب منذ القدم على أن الرجل لا يبكي، يحق للمرأة أن تبكي، بل يجب عليها أن تبكي في مناسبات معينة، ويمكن للغير أن يبكي، كما ورد في أقوالهم السائرة: «أبكى من يتيم»، واليتيم هو الطفل

الذى فقد أحد أبويه أو كليهما، ولا يقال للشاب أو الرجل يتيما.

ولا تنحصر صفات الرجولة، في العقل العربي، في ذكورة الرجل، وإنما تمتد كذلك إلى إقدامه وشجاعته وجلده وصبره وقوة تحمله المشاق والهموم والأحزان، وهذه صفات كلها تتنافى مع البكاء، ولهذا لا يخجل شاعر عربي المخبّل (أو المهلهل) من تفوق أبناء عشيرته على البعران من حيث صبرهم وجلدهم، فهم يفضلون أن يقتلوا وتبكي عليهم النساء من أن يبكوا جزعا:

يُبكى علينا ولا نبكي على أحـد
لنحن أغلظ أكـبـادا من الإبل

فالرجل العربي لابد أن يتحلى بالصبر فلا يبكي وإن كانت لديه أسباب كافية للبكاء، كما يقول الشاعر الجاهلي دريد بن الصمة:

تقولُ ألا تبكي أخاك، وقد أرى
مكان البكا، لكن بُنيتُ على الصبر

فدريد بن الصمة لا يبكي على الرغم من أن أخاه قُتل في يوم اللوى وهو أحد أيام العرب في الجاهلية، وعلى الرغم من أن دريد نفسه أصيب بجرح بليغ في تلك المعركة وسقط، وعلى الرغم من أن قومه هوازن قد هُزمت فيها، وكان يمكن أن يتفادى كل ذلك لو أن أخاه عبد الله بن الصمة قد أخذ برأي دريد:

أمـرتهم أمـري بمنعـرج اللوى
فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

فالرجل العربي يخفي جزعه وحزنه، ويتجلد ويصبر، وإلا عرّض نفسه للتأنيب والتقريع، كما يُفهم من قول عبد الله بن الدمينة :

بكيت كما يبكي الوليدُ ولم تكن
جليداً وأبديت الذي لم تكن تُبدي

وإذا تكالبت على الرجل العربي الهموم والأحزان، وهزه الشوق والهوى، وفاضت نفسه بالوجد واللوعة، وحقّ له أن يبكي ، فإن كبرياءه يمنعه من البكاء أمام الآخرين، وقد يبكي ذلك الرجل وحده في مخدعه عندما يستره الليل فلا يراه أحد، كما أسرّ لنا الأمير أبو فراس الحمداني :

أراك عصيّ الدمع شيمتك الصبرُ
أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ
بلى، أنا مشتاق وعندي لوعة
ولكن مثلي لا يُذاعُ له سرُ
إذا الليلُ أضواني بسطتُ يدَ الهوى
وأذللتُ دمعا من خلائقه الكبرُ

فالرجل العربي يمنعه الحياء أو الكبرياء من البكاء حتى إذا داهمته الأحزان وتناهبته الهموم، كما يقول شاعر معاصر هو كريم العراقي في أغنية ينشدها المطرب المعروف كاظم الساهر:

تقول: أراك مبتسماً تُغني
وكم يحتاج مثلك للبكاء
وما تدري بأن بكاي صعبٌ
وأكبرَ من دموعي كبريائي

أمـا إذا لم يتـحكم الرجل العـربي بعـواطفـه وأحاسيسه، وغالبه الدمع وغلبه، وبان أمره للآخرين، فإنه يتعرض للوم والعذل منهم، ولعلك تقول كما قال ديك الجن: إنَّ خلي القلب لا يعرف ما يكابده كسير القلب من حزن ممض وألم مقض :

ويعـذلني السـفـيـه على بكائي
كـأني مُـبـتليٌ بالحـزن وحـدي

ولكن تقاليد الثقافة العربية تقتضي أن لا يبكي الرجل فإذا غلبته الدموع وتلألأت في عينيه وتحولت إلى عبرات تغادر العينين إلى الخدين ورآه الآخرون، فلابد له من أن يجد عذراً يقنعهم بأنه لم يكن يبكي، وأن ما رأوه في عينيه مجرد قذى، مثلا ، كما فعل الحطيئة:

إذا مـا العينُ فـاضَ الدمعُ منهـا
أقــولُ بهــا قــذى وهو البكاءُ

أما بشار بن برد فقد غلبته الدموع مراراً أمام عدد من أصدقائه، ويبدو أن النظارات الشمسية السوداء لم تكن قد اخترعت بعد ليستخدمها في إخفاء دموعه، وبهذا فقد كان يشيح بوجهه عن الصديق ويسرع ذاهباً إلى حجرة مجاورة ليذرف دموعه بعيدا عن صديقه، وعندما تفطّن صديقه لبكائه لامه وعذله، فاضطر بشّار أن يزعم أن عينه لم تكن تبكي وإنما أصابها طرف رداء لبسه في الحجرة المجاورة:

كـم من صـــديق لي أســـ
ــارقــه البكاء من الحــيــاء
وإذا تــفــطَّــنَ لامــنــي
فــأقــول : مــا بي من بكاء
لــكــن ذهــبــتُ لأرتــدي
فـطـرفـتُ عــيـني بـالـرداء

لقد أصيب صديق عزيز عليّ بالسرطان ولم ينفعه علاج، وقد واجه هذا الداء الوبيل بشجاعة نادرة، وكان في مراحل مرضه الأخيرة يرقد في مستشفى حيث يعوده كثير من محبيه وأقاربه وتدور أحاديث ضاحكة مرحة يبدأها هو، ولم نكن نختلي كثيرا، ولكن عندما كانت تتاح الفرصة لنا بالانفراد كنا نطيل النظر أحدنا إلى الآخر صامتين، وأرى بوادر الدمع تترقرق في مقلتيه، فيعتصر قلبي أسى وأحس بأن الدموع ستقفز إلى عيني، فأنهض مسرعا خارجا من غرفته وأنا أصيح: أين المرضة؟ في محاولة لتبرير خروجي، ولم أكن أحفل بالحياء أو الكبرياء بقدر ما كنت أخشى أن أحرج صديقي أو أسبب له الحزن ببكائي.

البكاء على الميت :

وعلى كل حال، وبغض النظر عمن يسمح له بالبكاء في تقاليد الثقافة العربية، يحق لنا أن نسأل: متى يبكي الإنسان العربي؟ نجد الجواب واضحا في تراثنا الأدبي ومفاده أن المرأة تبكي عندما يموت قريبٌ لها: أب أو أخ أو ابن أو زوج. وقد تظل المرأة العربية تبكي الميت حولا كاملا، ويعتز الرجل العربي

بكثرة النسوة اللواتي سيبكينه بعد وفاته، فهذا دليل على محبتهن وإخلاصهن له، بل يشعر أن ذلك من حقه عليهن ميتا، وهذا ما نفهمه من أبيات الشاعر الجاهلي لبيد بن ربيعة الذي كان من سادات العرب وفرسانها في الجاهلية ثم أدرك الإسلام ووفد على الرسول {صلى الله عليه وسلم} وأسلم، وترك الشعر، وسكن الكوفة.

ففي هذه الأبيات يخاطب ابنتيه وينصحهما بعدم لطم الخدود وخمش الوجوه وشق الجيوب وحلق الشعر تبعا للعادات التى كانت شائعة - وما تزال الى حد ما - عند نواح النسوة على الميت، ويطلب منهما أن يبكياه ويذكرا مآثره فقط:

إذا حان يوماً أن يموت أبوكما

فلا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعرْ

وقولا : هو المرء الذي ليس جاره

مُضاعاً، ولا خان الصديق ولا غدرْ

إلى الحول، ثم اسمُ السلام عليكما

ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذرْ

ومن الذين أوصوا بناتهم بالبكاء عليهم بعد موتهم الأمير أبو فراس الحمداني :

أبنيتي لا تجزعي

كلُ الأنام إلى ذهاب

نوحي عليَّ بحسرة

من خلف سترك والحجاب

قولي إذا كلمتني

فعييتُ عن ردِّ الجواب

زين الشباب أبو فرا

س لم يُمتَّع بالشباب

(رحمك الله يا أبا فراس، ما أعز تلك البُنَيَّة على قلبك وأقربها إلى نفسك، فأنت تريد أن تسمع حسرتك أنت في نواحها عليك، ثم تعزيها وتروّح عنها بقولك إن الموت مصير كل حيّ)

الرجل العربي لا يبكي عادة على الميت، وإنما يتوقع أن تبكي عليه النسوة عندما يموت، وكم يحزنه أنه سيموت دون أن تبكي عليه امرأة، وهذا ما شعر به مالك بن الريب الذي تغرّب في بلاد فارس مجاهداً، وعندما اقترب أجله كان وحيداً لا حليلة ولا كريمة تبكيه، وليس له سوى سيفه ورمحه وفرسه الأشقر:

تذكرتُ من يبكي عليّ فلم أجد

سوى السيف والرمح الردينيّ باكيا

وأشقر خنذيذ يجرّ عنانهُ

إلى الماء، لم يترك له الموتُ ساقيا

ومن أشهر اللواتي بكين الأخ عند موته، الشاعرة المخضرمة الخنساء التى قُتل أخوها صخر فبكته بكاء مرّاً في مراث عديدة، وبكائيات فريدة، وعلى الرغم من أن عرب الجاهلية كانوا لا يحبذون كثرة البكاء على القتلى لئلا يشمت بهم أعداؤهم، فإن الخنساء خالفت تلك القاعدة:

إذا قبُح البكاءُ على قتيل

وجدتُ بكاءك الحسن الجميلا

وعلى الرغم من أن كثرة القتلى إلى جانب صخر ذلك اليوم كان مما يخفف من مصاب الخنساء، فإنها كانت ترى أن أخاها صخرا أجدرهم بالبكاء:

ولولا كــثــرة البــاكين حــولي

على إخــوانهم لقــتلتُ نفــسي

ومـــا يبكين مـــثل أخي ولكن

أعـــزّي النفس عنه بالتـــأسي

وقد أقسمت الخنساء على مواصلة البكاء على أخيها طوال حياتها:

فـسـوف أبكيك مـا ناحت مطوقـة

ومـا أضـاءت نجـومُ الليل للسـاري

وعندما نضبت الدموع في عينيها استنكرت ذلك وألحفت بمطالبتهما بالبكاء :

أعَـيْنَيَّ جــودا ولا تجـــمـــدا

ألا تبكيـــان لصـــخــر الندى؟

ألا تبكيـــان الجـــرىء الجـــوادَ

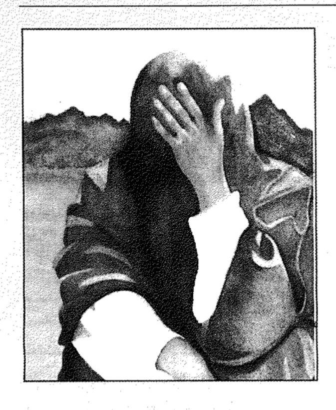
ألا تبكيـــان الفـــتى الســيــدا؟

وبكت الشاعرة العباسية ليلى بنت طريف عندما قُتل أخوها الوليد رأس الخوارج في زمن هارون الرشيد، واستبكت معها الأشجار والأنهار:

فيا شجر الخابور ما لك مورقا

كــأنك لم تجـزع على ابن طريف؟

وبكت الشاعرة ليلى الأخيلية صاحبها توبة بن



الحمير كثيرا وأقسمت أن تظل تبكيه تعبيرا عن حبها وإخلاصها له:

وأقــســمتُ لا أنفكُّ أبكيك مـا دعتْ

على فـنن ورقـــــاء أو طـار طائرُ

ومن أقدم النصوص الأدبية العربية التى أشارت إلى بكاء النساء على الميت ملحمة جلجامش البابلية التي وردت فيها أبيات رائعة في وصف بكاء نساء مدينة الورقاء على الراعى دموزي الذى غدرت به عشتار، إلهة الحب والخصب والجمال - بزعمهم - وتسببت في موته، وكان من بين اللواتي بكينه أخته التى نطقت بأروع البكائيات.

عندما يبكي الرجال :

ولكن ينبغي الإشارة إلى أنه على الرغم من أن التقاليد تقتضي أن لا يبكي الرجل، لأن ذلك يتنافى

وصفات الاتزان والجلد والصبر التى يجب أن يتصف بها، فإننا لا نعدم رجالا أبكتهم الفجيعة مع علمهم بالتقاليد، كما حدث للشاعر الفحل المخضرم خويلد بن خالد (أبو ذؤيب) الهذلي الذي توفي خمسة من أولاده في عام واحد بالطاعون:

ولقـــد أرى أن البكاء ســـفـــاهة

ولســـوف يولعُ بالبكا من يُفـــجعُ

ويدرك الرجل الذي يغلبه دمعه أنه يخرق التقاليد وأنه يُعرّض نفسه للوم الآخرين وعتبهم، ولكن حزنه قد يغلبه وشدة المصيبة قد تطيح بجلده، فيرجو من الناس أن يتفهموا حاله ويواسوه ويغفروا له بكاءه فلا يلومونه:

ألا لا تلمـــه اليـــوم أن يتـــبلّدا

فــقــد غلب المحــزون أن يتــجلدا

بكيتُ الصبا جهدي فمن شاء لامني

ومن شاء آسى في البكاء وأسعدا

ويجب أن نعـــدّ بكاء هؤلاء الرجـــال بمثـــابة الاستثناء الذي يؤكد القاعدة، كما يقول الفرنسيون، وهم يذكرون بكاءهم في شعرهم لا افتخارا به وإنما تعظيما لفجيعتهم.

ومن هؤلاء البكّائين الذين احتلوا مكانة مرموقة في تاريخ البكائيات العربية متمم بن نويرة، فقد ظلّ يبكي أخاه مالكا بن نويره الذي قتله خطأ خالدُ بن الوليد أثناء حروب الردة في كل مكان، غير آبه بلوم اللائمين ولا عتب العاتبين:

لقـد لامني عند القـبـور على البكا

رفـيـقي لتذراف الدمـوع السـوافك

فــقــال: أتبكي كل قــبــر رأيتــه

لقـبـر ثوى بين اللوى فـالدكـادك؟

فقلتُ له: إن الشـجـا يبعثُ الشـجـا

فـدعني، فـهـذا كلُّه قـبـرُ مـالك

ولا يرى بكر بن حماد التاهرتي (نسبة إلى بلدة تاهرت بالجزائر التى ولد فيها هذا الشاعر الفقيه الذي تلقى تعليمه في البصرة والقيروان في القرن الثالث الهجري) - لا يرى بكاءه على ولده أمراً غريباً، لأنه لو توفي هو لبكى عليه ولده:

بكيتُ على الأحـــبـــة إذ تولّوا

ولو أني هـلكتُ بكوا علـيـــا

وبكى ابن زهر حتى عشيت عيناه وبكى كل عضو فيه على ما آل إليه، على الرغم من أنه كان طبيبا أندلسيا ويعلم أن كثرة البكاء تضرّ العينين:

عــشــيتْ عـيناي من طول البكا

وبكى بعـضي على بعـضي مـعي

ولكن ينبغي أن نتذكر أن اعتراف الرجل العربي بالبكاء هو أمر نادر فمعظم الرجال يمنعهم حياؤهم، فهذا الشاعر الأموي جرير، مثلا، لم يبك عند موت زوجته التى أحبها حباً جماً، على الرغم من فداحة الخطب وجلل المصيبة، فقد تركت تلك الزوجة الحبيبة وراءها أطفالا صغاراً ليس لهم من يعتني بهم، ومع

ذلك كله حال حياؤه دون بكائه:

لولا الحياءُ لعادني استعبارُ

ولزرتُ قبرك والحبيبُ يُزارُ

...ولَهت قلبي، إذ علتني كبرة

وبني التمائم من بنيك صغارُ

وقد يقع صراع بين الحياء والحزن فيتغلب أحدهما على الآخر، كما يقول المتنبي :

قد كان يمنعني الحياء من البكا

فاليوم يمنعه البكا أن يمنعا

وهذا ما حصل كذلك للشاعر العباسي البغدادي سيىء الحظ ابن الرومي، الذي فقد أبناءه الثلاثة، وتوفيت حبيبته المغنية بستان، فلم يكتف بالبكاء عليها بالدموع فقط وإنما بكى عليها بالدماء والسهاد والمشيب والنحول والإضراب عن تناول الدواء، مستصغراً كل تلك الأمور وإن كانت عظيمة ذات خطر ولكنها لا تُقاس بفاجعة فقد الحبيبة:

أبكيك بالدمع والدماء وبالـ

ـسهاد بل بالمشيب في الشعر

بل بنحول العظام مُحتقراً

ذاك وإن كان غير مُحتقر

بل باجتناب الشفاء، بل بتوخي الـ

ـسقم ، بل بما يُتّقى من الضرر

البكاء على الأطلال :

يمرّ الإنسان على ديار الأحبة أو مرابعهم بعدما هجروها ورحلوا عنها، فيتأجج الشوق في أعماق نفسه ويحن إلى أيام الصفاء واللقاء والهناء، وقد يتفجر الدمع في عينيه حنينا وحنانا، وهكذا نما تقليدُ الوقوف على الأطلال والبكاء عليها في الشعر الجاهلي وظل معمولا به أمدا طويلا، فمطلع معلقة أمير الشعراء في العصر الجاهلي، امرؤ القيس، هو البكاء لذكرى الحبيب عند المرور على أطلال داره :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدَّخول فحومل

ولا ندري ما إذا قد وقف وصاحباه عند تلك المرابع وذرفوا الدموع أم أن ذلك المطلع مجرد وسيلة للنسيب والتشبيب وتذكر الحبيب ، ولكن ما نعرفه على وجه التأكيد أن كثيراً من الشعراء فجرت الأطلال عواطفهم دمعا، فهذا كُثيرّ عَزّة يخاطب رفيقيه طالباً منهما أن يعقلا جمليهما عند ربع حبيبته عزة ما ينبىء بأنه يعتزم البكاء طويلا:

خليليّ هذا ربعُ عزة فاعقلا

قلوصيكما ثم ابكيا حيثُ حلّت

وما كنتُ أدري قبل عزة ما البكا

ولا موجعات القلب حتى تولّت

وعندي أن أفضل ما قيل عن الوقوف على الأطلال والبكاء عندها، ثلاثة أبيات للشريف الرضي الذي أطال الوقوف عند أطلال أتى الزمن على معالمها حتى تعب وتشكى جمله المهزول من كثرة السفر، وحتى لج رفاق الدرب احتجاجاً وعذلاً،

فاضطر الشريف أن يواصل السير ولكنه ظل يتلفت ليرى الأطلال خلفه، وعندما بعد واختفت، تلفت قلبه بحثاً عن طيف الحبيبة:

ولقد مررتُ على ديارهمُ
وطلولها بيد البلى نهبُ
فوقفتُ حتى ضجَّ من لغب
نضوي ، ولجَّ بعذلي الركبُ
وتلفتت عيني، فمذ خفيت
عنها الطلول تلفتَ القلبُ

ولكن أبا نواس، حينما كان ماجناً مولعاً بالشراب والملذات الجسدية في شبابه، سخر من أولئك الذين يبكون على الأطلال والرسوم الدوارس:

قل لمن يبكي على رسم درسْ
واقفاً، ما ضرّ لو كان جلسْ؟

وعندما لم تنفع سخريته في حمل شعراء عصره على التخلي عن عادة الوقوف على الأطلال، أخذ يتهكم عليهم تهكما مُرّاً:

لا جفَّ دمعُ الذي يبكي على حجر
ولا صبا قلبُ من يصبو إلى وتد

وعلى الرغم من أن الشعراء العرب تخلوا فيما بعد عن ذلك التقليد الشعري، فلا يقفون اليوم على الأطلال ولا يتباكون عليها، فإن الأطلال أصبحت في الوقت الحاضر رمزاً للحب الضائع والحبيب المفقود، كما يتضح لنا من قصيدة (الأطلال) للطبيب الشاعر المصري ابراهيم ناجي التى غنتها أم كلثوم:

يا فؤادي لا تسل أين الهوى
كان صرحا من خيال فهوى
فاسقني واشربْ على أطلاله
وارْو عني طالما الدمعُ روى

دموع العشاق :

يثير الحبُ في النفس أسمى العواطف الإنسانية، ويحرك أرق الأحاسيس الدفينة في الإعماق، فتنبجس الدموع في عيني العاشق، ولا أظن أن امرأة أحبت واعتمل الوجد في فؤادها ولم يسل الدمع من عينيها يوماً، فيختلط بالكحل حتى وإن كان الحبيب يشعر بأنها ظلمته، وهكذا كان حال بثينة جميل كما أخبرنا هو عنها:

إذا ما تراجعنا الذي كان بيننا
جرى الدمع من عيني بثينة بالكحل
فيا ويح نفسي حسب الذي بها
ويا ويح عقلي ما أصيب به عقلي
خليليّ فيما عشتما هل رأيتما
قتيلا بكى من حبّ قاتله قبلي

والمرأة لا تبكي حباً فحسب، وإنما تبكي كذلك خوفاً على حبيبها وإشفاقاً على مصيرها، فهذه عزّة كثير نهشها القلق والخوف حينما علمت بعزمه على الغزو فبكت حتى أبكته:

إذا ما أراد الغزو، لم يثن همّه
حَصَانٌ عليها عقدُ درّ يزينها

نهـتـه، فلمـا لم تر النهي عـاقـه

بكت، فـبكى مما شـجـاها قطينهـا

وهذا ربيـعـة الرقيّ يعـجب لبكاء حـبيبتـه التي قاسى في هواها العذاب ألوانا وأصنافا :

أتبكين من قـتلي وأنت قـتلتني

بحـبّك قـتـلا بيّنا ليس يشكلُ

ويبدو أن الرجل العربي لا يأنف من البكاء على الأحباب، دليلا على شدة الحب وعمق الإخلاص، فـهذا الشريف الرضي الذي اكتـفى بالوقوف على الأطلال دون أن يذرف الدمع، يبكي بعـد أن تمكنت حسناء كالغزالة من قلبه وأخذت ترتع فيه وترتوي من دمعه:

يا ظبيـة البـان، ترعى في خـمـائله

ليـهنك اليـوم أن القلب مـرعـاك

الماء عندك مـبـذولٌ لشـاربه

وليس يرويك إلا دمـعي البـاكي

وعندما تنضب دموعه يسعى إلى استعارة الدمع من العشاق الآخرين:

وابك عني فطالما كنتُ من قـبـ

ـلُ أعـيـرُ الدمـوع للعـشـاق

وفراق الأحباب يخلّف في القلب لوعة وفي النفس حرقة، فيحاول الإنسان أن يتوسل بالصبر فلا يقدر عليه، فتتجمع الدموع في مآقيه حزنا واشتياقا، كما حصل للعاشق البغدادي المترف عباس بن الأحنف:

إذا مـا دعوتُ الصبـر بعدك والبكا

أجاب البكا طوعا ولم يُجب الصبرُ

فـإن ينقطع منكِ الرجـاء فـإنه

سيبقى عليك الحزنُ ما بقي الدهرُ

ويظل كلّ شيء يذكر العباس بن الأحنف بحبيبته فوز (أو فوزية) ويبكيه، حتى تلك الطيور المحلقة في السماء، فيتمنى لو كان له جناحها ليطير فورا إلى محبوبته:

بكيتُ على سرب القطا إذ مررن بي

فـقلتُ ، ومـثلي بالبكاء جـديرُ:

أسرب القطا، هل من يعيرُ جناحه

لعلي إلى من قـد هويتُ أطيـرُ؟

ويزداد بكاء العباس على حبيبته وتتفاقم آلامه وهمومه، فينصح نفسه بالتوقف عن تعذيب نفسه، فقد نضبت دموعه وليس بمقدوره أن يستعير عينا ليواصل البكاء بها:

يا أيهـا الرجلُ المعـذِّبُ نفـسه

أقـصـرْ، فـإن شـفـاءك الإقـصـارُ

نزف البكاء دموع عينك فاستعر

عـينا لغـيـرك دمـعـهـا مـدرارُ

من ذا يعـيـرُك دمـعـه تبكي بهـا

أرأيتَ عـيـنا للبكاء تُـعـارُ؟

أما مجنون ليلى ـ كما نعلم جميعا ـ فقد منعوه

من رؤية حبيبته أو التحدث معها، ولكن لم يستطيعوا أن يمنعوه من البكاء ولا من إنشاد الشعر الذي كانت تتفتق عنه قريحته ويبعث الدموع إلى عينيه، فكان عندما يأتيه رسُلها، يسرع فيختلي بنفسه في بيته ويذرف الدمع سخيناً:

إذا جاءني منها الكتاب بعينه
خلوتُ ببيتي حيثُ كنتُ من الأرض
فأبكي لنفسي رحمة من جفائها
ويبكي من الهجران بعضي على بعضي

وهذا أبو العباس المبرد اللغوي الأديب الكبير صاحب كتاب (الكامل) الشهير يبكي بكاء مراً على فراق حبيبته حتى تبكي الأطلال من بكائه رحمة به وحتى يبكي أعداؤه شفقة عليه:

بكيتُ حتى بكى من رحمتي الطللُ
ومن بكاي بكت أعداي، إذ رحلوا

وكثيراً ما يسبق الرحيل الوداعُ، وأنت وأنا نعلم أن أصعب ما في الفراق ساعة الوداع، إذ لا تستطيع الحبيبة تمالك نفسها فتغالب دموعها ولكنها أخيرا تنحدر على الخدين فتبعث الشجى والأسى في نفس حبيبها، كما يخبرنا مجنون ليلى :

ومما شجاني أنها يوم ودّعت
تولّتْ، وماء العين في الجفن حائرُ
فلما أعادتْ من بعيد بنظرة
إليّ التفاتاً، أسلمته المحاجرُ

وصاحبة أبي نواس، هي الأخرى، لم تستطع حبس دموعها ساعة الوداع فانحدرت على خدها الأسيل كاللؤلؤ الأصيل:

دمعةٌ كاللؤلؤ الرطـ
ـب على الخد الأسيل
قطرتْ في ساعة البيـ
ـن من الطرف الكحيل

وإذا كان أبو نواس قد تمالك نفسه لحظات ساعة الوداع فإن امرؤ القيس خبر قبله أمراً مماثلا ففاضت شجونه دموعاً غزيرة كما لو كان ينقف حنظلا أو يقشر بصلا:

كأني غداة البين يوم تحملوا
لدى سُمرات الحيِّ ناقفُ حنظل
ففاضتْ دموعُ العين مني صبابة
على النحر حتى بلَّ دمعي محملي

وتزداد أحزان العاشق وتقض مضجعه الهموم عندما تصدّ عنه حبيبته أو تهجره، فتظل دموعه جارية، كما يخبرنا أبو دلف الينبوعي:

جفونٌ دمعها يجري
لطول الصدِّ والهجر

دموع الحب تفضحه :

يحرص العاشق العربي على كتمان حبه خوفا على سمعة حبيبته واتقاء لرفض أهلها تزويجها إياه إن شاع الخبر، ولكن دموعه تفضحه وتبدي ما ستر،

كما يقول ابن جاخ:

إني لأكتم أشواقي وأسترها

جُهدي، ولكن دمع العين يبديها

وعندما يلحظ الرفاق أثر الدموع في عينيه يدركون أنه صب متيم فيلحفوا عليه في السؤال كيما يتحدث عن حبه فيخفف من آلامه المبرحة:

لا تُخف ما صنعت بك الأشواقُ

واشرح هواك فكلنا عشّاقُ

قد كان يخفى الحبُّ لولا دمـ

ـعك الجاري ولولا قلبك الخفاقُ

فعسى يعينك من شكوت له الهوى

في حمله، فالعاشقون رفاقُ

فدمعة واحدة حائرة المآقي تتبدى منها أسرار فاضحة، وارتعاشة الشفتين المطبقتين تنطق بالألغاز الواضحة، كما تقول نازك الملائكة، تلك الفتاة الخجول مرهفة الشاعرية والإحساس التى عاشت في بيئة محافظة:

ومئات الأسرار تكمن في دمـ

ـعة حزن تلوح في مقلتين

ومئات الألغاز في سكتة تهتـ

ـزُ خلف انطباقة الشفتين

وهذا ما كان قد عبّر عنه أديب ولع بالاستعارة والجناس والطباق والمحسنات البديعية الأخرى، ذلكم هو عبد السلام بن أبي الأصبع، صاحب كتاب التحبير في علم البديع:

ينمُّ عليها ثغرها وتنم بي

دموعي، فواشي حبنا النظمُ والنثرُ

أيا عبلة الأرداف لحظك عنترٌ

ومالي على غاراته في الحشا صبرُ

وابن خفاجة الأندلسي وجد في الهوى، كذلك، روضة جميلة غديرها دموعه:

ولي، كلّ حين، من هواك وأدمعي

بكل مكان، روضةٌ وغديرُ

دموع التماسيح :

يزعم بعضهم إن من النساء من تتكلف البكاء للإيقاع بالرجل أو لإقناعه بما تريد أو لخداعه، ويطلق على هذا النوع من البكاء اسم دموع التماسيح، لأن تلك الحيوانات تدمع عيونها وهي تأكل فريستها، ومن أقدم الذين شككوا بدموع بعض النساء الشاعر الجاهلي امرؤ القيس حين خاطب معشوقته فاطمة في معلقته بقوله:

أغرّك مني أن حبّك قاتلي

وأنك مهما تأمري القلب يفعل

وأنك قسّمت الفؤاد فنصفه

قتيلٌ ونصفٌ في حديد مكبل

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي

بسهمك في أعشار قلب مُقتّل

واستمر هذا النوع من الاتهام حتى عصرنا

الحاضر؛ فقد ورد في قصيدة لكامل الشناوي:

لا تكذبي

إني رأيتكما معا

ودعي البكاء، فقد كرهت الأدمعا،

ما أهون الدمع الجسور إذا جرى

من عين كاذبة فانكر وادعى ...

بكاء الغربة :

لا يبكي الإنسان العربي حبه العاثر فحسب وإنما يبكي غربته كذلك، فالغربة تبعث في نفسه الحزن والأسى، ويحدثنا امرؤ القيس أنه عندما عزم على السفر إلى الأناضول لطلب مساعدة القيصر جوستينيانس له على الأخذ بثأر أبيه، بكى صاحبه لما ابتعدا عن الديار وتراءى له شبح الغربة:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه

وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلتُ له: لا تبكي عينُك إنما

نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

وفي طريق عودته مرض امرؤ القيس ولما بلغ أنقرة احتضر بها، وقالوا إنه رأى قبرا في سفح جبل يقال له عسيب دفنت فيه امرأة عربية، فبكى وقال:

أجارتنا، إن المزار قريبُ

وإني مقيمٌ ما أقام عسيبُ

أجارتنا، إنّا غريبان ههنا

وكلُّ غريب للغريب نسيبُ

تُرى هل بكى امرؤ القيس غربة الآخرة ؟

وعندما فرّ عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس هربا من العباسيين الذين غلبوا الأمويين على الحكم، رأى نخلة وحيدة في تلك الديار بعيدة عن موطنها، فأحسّ بوحدته وغربته هو وتخيلها تبكي لغربتها:

يا نخلُ أنت فريدة مثلي

في الأرض نائية عن الأهل

تبكي وهل تبكي مكممةٌ

عجماء لم تُجبل على جبلي

ولو أنها عقلت إذن لبكت

ماء الفرات ومنبتَ النخل

ونستشف من هذه الأبيات أن الرجل لمّح إلى بكائه ولم يصرّح، يمنعه طموحه ومكانته من ذلك.

وعندما أُسِرَ المعتمد بن عباد ملك إشبيلية ونُفي إلى بلدة أغمات بالقرب من مراكش، وشعر في منفاه بمرارة الغربة بعد أن فارق سرير الملك ومنبر الخطابة، لم يخبرنا بأنه ذرف الدموع وإنما تخيل أن سريره ومنبره يبكيان عليه:

غريبٌ بأرض المغربين أسيرُ

سيبكي عليه منبرٌ وسريرُ

وعندما يغادر جورج صيدح دمشق الشام إلى العالم الجديد يبرّحه النوى وتجرّحه الغربة فتسيل دموعه:

وداعاً دمشق الشام لم ترحم النوى

دموعي ولم يشفع لي السهد والزفرُ

أما بدر شاكر السياب، أحد رواد الشعر العربي الحرّ فقد بكى فعلا حنينا إلى وطنه منبت النخل في جيكور عندما وجد نفسه كسيحا وحيدا في أحد مستشفيات لندن يمضي أيامه «في انتظار رسالة»:

وذكرتها، فبكيتُ من ألمي

كالماء يصعدُ من قرار الأرض

نزٌّ إلى العيون دمي

وتحرقتْ قطراته المتلاحقات لتستحيل إلى دموع

يخنقنني فأصكّ أسناني

لتنقذف الضلوع

موجا تحطّم فوقهن وذاب في العدم...

البكاء خيبة :

تصيب الإنسان الخيبة عندما يسعى جاهداً لأمر فلا يتحقق، أو يفوته شيء كان يمكن أن يحصل عليه، ومن أقدم الذين بكوا في ثقافتنا العربية القديمة جلجامش ملك مدينة الورقاء السومرية ـ كما تخبرنا الملحمة المعروفة باسمه ـ عندما أضاع نبتة الخلود بعد أن قاسى الأمرّين في الحصول عليها، وعندئذ انهمرت دموعه خيبة وحسرة وقال مخاطبا نفسه:

إبك يا جلجامش واذرف العبرات

لأن الآلهة التى احتفظت لنفسها بحق الحياة

هي التى قضت على الإنسان بالممات

ولكن الدموع لا تعيد ما فات ولا تأتي بما ليس هو موات، كما يقول البهاء زهير، وهو أديب ناثر ناظم، ولد بوادي نخلة بالقرب من مكة المكرمة وربّي في صعيد مصر، واتصل بخدمة الملك الصالح الأيوبي بالقاهرة ودمشق، وتوفي بمصر:

فاليوم أبكي على ما فاتني جزعاً

وهل يفيدُ بكائي حين أبكيه؟

الخاتمة :

البكاء غريزة إنسانية أو ما يُشبه الغريزة، يحدث تلقائيا في ظروف جسدية أو نفسية أو روحية معينة، ولكن الثقافات المختلفة تعمل على تهذيب الغرائز وضبطها وتوجيهها الوجهة الصحيحة، ولكل ثقافة منهجية تفكير وتراث وتقاليد خاصة بها قد لا تتطابق مع نظيراتها في الثقافات الأخرى، وقد استهجنت الثقافة العربية بكاء الرجال في حين سمحت به للنساء في حالات محددة، فيحق للمرأة أن تبكي عند فقد إنسان عزيز عليها أو فراق حبيب لها، كما تحتمل ثقافتنا بكاء الأطفال أحيانا، وفي الوقت نفسه تحثهم وتعوّدهم على الصبر والجلد حتى يشبّوا رجالا أشداء لا تبكيهم الاحداث الجسام، وإنما يواجهونها بشجاعة وإقدام[*].

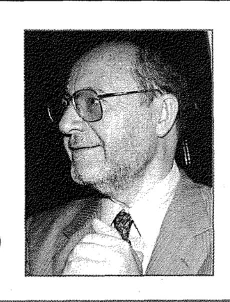
---

[*] جميع الاستشهادات الواردة في هذا المقال مقتبسة من: د. علي القاسمي، معجم الاستشهادات (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون ٢٠٠١م).

العالم اليوم يحكمه القلم .. وتحكمه الكلمة

الأدب الإسلامي واكب أحداث الأمة آمالا.. وآلاما

الأدب الإسلامي يمنح الأدب العربي أصالة.. وتميزا



المنهل : تحاور:

أ.د. عبد القدوس أبو صالح

(نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية)

يعد الدكتور/ عبد القدوس أبو صالح ـ نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، ورئيس مكتب البلاد العربية ـ من أبرز المنافحين عن قضية الأدب الإسلامي في الوقت الحاضر ، فقد ساهم في اصدار مجلة «الأدب الإسلامي» ورأس تحريرها ، كما شارك في كثير من الندوات والمؤتمرات المحلية والدولية التي عقدتها الرابطة في أرجاء العالم العربي وخارجه .

التقينا ـ بسعادته ـ لاستلهام رأيه حول بعض الاشكاليات التي تعترض مسيرة الأدب الإسلامي ، وبعض التساؤلات المطروحة على الساحة الثقافية في الوطن العربي .

* المنهل :

لا يزال كثير من الناس يبدون اعتراضهم على مصطلح «الأدب الاسلامي» فمنهم من يرفضه بالكلية ومنهم من يحاول تعديله .. فما هو رأيكم؟!

** نعم .. أعلم ان المعارضين الذين رفضوا هذا المصطلح، إما غيرة منهم على الأدب العربي والحماسة له، فلا يريدون مصطلحاً يظنون انه لا مسوغ له. كما أن هذا الفريق يرى أن الأدب العربي بجملته أدب إسلامي.

وأما «الفريق الثاني» الذى يعارض المصطلح بالكلية فهو يحمل منطق الذين يخشون «الإسلامية»، ويرفضون الالتزام بالاسلام، وهم يقولون - جهلا - لماذا تدخلون الاسلام في كل شيء؟!، وهم يرون في الأدب الاسلامي خطراً يتهدد ما يؤمنون به من مذاهب الأدب الدخيل سواء كان أدب الماركسية أو أدب الحداثة أو أدب الوجودية، أو العبثية أو غير ذلك مما تجد له أتباعاً متحمسين، يريدون أن يلبسوا أمتهم مالا يوافق ذوقها وأصالتها ودينها وتراثها الأدبي.

وهناك من قدم بدائل لمصطلح «الأدب الاسلامي» مثل : «الاسلامية» أو مصطلح «أدب الدعوة»، ومصطلح «الاتجاه الاسلامي»، ومصطلح «الأدب المسلم».

ولكن أقول : مادام مصطلح «الأدب الإسلامي» قد سارت به الركبان - كما يقولون - بعد أن تبنته رابطة الادب الاسلامي العالمية، التى تنتشر مكاتبها في أنحاء العالم الاسلامي، وبعد أن أخذ به معظم الأدباء الإسلاميين في كل مكان.. فقد آن الأوان أن يقبلوا هذا المصطلح، الذى غلب على المصطلحات الأخرى كلها.

حاوره : محمد عبدالشافي القوصي

مصر

* المنهل :

هناك من يقولون أن الأدب الاسلامي هو الأدب المكتوب باللغة العربية فقط، وعلى الأدباء المسلمين من غير العرب أن يتعلموا العربية ويبدعوا أدبهم بها؟!.

** نحن نقدر لهذا الفريق تلك الغيرة والحماسة لأدب العربية ولغة القرآن الكريم، ولكن ما ذهبوا اليه غير مقبول انسانياً ولا اسلامياً ولا واقعياً .. لأن فيه ظلماً للأدباء الاسلاميين من غير العرب، وهذا الموقف ربما قد يدخل في العصبية التى نهى عنها الاسلام، وهو نوع من الاستعلاء على الشعوب الاسلامية.. وأما أن نقصر الأدب الاسلامي على اللغة العربية وحدها فهذا أمر مستغرب، وكثير من المذاهب الأدبية العالمية، كالواقعية الاشتراكية والوجودية، يكتب أتباعها بلغات مختلفة، لأن الجامع في المذاهب الادبية العالمية من أسس عقدية أو نظرية أدبية أو منهج نقدى، كل هذه الأمور لا علاقة لها بلغة معينة، يحجر على أتباع المذاهب الأدبية أن يكتبوا بها.

والأدب الاسلامي وان كانت لغته الأولى هى لغة القرآن الكريم، إلا أنه لا يجوز أن تحصر نظريته أو مذهبه في لغة واحدة، مهما كانت دوافع الغيرة والحماسة للغة القرآن الكريم.

* المنهل :

يذهب النقاد الى أن مصطلح «الادب الاسلامي» يقسم الأدباء أو الشعراء الى أدباء إسلاميين وأدباء غير اسلاميين، وهذا بدوره يثير حساسية بالغة ورد فعل شديد ضد مصطلح «الأدب الاسلامي» هذا في الوقت الذى ندعو فيه الى هذا الأدب ونذود عنه..؟!

** أعتقد أن الناس منذ عقود من السنين يطلقون على المفكر الذى يكتب عن الاسلام لقب «المفكر الاسلامى» أو «الكاتب الاسلامى» وهذا لا يعنى اتهام غيرهم في عقيدتهم أو دينهم، وانما هو نوع من التخصيص الذى يدل على انقطاع المفكر أو الكاتب أو الأديب الى هذا النوع من النتاج، أو غلبة هذا النتاج على كتابته مثلا.

وقد صنف المولى عز وجل ـ الشعراء الى شاعر مؤمن ملتزم بالاسلام، والى شاعر غير ملتزم بالاسلام، في قوله تعالى: {والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون مالا يفعلون * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظُلموا، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبُون} (الشعراء/ ١٢٤ ـ ١٢٧).

إذن.. فالشعراء في كل زمان ومكان صنفان : صنف غير ملتزم بالاسلام وصفاتهم كما أوضحتها الآية الكريمة.. والصنف الثانى هم الشعراء المؤمنون الملتزمون البعيدون عن الغواية والإغواء أو كما وصفتهم الآية السابقة.

الأمة الاسلامية لن تضحي بعقيدتها :

*** المنهل :**

سمعنا كثيراً من البعض أن الأدب الاسلامى يعارض الأدب العربي، بل ربما يزيد في تجزئة الساحة الأدبية التى تتوزعها مذاهب وتيارات متعددة.. فما قولكم ؟.

** أقول : ليس هناك تعارض بين الأدب الاسلامي والأدب العربي، فالأدب العربى نسبة الى اللغة التى يكتب فيها هذا الادب كما نقول: الأدب الانجليزى والأدب الفرنسى.. أما الأدب الاسلامى فهو أدب منسوب إلى المضمون الذى ينطلق من منطلق عقدى هو التصور الاسلامى الصحيح.

وكما أن الأدب الانجليزى أو الفرنسى أو غيرهما منسوب الى لغات شعوبها تتضمن مذاهب أدبية عقدية متباينة تكتب بلغة واحدة، فان الأدب العربى يتضمن مذاهب أدبية عقدية متباينة أيضاً، ولكن اتباعها أو مريديها يكتبونها بلغة واحدة هى اللغة العربية، ولم يزعم زاعم أن هذه المذاهب أو بعضها يعارض الأدب العربى أو يزاحمه، بل إن أنصارها يزعمون أن هذه المذاهب الدخيلة أثرت الأدب العربى وارتفعت به الى مستويات عالمية.

بل ان مذاهب الأدب الاسلامى تمنح الأدب العربى المعاصر أصالة وتفرداً كانا في الأدب العربى القديم، وتفتح له أفاقا ينطلق منها الى العالمية، عندما يصبح هذا الأدب الاسلامى منهجا، تتمثله الشعوب الاسلامية، وتنتهجه على اختلاف لغاتها وأجناسها.

والأدب العربى حصن الأدب الاسلامي، فيه نشأ وترعرع، وهو منبع تراثه، ورائده لدى الشعوب الاسلامية كلها.

اما أن الأدب الاسلامى سوف يعمل على تجزئه الأدب العربى فهذه التجزئه حاصلة قبل الدعوى إلى الأدب الإسلامى في العصر الحديث.

ولابد أن نعلم أن الأمة الإسلامية وفي مقدمتها الأمة العربية لن تضحى بعقيدتها بحجة ان أدبها الإسلامى يزيد في تجزئة الساحة الأدبية، وإذا كان هناك خيار مفروض بين العقيدة والأدب فليس هناك مؤمن بالله واليوم الآخر يؤثر الأدب على العقيدة.

الوحدة الاسلامية غايتنا :

*** المنهل :**

**** الادب الاسلامى المعاصر ودوره في الوحدة الاسلامية.. واقعاً ونتاجاً.. الى أي حدٍّ نجد تأثيره في هذا ؟!***

** لا يمكن لاحد أن ينكر تأثير الأدب في الحياة

العامة للأمة ، ولا دوره في قضاياها المصيرية..
واستطاع الشعراء الاسلاميون أن يواكبوا بأشعارهم معارك الأمة الفاصلة في مختلف العصور فها هي ذي باكستان تقوم في شعر محمد اقبال دعوة لتوحيد المسلمين ولاستقلالهم امة متميزة.

والأدب اليوم - كما يقول محمد قطب - سلاح يستعمله أعداء الاسلام في إفساد الاجيال واشاعة الانحلال، وما من مذهب فكرى أو سياسى الا استعمل الأدب لنشر آرائه وحشد الاتباع حوله ولذا يقول شيخنا ابو الحسن الندوي: «إن العالم اليوم يحكمه القلم وتحكمه الكلمة».

ونقول : ان تقصير الدعاة الى الاسلام في استغلال الأدب وفنونه كوسيلة للدعوة الى الله سبحانه جعل الساحة مفتوحة لاعداء الاسلام ولتجار الكلمة الرخيصة يملأونها بالأدب المزور والأدب المنحل الذى يستهدف عقيدة الأمة وأخلاقها ووحدتها. ومن هنا سوف ينطلق أدباء الاسلام من منهج اسلامى واحد في سائر الفنون الأدبية ليعملوا على تصحيح مسيرة الأدب في الشعوب الاسلامية جمعاء، وليحققوا الوحدة الأدبية قبل الوحدة السياسية.

والحق يقال أن الأدب الاسلامى في شعره ونثره قد واكب أحداث الأمة آمالا وآلاماً، فقد دعا الى الجامعة الاسلامية دعماً لراية الخلافة، ثم بكى هذه الخلافة عندما وئدت، ومضى يفضح مخططات الاستعمار وتآمره لتمزيق العالم الاسلامى واقتسامه، ويصف فظائع هذا الاستعمار وويلاته، ويصف المعارك ويرثى الشهداء، ويدعو الأمة الى حشد طاقاتها وتوحيد صفوفها ليقف ابناؤها أمام تلك الهجمات الاستعمارية الشرسه صفا واحداً.

فلا يمكن ان ننسى أو نتناسى قصائد «شكيب أرسلان» في قيام الجامعة الاسلامية، وما قاله في الحروب البلقانية، مؤكدا وحدة العرب والاتراك تحت راية الاسلام، وكذلك شاعر الاسلام «أحمد محرم» الذى كان - بحق - أصدق الشعراء لهجة في هذا المجال.. ثم معروف الرصافي، ومحمد عاكف، ومحمد إقبال، وأحمد شوقى، وحافظ ابراهيم، ومحمود حسن اسماعيل، وخير الدين الزركلى، وعلى محمود طه، عدنان النحوى، ومحمود مفلح، وعلى الجارم، وعمر بهاء الاميرى، وصالح جودت.. وغيرهم الكثير من الشعراء الاسلاميين الذين نذروا حياتهم لخدمة قضايا الاسلام، واوقفوا اقلامهم للذود عن هذا الدين المتين وشعوبه الكريمة.

معوقات في مسيرة الرابطة :

* المنهل :

**** ما المعوقات التى تجدونها في مسيرة الأدب الاسلامى؟.***

** هناك نوعان من العوائق التى تعترض مسيرة الرابطة أو تؤخر تقدمها :

أولها : العائق المعنوى الذى يتمثل في عدم مبادرة كثير من الأدباء والشعراء والنقاد عن ملء الساحة الادبية بنتاجهم الفنى والنقدى الذى لابد له أن يكون على مستوى رفيع جداً حتى يثبت قدميه ويزاحم نتاج الأدب المضاد للتصور الاسلامى، أو الذى يقلد نماذج الأدب الغربى بعيداً عن هوية الأمة وتراثها وذوقها.

ثانيها : العوائق المادية التى تؤخر كثيراً من أنشطة الرابطة أو تعمل على تأجيلها.. ولولا الاريحية والشعور بالمسئولية لدى بعض أعضاء الرابطة لما أمكن للرابطة أن تصدر مجلة الأدب الاسلامى، ولما استطاعت ان تعقد الندوات والمؤتمرات المتعددة، وأن نقيم المسابقات الأدبية، التى تشجع بها عطاء الأدب الاسلامى وتكشف مواهب المبدعين من الأدباء والقصاصين والشعراء

{ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز} ■



معلقة التعيين على سور الصين

حدثنا المسعودي[١] صاحب مروج الذهب قال :

كان من أوابد العرب في بادية الشام في عصر الإفلاس والتنك الموشّى بالنحاس أنه لا يعين في جامعة إلا من دُعم بواسطة مانعة، أو من دار حول مدار الجدي والخروف، ووضعهما على المنسف المعروف، وقدمهما للمدعوين ذوي الطواحين، وبهر باستنطاقهما الحاضرين، وهما يتناجيان :

رأسي ورأسك على السّدرين قد وضعا
وحكم لحكمك أو لحمي هو الجاري[٢]

قال المسعودي :

والمراد أن كل واحد منهما يفتخر بأن لحمه البلدي هو الذي سيقرب صاحبه إلى الجامعة زلفى.

قال : واختلف الشراح في معنى هو الجاري، فقال بعضهم: أي هو العرف السائد الجاري في

التعيين الجامعي، وقال آخرون: إنما المقصود أن التعيين سيكون سهلا كالماء الجاري، وقال غيرهم: بل المعنى أن التعيين سيكون في الشهر الجاري أي شهر المنسف الحالي.

قال المسعودي : والأخير هو الأصوب والأقرب لأنه لما حاز الشاب الظريف[٣] درجة العالمية في الآداب العربية المسماة عند الفرنجة «بالدكتوراة» طاف يبغي التعيين حتى حار، فأتى المسؤولين الكبار، فأسروا إليه: إن رمت التعيين، فدر حول الجدي بالسكين! وإن سلكت خط الاستواء فسوف ترجع إلى الوراء، ولو كنت وحيد الدهر، وعلامة العصر، فالأمم لا تنهض بالنبوغ والكفاءة بل بالوساطة والعباءة فان لم تتقن اللف والدوران فحسبك مدار السرطان!

قال المسعودي :

فأتاني الشاب الظريف مهموماً مغموماً، وأنا يومئذ بمصر فقلت : ما بك أيها الشاب، أأصابك سم غادر أم حيف جائر ؟

قال :

أصبحتُ مطرّحا في معشر جهلوا
حقّ الأديب فباعوا الرأس بالذنب[٤]

قلت : فأين أهل التكرم والوفاء في بلدك ؟.



د. أحمد عطية السعودي
الأردن

قال :

ذهب التكرمُ والوفـــاءُ من الورى
وتصــرّمــا إلا من الأشــعـــار
وفشتْ وساطاتُ الثقات وغيرهم
حـتى اتهـمنا رؤية الأبصـار[٥]

قلت : فلم لم تسحرهم ببيانك وطلاقة لسانك وأنت شاعر ماهر وأديب باهر ؟.

قال :

لئن ســـهّل اللهُ العــزيزُ بلطفـــه
وصـــادفتُ أهلا للعلوم وللحكمْ
بثثتُ مـفيداً واسـتـفدتُ ودادهم
وإلا فـــمكنونٌ لديّ ومكتـــتمْ[٦]

قلت : لو أنك قلت لهم بشعرك قولا بليغاً، فلعلهم يعرفون قدرك ويشرحون بالتعيين صدرك؟.

قال :

يهتف الشعرُ برأسي
كُفّ عن صفعي ورفسي
أنت مهما كنتَ
لا تملك إطلاقي وحبسي
شامخ رأسي

إذا كنتُ على أدنى رصيف
أو على أرفع كرسي
لا تُجرْجرني فتأسى
حيث لا يجدي التأسي
أنا بالإكراه لا أمنح أنفاسي
وبالرغبة لا أمنع نفسي
إن تكنْ ثلاجة تعمل بالزّر
فإني
لست قنينة ببسي[٧]!

قلت : إني لأعجب أن بلبلا شادياً مثلك يحرم التغريد في دوحه، والتحليق مع سربه، وقد مستك الضراء وأصابتك البُرداء[٨] ، وأنت عاكف على الدرس، فما حزنت على ما نابك، ولا وهنت لما أصابك!

قال :

فواعجباً أني خفيتُ ولم أبنْ
وقد راح مملوءاً بي الحزن والسّهلُ
طريدٌ ولي مأوى، مباحٌ ولي حمى
وحيدٌ ولي صحبٌ ، غريبٌ ولي أهلُ[٩]

قلت : يا بني هل البلاء الذي أنت فيه محدق بالرجال والنساء على السواء؟ فوالله ما سمعنا أنّ الأمر يوسد إلى غير أهله إلا في زمانكم هذا؟.

قال : بل خاص بالرجال الرجال الذين إذا أجالوا أفكارهم أمطرت ذهباً، وإذا هزوا أقلامهم سطرت عجباً! أما النسوة فلهن الحظوة ، والوظيفة الحلوة، ولا يؤخرن قيد أنملة، كمثل فتاة يقال لها سعاد ما إن تخرجت حتى عُينت، وما كان بينها وبين الوظيفة إلا ليلة واحدة، فقلت فيها قصيدتي المشهورة «باتت سعاد» :

باتت سعادُ فلم تشغلْ وظيفتها
لولا الملامةُ ما عافوا وصيفتها
وما سعادُ غادة الحفل إذ خرجتْ
إلا مقلّدة صبغاً رفيقتها!
وما تمسّكُ بالعلم الذي حفظتْ
إلا كما تُمسك الثكلى حقيبتها[١٠]!

قلت : هل بلغ بهم السخف أن يفكروا في تعيين جاريتها أستاذة جامعية؟ إن هذا لشيء عجاب!

قال : لا تعجب يا أبا الحسن، لأجل عين ألف عين تكرم!.

قلت : يا بني، يا محمد ، ليس لك إلا الامتثال للقول المأثور: اطلب التعيين ولو في الصين، فان فيها متسعاً لقلمك وقدمك «وليس من لزم جهة وطنه، وقنع بما نمي إليه، كمن قسم عمره على قطع الأمصار، ووزع أيامه على تقاذف الأسفار[١١]» فانطلق إلى الصين، والتمس فيها التعيين!.

قال : كيف أجد لي مكاناً بين مائتي مليون ومليار نسمة، وقد عدمته بين أهلي الذين لو نزلوا ضيوفا على الصين لما ملأوا إحدى قراها؟!.

قلت : إن فيها أميراً عادلا منصفاً يقال له قتيبة بن مسلم قد فاخر به الشعراء فقال أحدهم:

وملوك الصين تهدي تُربها

لفتانا في صحاف الذهب[١٢]

قال : يرحمك الله يا أبا الحسن، أين أنت من الدنيا، إن فيها ماوتسي تونغ وليْ بي، ودوفو، وونغ[١٣]!

قلت : فأقبل إذن على الجزارة وحارب بها البطالة تكن كأبي الحسين الجزار الذي حار ودار وعلّق الشهادة على الجدار، فأثرى بالصنعة واستغنى، وأنشد وتغنى :

كيف لا أشكر الجزارة ما عشتُ حفاظاً واهجرُ الآدابا

وبها صارت الكلابُ ترجّيني، وبالشعر كنتُ أرجو الكلابا

وأكثر من قول «حسبنا الله ونعم الوكيل» فإنه صاعقة على الظالمين!

قال المسعودي:

فاقتنع الشاب الظريف، ورضي بنصحي الطريف، ودخل الأسواق في طلب الأرزاق، ولكنه ارتطم بسور الجامعة فقضى نحبه كمداً وحسرة!

قال : فحزنت عليه حزنا عظيما، وأسفت على أمة لا تقدر رجالها، ولا تحمي بهم ذمارها، ولما وطئت أرض الصين نقشتُ على سورها المكين[١٤] هذه المعلقة تخليداً للراحل الأمين:

قفا نحك عن شكوى خبير مُدكّتر

بقعر الأسى بين الجحود المدبَّر

له منطقٌ قد بزّ سحبان وائل

وعلمٌ من الجذر الندي المحبَّر

وخلقٌ كريمٌ أنبت الجود مورقاً

وصدرٌ على العلات غيرُ مكدَّر

مكرّ مُسر مُسمع مُفهم معا

كحاسوب صخر في نظام مُطوَّر

فيا لك من وقت كأن رجاله

إلى الفقر زُفوا في ربيع مُزور

فلا ترتج الإنصاف من غير منصف

ولا تطمعن منهم بسهم مُوفَّر

فقد خاب من يرنو إلى المجد ساعياً

بغير العتاد الواسطي المقرَّر

ستبدي لك الأيام ما كان خافيا

من الزيف والكيد الخفيّ المُنوَّر[١٥]

قال المسعودي :

هذا ما أذكر من المعلقة المسورة وما أنسانيها إلا كبر السن ونصب الترحال، وقد اعتنى بها

الشراح فقال الزوزني[١٦] في كتابه شرح المعلقات السبع:

قفا نحك عن شكوى خبير مُدكْتر
بقعر الأسى بين الجحود المدبّر

* قفا أي كما تقف السيارة عند الإشارة، وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه، والإشارة الضوئية معروفة، مدكتر: كقولك مُدرَّس أي مُشبع بالعلم في الدكتوراة، والجحود المُدّبر : هو نسيان الفضل وتجاهل القدر عمداً وحسداً، والحسد في الشرق الأوسط كالإيدز في الغرب المنحط.

له منطقٌ قد بزّ سحبان وائل
وعلمٌ من الجذر النديّ المحبَّر

* الجذر المحبر : هو علم الخليل الذي غمسه بالجد والحبر لا بالجدي والسدر، وسحيان وائل: عَلَم مجهول لدى الأساتذة الفحول.

وخلقٌ كريمٌ أنبت الجود مورقاً
وصدرٌ على العلات غيرُ مكدّر

* أي له خلق في الأمانة العلمية يردعه عن السطو على البحوث الجامعية، وله صدر يكظم الغيظ، ويتحلى بالصبر رغم ما يسمع من لحن يشق الصدر.

مكرّ مُسرّر مُسْمع مُفهم معاً
كحاسوب صخر في نظام مُطوّر

* أي كثير الكر على المصادر وثيق الصلة بالأدباء، يسرّ طلابه ويسمعهم بصوته الرخيم، ويفهمهم بأسلوبه الحكيم في آن واحد كحاسوب شركة صخر ذي الأنظمة المتطورة والمعارف المختزنة.

فيا لك من وقت كأن رجاله
إلى الفقر زُفّوا في ربيع مُزوّر

* أي يعجب الشاعر من أهل هذا الزمان كيف قدموا الرويبضة والإمعة وأخروا العالم ذا الهمة، والربيع المزور: كناية لطيفة عن الديمقراطية.

فلا ترتج الإنصاف من غير منصف
ولا تطمعن منهم بسهم مُوفّر

* يقول: إنك لن تجني من الشوك العنب، فلا تطمع بنصيب وافر ممن ضاق علمه واتسع بطنه اتساع خلاطة الإسمنت.

فقد خاب من يرنو إلى المجد ساعياً
بغير العتاد الواسطي المقرّر

* معنى البيت: مخطىء من يظن أن الطريق إلى المجد بالسعي والجد، وإنما تكون بالواسطة

والمعرفة والمصلحة فهي السلاح الفعال المتعارف عليه في هذا الحال.

ستبدي لك الأيام ما كان خافياً
من الزيف والكيدِ الخفيّ المُدوَّر

* الزيف : هو التدني العلمي لبحوث الترقية، والكيد المدوّر: هو فن الرفض بكلام معسول واعتذار مقبول، لا يحيق إلا بصاحبه ولا يدور إلا عليه، والكيد الخفي: هو الاستراتيجية التى تعني تمكين المتسلقين من جني الرمان والتين بحجة الخبرة، وإخراج العملة الصعبة من قاع القعبة.

قال المسعودي :

ولما رأيت عناية الشراح بتحليل هذه المعلقة وبيان غريبها والغوص على أسرارها وكنوزها، واحتفاء النقاد بتفسيرها وتقويمها جعلتها في صدر كتابي «مروج الذهب ومعادن الجوهر» تذكرة للعرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، فاستوت تدق صدر الجور بحجر السور، ولسان حالها يقول أنا:

«معلقة التعيين على سور الصين» ! ■

الهوامش :

(١) المسعودي: أبو الحسن علي المسعودي عالم جليل ورحالة نبيل، رحل الى فارس وبغداد والهند وسيلان والصين والشام، واستغرقت رحلاته نحو ربع قرن، من كتبه: مروج الذهب ومعادن الجوهر، والإشراف والتنبيه، ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م.

(٢) أصل البيت:
رأسي ورأسك في الميزان قد وضعا
وحكم سيفك أو سيفي هو الجاري

(٣) الشاب الظريف:
اسمه محمد بن سليمان، ولد في القاهرة ونشأ في الشام، قرض الشعر ونظم الغزل الرقيق وأولع بالبديع، كان ظريفا فلقب بالشاب الظريف، ومات شاباً في السابعة والعشرين من عمره سنة ٦٨٨هـ - ١٢٨٩م.

(٤) البيت للإمام الشافعى رحمه الله.

(٥) أصل الشطر: وفشت خيانات الثقات وغيرهم.

(٦) البيتان للإمام الشافعي رحمه الله.

(٧) من قصيدة السهل الممتنع للشاعر أحمد مطر.

(٨) البُرداء : هي الحمى الباردة أو النافضة، وتقابل لفظة الملاريا.

(٩) البيتان للشاب الظريف نفسه.

(١٠) هذه الأبيات من نظم كاتب الأحماض.

(١١) مقتبس من مقدمة مروج الذهب للمسعودي.

(١٢) البيت للشاعر هاشم الرفاعي (ت ١٩٥٩م) يشير فيه إلى القائد المظفر قتيبة بن مسلم الذي أقسم أن تطأ قدماه أرض الصين، فأرسل له ملك الصين الخراج وصحيفة من ذهب فيها تراب كي يبر بقسمه.

(١٣) ماوتسى تونغ زعيم سياسي صيني ماركسي ت ١٩٧٦م، لي بي، ودوفو، ونغ: هؤلاء من أهم شعراء الصين قديماً.

(١٤) سور الصين العظيم: يمتد عبر شمال الصين نحو ٢٤٠٠كم، وسمكه من ٥ر٤م الى ٩م، ومتوسط ارتفاعه ٥ر٧م، وعليه أبراج للمراقبة وقد بدأ تشييده في عهد شن هوانجني قبل الميلاد، وهو أحد عجائب الدنيا السبع.

(١٥) هذه المعلقة من نظم كاتب الأحماض.

(١٦) الزوزني : الحسين بن أحمد عالم بالنحو واللغة كان قاضياً من أهل زوزن قرب نيسابور له شرح المعلقات السبع.





أشـدُ صنُوف الحـزن مـا يفطرُ القلبـا

فـمـا يرقـأُ الدمعُ الغـزيرُ إذا انصـبّـا

وأصـعبُ مـا في الكون وُدٌّ على الجـفـا

ويُعـــدٌ لمن مـــازلت تنشُـــدُه قُـــربا

وللصـــبـــر حـــدٌّ إن جـــفـــا الخلُّ خلّهُ

ولكنَّ بعض الصـــبـــر أمـــداؤهُ تأبى

ومـــا كُنتُ أدري أنّ في الحُبّ نســـوة

(كصـابرة) .. حتى خـبرتُ لهـا قلبا

رؤفـاً، رحـيـمـاً، طاهر العـشقِ والهـوى

يُفـيضُ على الأيّام ـ مُـؤتلقـاً ـ رحـبـا

سـقـاهـا وفـاء أنبت الصـبـر والرّضـا

فـمـالتْ على الآلام .. تُسكنُهـا جُبّـا

وحـافـيـة تمشي على شـوك عُـمـرهـا

تُطوقُـهـا الأوجـاعُ؛ إعـصـارُها هبّـا

ولكنهـا بالصـبـر أضـحـت رضـيّـة

وقـــرّت بـه عـــينـاً، وأرخت بـه هُدبا

* * * *

وخيرُ نسـاء الدهر .. من تعرفُ الوفـا

وتبـتلعُ الشكوى ! وتغـتـفـرُ الذنبـا !

كـذلك كـانت تقطعُ العُـمـر بعـد أن

ترقت بأخـلاق الهُدى مُرتقـاً صـعبـاً

(فصابرة) ، للصبر كانت خدينة

(وصابرة)، للصبر قد نهجت دربا

(وصابرة) ، للبعل كانتْ وفيّة

رحيبة صدر، تكتُمُ (الآه)، والكربا

وأوقد همّاً في الحشا أن زوجها

على فقره.. يستثقلُ الجدَّ والكسبا

ويُبغضُها من غير ذنب وعلة

ولكنها تُحذيه - من حُبّها - حُبّا!

بكت حظها واستدبرت أجمل المُنى

وباتت تُناجي الليل والصمت والشُهبا

أتوسعُهُ الإخلاص من فيء قلبها؟

ويُوسعُها النكران، والسُخط، والسبّا؟

نقيضان .. لكن جمَّع اللهُ بينهم !

فتبا لهُ منْ ظالم جاحد .. تبّا

تراهُ مع الخلان، هشاً وضاحكاً

ولكنهُ في بيته يُعلنُ الحربا !!

يُجرعُها كأساً من الهجر مُرة

فتحلو كماء صار في فمها عذبا

وإن جنَّ ليلٌ أرسلت زفرة الأسى

وراحت تُناجي - في تضرُّعها - الرّبا

عبدالله موسى بن بيلا

مكة المكرمة

فسُبحان ربي .. ما الوفا اليوم نادرٌ

ولكنّهُ كالدُر.. تنقبُهُ نقبا !

فمن حازه، واراه في جوف صدره

حفاظاً؛ وإلا ذاق من حسرة غبا..

فيا أيها الأزواجُ : رفقاً بأهلكُم !

نساؤكُمُ ليست إماء ، ولا نُهبى

لها عند أهل الدين والعدل رُتبة

فلا تسلُبوها حقها عُنوة.. غصبا

ولا تُلبسُوها الهمَّ، والخوف، والعنا

ولا تُسكنوها في دياجركُم رُعبا

كفاكُم إذا ما رُمتُمُ البرَّ؛ مُرسلٌ

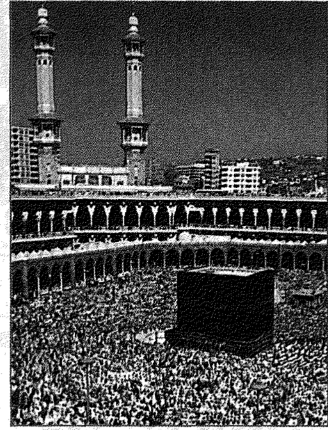
نبيٌّ ، إذا نادتهُ زوجتُهُ.. لبّى

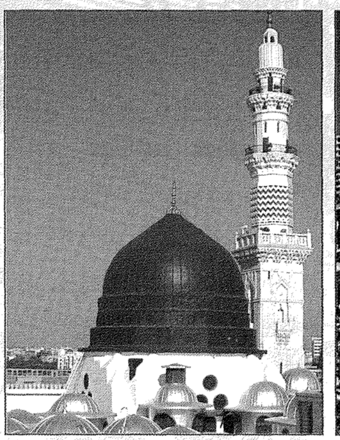
وأوصى بخير للنسا حين موته

وحرَّم عنها الصدَّ ، والهجر، والضربا!

فيا معشر الأزواج: رفقاً بأهلكُمْ

وصفحاً، لتلقوا في الغد الباسم العُقبى





من أعلام الحرمين الشريفين

□ الأستاذ الفاضل (ضياء محمد عطار) سبق أن آثر مجلته المنهل، وقراءها بدراسة علمية قيمة بعنوان (من أمراء الحرمين الشريفين) .. نشرت في حلقات متتاليات، وختمها بقصيدة من نظمه سرد فيها عدداً وافراً من أسماء من شَرُفوا بإمارة الحرمين الشريفين.

وهذه دراسة علمية قيمة جديدة بعنوان (من أعلام الحرمين الشريفين) يتحدث فيها عن مجموعة من الأعلام فيهما، وما كانوا عليه ودورهم العلمي فيهما.

وسوف ننشر هذه الدراسة القيمة على حلقات .. وجزى الله سبحانه الأستاذ/ محمد ضياء عطار خيراً على هذا التواصل العلمي مع مجلته المنهل، وقرائها الأكارم.

ـ المنهل ـ



ضياء محمد عطار

المدينة المنورة

ابتداء أقول إن للحرمين الشريفين الكريمين شرف المكانة القدسية في دين الله عز وجل ما ليس لغيرهما من مدن العالم على وجه البسيطة، ولم يرد في دين الله عز وجل فضلا لبلد على العالم سوى مكة المكرمة شرفها الله والمدينة الشريفة، وليست هذه الفضائل أيضا حتى للبيت المقدس مع أنه في الأرض المباركة المقدسة.

حيث أن مكة شرفها الله وعظم شأنها نسبها الى نفسه فهى بلد الله وهى أم القرى وهى منشأ هذه الأرض ومنها دحيت الأرض وهى حرم حرمها الله تبارك وتعالى يوم خلق السموات والأرض ولم يحرمها الناس، وجعلها قبلة للمصلين في مشارق الأرض ومغربها وجعل بها بيته العتيق أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ونسب سكانها الى نفسه تعالى فأخبر عنهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنهم أهل الله ووصى بهم خيرا.

وجاء الوعيد من قبل الله عز وجل لمن همّ بها بظلم، مجرد الهم ،وأي ظلم كان ولو لم يعمله فقال سبحانه: {ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم}، وأما المدينة الشريفة فهى مثوى سيد الخلق {صلى الله عليه وسلم} ودار هجرته، وهى دار الايمان وهى المنورة وهى الجابرة وهى المسكينة وهى طيبة.

فقد ورد في فضلها وفضل سكانها وفضل الاقامة بها والوفاة بها أحاديث كثيرة صحيحة كما ورد الوعيد الشديد على من أذل أهلها أو أخافهم أو آذاهم.

وكان من دعاء أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : اللهم ارزقنى شهادة في سبيلك ووفاة في بلد رسولك فأجيب رضى الله عنه لما دعا، وأرضهما - مكة المكرمة والمدينة المنورة - مآثر سيدنا جبريل عليه السلام ومهابط الوحى الكريم، ومنازل القرآن المجيد، وممشى سيد الوجود {صلى الله عليه وسلم} ومحاضن الصحابة الكرام ومنابت آل البيت العظام.

كما قال الشاعر في هذه المعانى :

صفق القلب للحجاز وصارا

شفه الوجد للحبيب فطارا

واقتفت إثره الجثوم غراما

وسرى الركب في الرمال وسارا

يا ديار الحبيب أنت حياتي

عدل الحب في الهوى أو جارا

يا بقاع الحبيب أنت نجاتى

حدثينى عن الرسول جهارا

حدثينى عن زمزم والمصلى

حدثينى فلا أطيق اصطبارا

يامجال الأمين يامرتع الأملاك

لازلت لليقين منارا

منك لاحت شمس الهداية تجرى

ثم شعت فعمت الأقطارا

تلكمو أختوتى منازل طه

فصلاتى عليه ليل نهارا

وهنا كان الفضل لسكان هاتين البلدتين المقدستين والحرمين الآمنين مضافا اليهما، وليس المقصود بالحرم المسجدان المباركان المسجد الحرام والمسجد النبوى الشريف وإنما المقصود هما المدينتان داخل حدودهما الحرمية المعروفة.

وسكانهما هم من قد اختاروا السكنى فيهما قربة الى الله بالسكنى ورغبة في فضلهما، وتحملوا في ذلك مشاق العيش بهما وصبروا على اللأواء والبلواء في مدينة رسول الله [صلى الله عليه وسلم] لورود هذا النص بحق مدينته [صلى الله عليه وسلم]..ولم يرد ما ورد في فضائل البلد الحرام ومدينة النبي عليه الصلاة والسلام بحق أى بلد أو مدينة أو إقليم دونهما على الاطلاق في الأرض.

ولا تشمل فضيلة السكنى بهما من سكنهما لعمل أو لمصلحة دنوية دون أن يكون له إيمان بفضلهما واعتقاد بقدسيتهما واستشعار بعظمة من شرف بهما، لأن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قال : إنما الاعمال بالنيات، وهنا يقع الكثيرون في الغلط وهو أنهم يصفون القدس الشريف أو المسجد الاقصى بثالث الحرمين الشريفين وهو في نظرى خطأ.

وأقول إن المسجد الاقصى المبارك ثالث المسجدين نعم، ولكن ليس ثالث الحرمين الشريفين لأن القدس الشريف ليس بحرم كمكة والمدينة فيما أعلم، وأهل هاتين البلدتين المقدستين جديرون بالاشادة بهم والثناء عليهم كما أشاد بهم رسول الله [صلى الله عليه وسلم] في أحاديثه.

فهذا رسول الله [صلى الله عليه وسلم] يقول في أهل مكة المكرمة إنهم أهل الله، ووصى [صلى الله عليه وسلم] بهم خيرا ووعد

بمن يموت بها خيرا، ووردت آثار أنهم جيران الله بل قد ورد أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سأل عن أهل المدينة أو أهل مقبرة البقيع ربه عز وجل فأجابه ثم سأله عن أهل مكة أو مقبرة مكة فقال فيما معناه: هم جيراني والجار أحق بجاره.

والمدينة الشريفة ورد في أهلها القاطنين بها سواء كانوا قدامى مثل الأنصار أو مجاورين له من بعده {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: من أراد أهلها بسوء (يعنى المدينة) أذابه الله كما يذوب الملح في الماء. ومنها : من أخاف أهل المدينة أخافه الله عز وجل وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا، وأيضا : المدينة مهاجرى، فيها مضجعى ومنها مبعثى، حقيق على أمتى حفظ جيرانى ما اجتنبوا الكبائر، فمن حفظهم كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة ومن لم يحفظهم سقى من طينة الخبال.. وغير ذلك من الاحاديث وليس هذا محل بسطها.

ولذلك كان الهدف في هذه الحلقات ذكر من تيسر علينا ذكره من سكان هاتين البلدتين المكرمتين على مر العصور، وكما قلت ولا سيما مما ذكره الامام تقى الدين الفاسى في تاريخه العقد الثمين من سكان البلدة المحرمة والامام شمس الدين السخاوى في تاريخه التحفة اللطيفة من سكان المدينة الشريفة فمن سكان مكة شرفها الله ممن ذكرهم الامام الفاسى في تاريخه العقد الثمين:

سيدنا أبو محذورة الجمحى القرشي :

رضى الله عنه - مؤذن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وصاحبه، واختلف في اسمه فقيل: هو سمرة بن معير وقيل اسمه معير بن مخيرين، وقيل أوس بن معير بن لوذان بن ربيعة بن عويج بن سعد بن جمح، وكان رضى الله عنه مؤذن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بمكة شرفها الله، أمره بالاذان بها عند انصرافه من حنين وقد سمع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يحكى بالاذان فأعجبه صوته فطلبه فجاء وأسلم يومئذ فوكله بالاذان فقام يؤذن بين يدى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم أمره فانصرف الى مكة وأقره على الاذان بها يعنى بالمسجد الحرام، فلم يزل يؤذن بها هو وولده ثم ابن عمه عبد الله بن مخيرين، وكان رضى الله عنه من أحسن الناس اذانا وأنداهم صوتا.

وتوفى بمكة شرفها الله فى سنة تسع وخمسين وقيل في سنة تسع وسبعين ولم يهاجر ورضى الله عن أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وزاد سكان الحرمين الشريفين مهابة وعزة وحسنا وهداية وتأدبا إنه سميع مجيب.

- الحديث بقية -

التعابير الاصطلاحية ومشكلات ترتيبها في المعجم العربي

□ ***شاع في العصر الحديث معجمات تعرف بمعجمات التراكيب الاصطلاحية أو التعابير السياقية ، ولاسيما بعد انتشار الدراسات الوصفية والبنيوية والسياقية التي ركزت على هذه التراكيب ، انطلاقاً من مبدئها القائل بأن الوحدة المعجمية لا تكتفي بالوحدة المفردة ، وإنما تتجاوز ذلك لتشمل الوحدات التركيبية .***

يشـــــار هنا الى أنه على الرغم من أن الاستشهاد بالتراكيب الاصطلاحية شاع منذ مطلع القرن العشرين، إلا أن المعجميين العرب القدماء كانوا أسبق في تطبيقها من الأوربيين بقرون عدة؛ فقد لجأ إلى مثل هذا الشرح - أي باعتماد العبارات السياقية والأمثلة المستعملة - الزمخشري في «أساس البلاغة» كما في مادة (ص ق ل) : «هو صَيْقَلٌ من الصَيَاقل والصياقلة، وصقل السيف والمرآة والثوب والورق بالمصقلة صقلا وصقالا ، وشيء صقيل ، وفرسٌ لاحقُ الصُّقلين، وصقلٌ : طويل الصُّقلين.

ويقولون : قلما طالت صُقْلةُ الفرس إلا قصُر جنباه... وقد صقل صقلا، وفي الحديث (لم تُعبه ثُجْلة ولم تُزر به صُقْله) ومن المجاز : الفرسُ في صقاله: في صوانه وصنعته.

كما يلاحظ مثل هذا الشرح بالعبارات السياقية عند الفيروزآبادي في «القاموس المحيط» إذ كان نادراً ما يستشهد بالشواهد الشعرية والأدبية، إنما كانت شروحه تعتمد الأمثلة السياقية، من ذلك في مادة «عبأ» : (... يقال: عبا المتاع والأمر - كمنع - هيّأه. والجيش جهّزه كعبّاه تعبئة وتعبيئاً فيهما، والطيب صنعه وخلطه والعباء كساء...).

ومع انتشار ظاهرة شرح المواد المعجمية بإيراد أمثلة سياقية انتشرت ظاهرة إيراد

التعبيرات الاصطلاحية والسياقية. ويلاحظ أن اللغويين العرب القدماء لم يهتموا بهذا النوع من التعبيرات إلا ما ندر، ولم يخصصوا كتباً تختصّ بدراسة هذا النوع من التراكيب، بل كانوا يوردونها عرضاً عند تفسير معاني بعض الكلمات في المعجمات والمصنفات القديمة[١]؛ ذلك أن هذه الدراسات التركيبية لم تشع إلا بعد انتشار الدراسات الوصفية ونظرية السياق الاجتماعية، التى ركزت على هذا النوع من التعبيرات الاصطلاحية أو التلازمات السياقية، لذا أولى المعجميون المحدثون اهتماماً أكبر بهذا الموضوع، حتى إنهم أفردوا لهذه التراكيب معجمات خاصة.

إلا أن هناك من رأى أنه قد تأخر تطبيق المنهج السياقي في المعجمات تطبيقاً شاملا مستقصياً نظراِ لحاجته الى مسح لغوي شامل أو شبه شامل، هذا المسح الذي تستخدم فيه الحواسيب والماسحات الضوئية، وإنشاء قواعد البيانات، وتجهيز ملفات الاقتباس، وهو ما لم يتوفر للمعجمات العربية حتى الآن، التى مازالت تعتمد على المسح البشري والجمع اليدوي[٢].

كما يواجه إيراد هذه التراكيب الاصطلاحية في المعجمات اللغوية العامة مشكلات تتمحور في طريقة ترتيبها.

صافية زفنكي

سوريا - حلب

ويلاحظ في هذا المجال أن لكل تعريف ثلاثة معان:

الأول : المعنى المعجمي.

الثاني: المعنى التركيبي، إذ إن القارىء قد يفهم معاني المفردات لو كانت مستقلة، ولكن دخولها في علاقات تركيبية فيما بينها يعطيها معنى مختلفاً قد لا يتوصل إليه القارىء.

الثالث : هو المعنى الكلي للتعريف، إذ قد يفهم المعنى المعجمي للمفردات ومعنى التركيب النحوي الذى صبت فيه هذه المفردات، ولكنه مع ذلك لا يتوصل إلى فحوى الشيء المعرَّف، وتحديد مفهومه في ذهنه[٣].

أهم أنواع العلاقات التركيبية:

١ ـ التضام Collocation :

أي ارتباط أكثر من كلمة في علاقة تركيبية، ويكون معناها مفهوماً من الجزئيات المكونة لها، فمثلا كلمة : «الكرسي» يستخدم في تراكيب عدة على سبيل التضام: (جلس على الكرسي)، (صنع كرسياً). أما المعنى الثاني، فهو في تراكيب، (كرسي الفلسفة)، (كرسي الأستاذية)، فالمجال الدلالي الأول للأثاث، والثاني للوظائف[٤].

٢ ـ التراكيب الثابتة أو التعبيرات السياقية : idioms

في حالات عدم إمكانية التبادل بين كلماتها أو إضافة كلمات إليها، يصعب استنتاج المعنى الكلي للتعبير من معاني مكوناته، ولا يمكن ترجمته بصورة حرفية، وأنه يوظف في اللغة كما توظف الوحدة المعجمية ذات الكلمة الواحدة، من ذلك: (جنت على نفسها براقش، الصيفَ ضيعت اللبنَ، رجع بخُفيّ حُنَيْن[٥]٠

٣ ـ التركيب الموحد unitary complex:

الذي يتكون من مجموعات كلمات يتصرف تجمعها ككل بطريقة مختلفة عن الطبقة الدلالية للكلمة الرئيسية ، مثل:((Pineapple (الأناناس) وهو ليس نوعا من التفاح[٦] وكذلك في الفرنسية ((peom de terre) (البطاطا) ترجمته الحرفية تفاح الأرض ..

وعليه دعا بعضهم الى ضرورة أن يتوخى المعجمي تحديد التضام للكلمة ، ويشير الى تغير المعنى مع كل ضميمة تتوارد مع الكلمة أو تتلازم معه .لان الاكتفاء بذكر الكلمة دون ضمائمها يضيف وجها آخر هو الالتباس [٧]، ومنهم من اقترح ان يتضمن المعجم العلاقات التركيبية كلها بأنواعها المذكورة باعتبارها علاقات أساسية في المعنى (٨) ومنهم من دعا الى إدخال التعبيرات المركبة إذا كان لها معان غير مفهومة من الكلمات التي تتألف منها ، وبعض التعبيرات المركبة الواضحة المعنى مع تفسير الأخيرة بإيجاز[٩]٠

أما عن ترتيب التعبيرات المركبة فقد رأى بعضهم أنه ينبغي مراعاة ذلك في تحديد المداخل ، وأن تكون هذه التراكيب الثابتة والعبارات الجاهزة كاملة العناصر ، ولا يجوز تمزيقها الى عناصرها المكونة[١٠]٠

وإذا أمكن استخدام التعريف المقتضب في تعريف التعبيرات الاصطلاحية فانه سيكون قادرا على تبيين العلاقة بين التعبير الاصطلاحي وكلماته الاساسية وليس بوسعه إيضاح الروابط بين افراد العائلة اللفظية كلها ، ويمكن ادراج جميع التعابير الاصطلاحية ذات العلاقة تحت الكلمة الاساسية مباشرة لا ضمن مادتها بل كمداخل رئيسية مستقلة[١١]٠

وقد تباينت الآراء حول ضرورة تكرار إدراج التعابير الاصطلاحية الثنائية الاصول، تحت كل عنصر من عناصرها المكونة أو الاكتفاء بإدخالها مرة واحدة في المعجم٠ والداعون الى إدراجها مرة واحدة ينقسمون بدورهم فيما إذا كان من اللازم إدخالها تحت الكلمة المركزية أو تحت العنصر الأول منها، مع استعمال الإحالة عند ذكر المكونات الأخرى[١٢]٠

فثمة من اقترح إدراج التعابير الاصطلاحية تحت كل عنصر من العناصر المكونة لها مع

استعمال الإحالة إذا دعت الضرورة[١٣]. ومنهم من اقترح أن تشتمل المداخل الرئيسية على جميع أو معظم الكلمات المشتقة من الكلمة الأساسية التى تستعمل بكثرة، فمثلا: comfort (comfortable, uncomfortable, comforter, يمكن الاقتصاد في حجم المعجم باستخدام رموز مثل :

.comfort (- able, un - able, - er)

ويسميها طريقة جمع شمل العائلة اللفظية، التى تدرج بمقتضاها أفراد العائلة اللغوية بعد كل مدخل أساسي، وأن هذا يؤدي الى تيسير التعلم وزيادة الحفظ[١٤]. وهذه الطريقة متأثرة بالنظرية التوليدية، وهي تناسب المفردة المركبة أو المشتقة ذات المورفيمات المتميزة، إلا أنه يصعب تطبيقها مع المشتقات التى يصعب فصل مورفيماتها[١٥].

أما ما يخص العبارات السياقية، فقد اقترحوا أن تعالج تحت الكلمة الرئيسية فيها[١٦]، وهنا نتساءل: وفق أي معيار نميّز الكلمة الرئيسية من الكلمة الثانوية في العبارات السياقية؟ فهذا التمييز يتوقف على طبيعة تركيب العبارة، كما أنه أمر نسبي يتأثر بمستوى المحرر والمتلقي أو أهوائهما.

وكان من توصيات ندوة الرباط (١٩٨١م) في هذا المجال ما يلي بأن: تذكر الكلمة ودلالاتها إن كانت لها دلالة واحدة، وتذكر بعد التعابير الملحقة بالكلمة حسب التسلسل الآتي:

أ ـ الأمثلة التى توضح دلالات الكلمة.

ب ـ التعابير الاصطلاحية.

جـ ـ التعابير المأثورة.

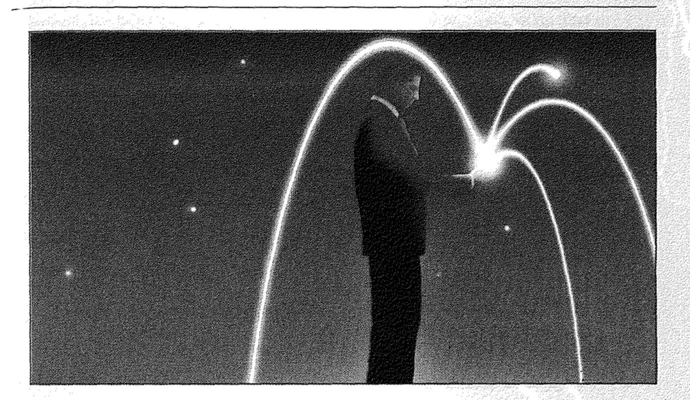
د ـ التعابير السياقية.

هـ ـ الكلمات المركبة.

وإذا كان للكلمة دلالتان أو أكثر تذكر التعابير الملحقة بكل دلالة حسب الترتيب السابق[١٧].

الهوامش :

(١) فايد، وفاء كامل محاضرة ألقتها ضمن ندوات المعجم العربي التى أقامها مجمع اللغة العربية في دمشق، عام ٢٠٠١م.
(٢) عمر . صناعة المعجم الحديث، ص ١٣٣.
(٣) القاسمي. اللسان العربي، ٢/١٦، ص ١٣ ـ ١٤.
(٤) حجازي. مدخل الى علم اللغة، ص ١٥٧.
(٥) عمر . صناعة المعجم الحديث، ص ١٣٥ ـ ١٣٦.
(٦) عمر . علم الدلالة، ص ٣٤.
(٧) حسان. مناهج البحث في اللغة، ص ٢٥٨، وعيد. النشاط المعجمي في الأندلس، ص ١٩.
(٨) حجازي. مدخل الى علم اللغة ، ص ١٥٨.
(٩) نصار . المعجم العربي، ص ٧٤٠.
(١٠) حجازي . مدخل الى علم اللغة ، ص ١٥٨.
(١١) القاسمي. علم اللغة وصناعة المعجم، ص ١٢٢ ـ ١٢٣.
(١٢) ينظر: القاسمي. علم اللغة وصناعة المعجم، ص ٧٦، والطعمة، صالح جواد. صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية، ص ١٤٥.
(١٣) القاسمي. المرجع نفسه، ص ٧٦.
(١٤) القاسمي. المرجع نفسه، ص ١٢٤ ـ ١٢٥.
(١٥) القاسمي. المرجع نفسه، ص ١١٨.
(١٦) السيد. المعجم الإنجليزي، ص ١٤٩.
(١٧) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية، ص ٨.



مخاطر الكهربـــاء

□ «تعتبر الكهرباء جيدة ومفيدة، وهي الأساس الذى قام عليه الجزء الأكبر من حضارتنا المتقدمة الراهنة، ولكن للكهرباء أيضاً مضارها التى كانت غير مرئية حتى وقت قريب مضى».

تتلخص المشكلة، باختصار شديد، فيما تولده خطوط نقل التيار الكهربائى العالي التوتر من حقول كهربائية ومغناطيسية، يقول بعض الباحثين إنها تؤذي القاطنين بجوارها وأنها قد تتسبب في كثير من المشاكل بدءاً من الخلل في القدرة على التعلم وانتهاءاً بالسرطان، مروراً بعشرات الأمراض الأخرى.

وكان الجدل حول هذا الموضوع قد بدأ منذ حوالي عشر سنوات ولكن تصاعد حدَّته كان بطيئاً نسبياً حتى وقت متأخر، عندما تحول الموضوع إلى أن يصبح «ساخنا» وخصوصاً بعد أن أصدر «مكتب تقييم التكنولوجيا» في الولايات المتحدة تقريراً مطولا ينتهي إلى القول بأن خطوط التوتر العالى تخلق بالفعل مشاكل صحية للسكان القريبين منها، ولكنها ليست مصدر الخطر الوحيد، إذ يرى واضعو التقرير أن كل الأدوات الكهربائية

داخل البيت، تخلق حقولا (كهرومغناطيسية) قد يكون لها تأثيرها الضار على صحة الإنسان.

ويستند جوهر الجدل على ظاهرة فيزيائية بسيطة جداً، وهي أنه عندما يمر التيار عبر السلك الكهربائي يولد حقلا (كهرمغنطيسياً) يمارس بدوره قوة على الأشياء المجاورة.

ولسنوات عدة خلت رفض العلماء فكرة كون هذه القوة مؤذية لأنها ضعيفة جداً.. فلا يبلغ حقل التردد بالغ الانخفاض المغنطيسي الذي تولده شاشة الفيديو سوى بضعة (ميللي غاوس) أي حوالي ١/١٠٠ من قوة الحقل المغنطيسي للأرض وقد تصل الحقول الكهربائية في خطوط الطاقة الى ما يقارب عشرة كيلو فولت بالمتر الواحد، لكن الحقل الموازي الذي تولده هذه الحقول في الخلايا الإنسانية لا يصل إلا إلى واحد ميللفولت في المتر الواحد، وهذا الحقل أقل بكثير من الحقل الكهربائي الذي تولده الخلايا نفسها. فكيف يمكن لهذه القوة الضعيفة جداً أن تكون مؤذية؟.

ولعقود مضت ركز العلماء على مصادر اشعاع أقوى بكثير، كالاشعة السينية (أشعة إكس) وأشعة غاما والأشعة فوق البنفسجية التى تحزم من الطاقة ما يكفي لإخراج الالكترونات عن مداراتها تاركة وراءها شوارد (أيونات) ايجابية الشحنة.. وعند التعرض الزائد تستطيع هذه الموجات أن

د. بشار عبد الرزاق جعفر

سوريا

تقتل بسرعة.. أما التعرضات قصيرة الأمد، ولكن لمدد زمنية طويلة، فقد تسبب السرطان.

ولكن العلماء يتفقون من ناحية أخرى، على أن الأذى الذى تسببه حقول التيار الكهربائي مازال أمراً غير محسوم نهائياً. ولقد دلّت الدراسات الوبائية على وجود نسبة من الأمراض السرطانية، بما فيها ابيضاض الدم (اللوكيميا) وأورام الدماغ، أعلى من النسبة الطبيعية بين الأطفال والبالغين الذين يعيشون أو يعملون بالقرب من خطوط التوتر العالي.. وأظهرت دراسة أخرى أجريت في كاليفورنيا أن النساء الحوامل اللواتي يعملن أمام شاشات الحواسيب (الكمبيوترات) لأكثر من ٢٠ ساعة أسبوعياً يواجهن خطر الاجهاض بنسبة ضعفي الخطر الذي يواجهه النساء العاملات في الأعمال المكتبية العادية.

وإذا كان لأمثال هذه الدراسات دلالاتها، فإن الباحثين لم يتمكنوا حتى الآن من إثبات وجود علاقة سببية مباشرة بين الكهرباء وبين هذه النسب المرتفعة من الحالات المرضية.

ولقد أظهرت التجارب المخبرية أن بامكان الحقول الكهربائية والمغنطيسية أن تمارس تأثيراً

معينا على العمليات الحيوية. فالخلايا تحافظ طبيعياً على وجود شحنة كهربائية عبر أغشيتها، وهذه الشحنة ضرورية لقيام الأنسجة البشرية بمهامها الطبيعية. وفي زراعات الخلايا في المختبرات يمكن للتعرض إلى الحقول الكهرمغنطيسية أن يؤثر على تدفق المواد الكيميائية عبر أغشية الخلايا، وأن يتدخل بتركيب المادة الوراثية، وأن يغير نشاط الهرمونات ومواد كيميائية أخرى كما يغير من سلوك الخلايا السرطانية. وأظهرت الدراسات التى أجريت على الفئران أن مثل هذا التعرض يؤدي الى حالات خلل في أنماط الأكل والتنفس والنوم. وأثبتت تجربة أجريت على أشخاص متطوعين أن تعرض هؤلاء لحقول كهرمغنطيسية أدى إلى تباطؤ نبضات القلب وإلى تعديل طرأ على الموجات الدماغية.

ولكن كل هذه النتائج لم تؤد، حتى الآن، إلا إلى طرح مزيد من التساؤلات. وعلى سبيل المثال:

كيف تؤدي الحقول الكهرمغنطيسية إلى التحولات التى تطرأ على الخلايا؟ هل تكون هذه التغيرات مؤقتة أم دائمة؟ هل هي تعكس تكيفاً طبيعياً أم تأثيراً مؤذياً؟ .. ومن ناحية أخرى: ما هو نوع التعرض لهذه الحقول الذي يمكنه أن يكون مؤذياً؟ هل وجود الإنسان لمدة خمس دقائق في حقل عالي الشدة أسوأ من وجوده لمدة ٢٤ ساعة في حقل ضعيف؟.

بالطبع، إن الاجابة عن هذه التساؤلات تحتاج الى مزيد من الدراسات التى يجري الكثير منها حاليا بالفعل. ولكن، ماذا لو جاءت النتائج ايجابية لتثبت أن الحقول الكهرمغنطيسية لكهرباء الاستعمال اليومي ضارة فعلا، وأن تلك الناجمة عن خطوط التوتر العالي تؤذي جداً القاطنين والعاملين بقرب هذه الخطوط.

لا شك أن الوضع سيكون عندئذ صعباً، إذ لابد في هذه الحالة من اعادة النظر في تصاميم الكثير من التجهيزات والأدوات الكهربائية التى صارت تلاصقنا أينما ذهبنا، أو ربما الاستغناء عن بعض منها، وربما احتاج الأمر إلى إعادة النظر في أوضاع التمديدات الكهربائية في المنازل والمكاتب. أما من يقطن أو يعمل في بقعة تمر فيها خطوط التوتر العالي فقد يحتاج إلى تغيير مسكنه أو مكان عمله.

وبانتظار ظهور النتائج الأكيدة، بدأت حالة من الذعر والهلع تدب في نفوس الأمريكيين بشكل خاص، حيث تغطي الولايات المتحدة شبكات لخطوط التوتر العالي طولها أكثر من (٣ ملايين) كيلومتر.

وفي الوقت نفسه، تتكاثر بسرعة القضايا

العمل لمدة عشرين ساعة في الأسبوع أمام الشاشة يتسبب في اجهاض الحوامل

الجلوس على بعد ثلاثة أمتار من شاشة التلفزيون للحماية من أضراره

المرفوعة على الشركات الكهربائية أمام القضاء، وهي قضايا يحكم في العديد منها لصالح المواطنين، مما يجبر بعض الشركات على تغيير مسارات خطوطها لإبعادها عن المناطق المأهولة.. ولكن ماذا على المواطنين أن يفعلوا لحماية أنفسهم قبل ظهور نتائج الدراسات أو صدور أحكام القضاء. يقول الباحثون إن عليهم ألا يفعلوا أكثر من اتخاذ بعض الاجراءات الوقائية، مثل عدم استخدام البطانيات الكهربائية أثناء النوم بل قبله فقط، وعدم وضع المنبه الكهربائي ملاصقاً للسرير بل بعيداً عنه، والجلوس على بعد (٣ أمتار) من التلفزيون على الأقل.. وخفض مستوى الذعر العام حيال هذا الأمر لأن للقلق المستمر أمراضه أيضا!..

وفي الختام، يمكن أن نشير الى مصادر أخطار الكهرباء، ويمكن حصرها فيما يلي:

١ ـ خطوط نقل التيار الكهربائي عالي التوتر: تحمل هذه الخطوط التى تمتد فوق الأبراج العالية، كميات كبيرة من الكهرباء عبر مسافات بعيدة.. يجب عدم بناء المنازل والمدارس وملاعب الأطفال بالقرب من هذه الخطوط.

٢ ـ خطوط توزيع الكهرباء: أي الخطوط التى تحمل التيار الى الشوارع المحلية وهي تولد حقولا أقل قوة من خطوط نقل التيار العالي لكنها أقرب بكثير من معظم المنازل.. بامكان شركات الكهرباء دفن هذه الخطوط تحت الأرض أو تغيير مسارها.

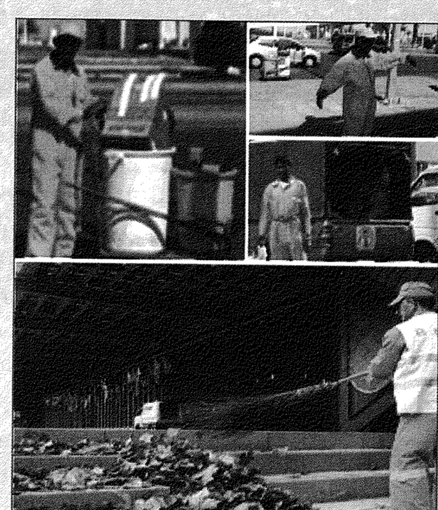
٣ ـ البطانيات الكهربائية : توضع هذه البطانيات على الجسم لساعات طويلة في الليل.. قد يكون من المفيد تدفئة السرير ونزع القابس قبل النوم.. من الأفضل بكثير استبدالها باللحاف.

٤ ـ شاشات العرض : يمضي الناس أيام عمل بطولها أمام شاشة الحاسوب.. يجب أن تكون المسافة بينهم وبين الشاشة (٧٥ سم) على الأقل مواجهة ، و(٩٠ سم) من الجانب ومن الظهر.

٥ ـ الأدوات الكهربائية التى توضع الى جانب السرير: تدور المراوح والساعات الكهربائية باستمرار أحياناً.. يجب وضعها على بعد لا يقل عن (٧٥ سم) من الرأس.

٦ ـ أدوات أخرى : آلات الحلاقة وتجفيف الشعر ومفاتيح العلب الكهربائية وأفران الموجات الصفرية (ميكروويف)، كلها تولد حقولا قوية ويجب على الناس توخي الحذر باستعمالها لفترات قصيرة من الوقت، في كل مرة ■

يوم ... من أيام عامل نظافة



☐ يمشي بخطى رتيبة كدقات الساعة ... لا تغيير ... لا أمل ... لا شيء يثير الفرح في نفسه.

لا ينتظره إنسان حميم في حجرته المعتمة التى يتدلى من سقفها سلك في نهايته مصباح صغير يملأ الحجرة بضوء أصفر باهت كئيب.. يشاركه الحياة الميتة في تلك الحجرة عاملان آخران وبعض الصراصير وفأر... جدرانها مغطاة بصور الأهل والأحباب.. وأرضها مغطاة ببساط مهترىء وفراش رطب متسخ.

ماذا ينتظره في الشارع الآخر؟.. أكياس نفايات سوداء كبيرة.. بقايا أثاث قديم ممزق .. بقايا طعام ملقى مع مخلفات آدمية.. وجثة قطة متعفنة.

جلس على حافة الرصيف يرتاح قليلا .. الشمس الحارقة ذكرته بأنه بعيد عن كل ما هو حبيب إلى نفسه.. معدته الفارغة اعتادت على الخواء ولم تعد تتذمر إلا بعد طول عهد بآخر لقيمات تناولها.

وضع يده الخشنة في جيبه التى اختبأت فيها صورة خطيبته .. تلك التى تسكن بلاده البعيدة .. أخرج الصورة من جيبه .. تأملها وضمها الى صدره.

والداه ينتظران النقود التى اعتاد أن يرسلها إليهما مرة كل خمسة أشهر.. قبل أيام أرسلت إليه أمه رسالة تخبره فيها أن أباه المريض ازدادت حالته

سوءا وأنه بحاجة إلى اجراء عملية عاجلة تكلف مبلغا ماديا كبيرا.. رأى رفيقه في الحجرة يركض من أقصى الشارع باتجاهه وهو يلوح بيده ويضحك.. الضحك والفرح مخلوقان غريبان.. في جزيرتهما المهجورة.. ما الذي يفرح هنا سوى (الراتب)؟ تساءل في نفسه.. هيأ أذنيه لسماع بشرى الإفراج عن رواتبهم الحبيسة التى طال انتظارها.. ضحك .. اقترب منه صديقه.. توقع سماع كلمة (الراتب) في بداية كلامه ولكنه لم يلفظها .. فهم صديقه ما يفكر فيه فقال: لا تفرح .. الرواتب سنتسلمها بعد شهرين.. هذا ما قاله محاسب الشركة اليوم.

هوى من قمة الفرح الصغيرة التى اعتلاها في اللحظات السابقة.. قال له: وصلتك رسالة من أهلك، ناوله الرسالة.. تمتم: لابد أن أبي قد مات.. تمنى أن يكون هناك في القرية .. ليودع أباه قبل أن يدفن.. قرأ الرسالة.. أمه غاضبةٌ منه لم تصدق ما قاله لها في المكالمات الهاتفية السابقة من أنه لا يتسلم راتبه كل شهر.. قالت أمه في ختام الرسالة أن أباه دخل في غيبوبة منذ أسبوعين.. وذيلت الرسالة بعبارة أحرقته.. قالت (ليتك لم تسافر.. كان أبوك يهذي باسمك.. ويتمنى أن يراك).

طوى الرسالة وضعها في جيبه.. أكمل كنس الجهة اليمنى من الشارع.. أخذ يردد لحنا حزينا لأغنية من أغاني قريته.. أغنية تتكون من ثلاث كلمات (ليتني .. لم .. أسافر ...).

أكمل تنظيف الشارع.. توجه الى (المطعم) الذى اعتاد أن يأكل فيه (صندوق النفايات) قَلَّب محتوياته.. بحث عن طعام طيب اعتاد بعضهم أن يلقيه في الصندوق.. عندما تتخم بطونهم.. أحس بالامتنان تجاههم لأنهم ربما تعمدوا إلقاءه في الصندوق ليأكله هو.

مريم خليل جميل الضاني

المدينة المنورة

رأى في الصندوق ذلك (الشبح) الذي رحل عن قريته هربا منه ... رآه اليوم للمرة الأولى خارج قريته.. مستلقيا في قاع الصندوق.. هو ذاته (شبح الجوع) ذكَّره وجهُهُ الباهت بقريته ذات البيوت الطينية المتهالكة والأزقة الممتلئة بالأطفال الذين يبرزون من وراء الأبواب الخشبية المشروخة.. أجساد الأطفال الضامرة وبطونهم الخاوية.. الأسمال البالية.. الأقدام الحافية.. العيون المستديرة التى تنزف تساؤلا مريرا وضجرا قاتما.. وفي زاوية القرية القصية يقبع بيت أبيه.. وأمه ذات الكفين المشققتين وقرطها الفضي الكبير المتدلى على رقبتها.. تلك هي معالم قريته التى سقطت من ذاكرة العالم.. تجتاحه عواصف الحنين العاتية.. لا تصمد بقيةُ تصبُّره أمامها.. تتداعى جدرانه .. يتلاشى الإنسان من جسده كالظل.. يضحك منه الشبح المستقر في صندوق النفايات.. يحاول أن يخيف الشبح بنظرات قاسية.. يهدده.. يتوعده .. لكن الشبح يعلم أن خصمه أعزل.. طحنته رحاة الغربة .. أمسى .. ذرات .. تبعثرها الريح.. تجاهل الشبح الشامت به.. نقب في الصندوق عن طعام جيد لم يغطه العفن.. مضى وقت طويل وهو يبحث .. لم يجد شيئا.. اليوم .. يغطي العفن كل محتويات الصندوق ويمتد خارج حدود الصندوق إلى الشوارع الفسيحة والعمارات الضخمة الفاخرة.. فتح كيسا فيه بقايا دجاج وأرز.. أظافر الجوع تنهش جدران بطنه.. عواء الجوع يصم أذنيه.. رائحة الطعام منتنة.. لم يتردد .. التهمه بنهم .. بينما .. الشبحُ يراقبه ويقهقه ■

□ لئن كانت الأرض مهيئة لعيش الإنسان .. فقد جعلها الله سبحانه وتعالى أيضاً مهيئة لعيش الحيوانات المختلفة.

ولما كانت النفس الإنسانية بحاجة دائماً الى تنبيهها على عظمة الخلق والخالق، فإن القرآن الكريم بيّن لها أن ثمة كائنات أخرى أبدعها الخالق سبحانه وتعالى، منها ما تراه وتعرفه، ومنها ما جهلته وغاب عن بصرها، ومنها ما سخره الله لها، ومنها ما سخره لحكمة قد تكتشفها وقد تقصر عن ادراكها[١].

قال تعالى: ﴿والله خلق كُلَّ دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه، ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كلّ شيء قديرٌ﴾ (النور/ ٤٥).

الإبل .. خصائص ومميزات

ولو تتبعنا آيات القرآن الكريم التى تكلمت عن الحيوان ومنافعه وأضراره لوجدنا أنفسنا في حاجة الى عشرات البحوث والمقالات.. فالأنعام (ابل وأبقار وأغنام) والخيل والبغال والحمير والطيور... الخ كلها أمثلة لحيوانات تكلمت عنها آيات القرآن الكريم [٢].

قال تعالى : {وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أممٌ أمثالُكُم مَّا فرَّطنا في الكتاب من شيء ثُمَّ إلى ربهم يُحشرُون} (الأنعام/ ٣٨).

لقد وصف الله الجماعات من الحيوانات والطيور والحشرات بأنها أمم لها نظامها وعاداتها، وبأنها تشبهنا في أن لها عقلا يدبر أمرها، فكما أن الناس يمسكهم نظام، ويضبط حياتهم سلوك، وتربط بينهم عادات، وتحكمهم قوانين، فكذلك كل جنس من أجناس الحيوان، وكل نوع من أنواعه له عالمه الذى يعيش فيه، ولغته التى يتفاهم بها، وله نظامه الذى يأخذ به الخارجين على نظام الجماعة، المتمردين على أوضاعها المستقرة.. وإن هذه الحقيقة لم يعترف بها علماء الحيوان الا حديثاً ، ولقد اكتشف العلماء أن جماعة الحيوان والطير يربط آحادها رباط اجتماعى وثيق، وأن منها ما تعيش في صورة ممالك ذات نظم ثابتة كالقردة وغيرها، وأن لكل جماعة لغة يتفاهم بها أفرادها[٣].

وقد اتضح أن بعض الخواص التى كنا نتخيلها مقصورة على الجنس البشرى كالميل لتكوين المجتمعات، والرغبة في التملك وحب السيطرة، والحنين الى الوطن انما هى سجايا أساسية لكل الأحياء، ولقد قلبت هذه الاكتشافات كثيراً من الآراء الراسخة، بحيث تشكل انقلابا في العلوم الطبيعية

اعداد : محمد محمد صالح عوض

مصـــر

كما قال العالم: «روبرت أردرى»، في كتابه: «تكوين الأفريقيين»[٤].

ولقد كشف عالم ألمانى بعد ملاحظات دقيقة لم يتنبه اليها العلماء وهى: أن الطيور لا تصدح فقط! ولكنها تتكلم أيضاً .. ولها مثل البشر لهجات خاصة!!

إن هذه الحقائق التى توصل اليها العلماء في الوقت الحاضر قد سبق إليها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً.. وقد أثبت القرآن أن هناك خاصية لبعض الناس اصطفاهم الله لرسالته وأكرمهم بوحيه، وأعطاهم قدرة على معرفة لغات الحيوانات، وألهمهم ما يعرفون من منطق الطير.. قال تعالى: {وورث سُليمانُ داودَ وقال يأيها الناس عُلِّمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين} (النمل/ ١٦).

ففي هذه الآية ما يؤكد أن داود عليه السلام وسليمان عليه السلام كانت لهما القدرة على معرفة منطق الطير[٥].

ومن هنا يمكن أن تتغير نظرة الإنسان الى عالم الحيوان، وأن يفتح له العلم الحديث آفاقاً جديدة في دراسة عالم الحيوان، فلا يقف عند حدود دراسة جسدية له تدور حول الوظائف العضوية وما يتصل بها، بل ينبغى أن يتجاوز هذه الدراسة الى دراسة نفسية وعقلية أيضاً بحيث يكون من موضوع هذه الدراسة لغة الحيوان، وعن طريق التعرف الى هذه

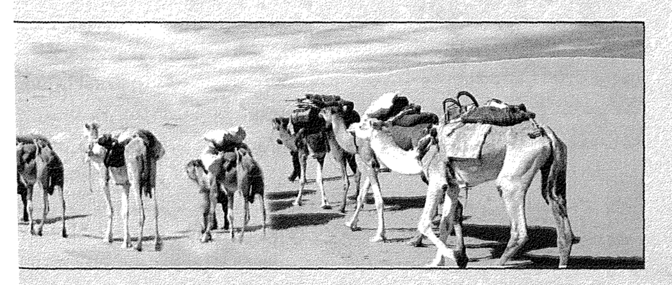
كـــــــل المخلوقــــات على وجـــه الأرض، لهـــا أنظمـــــة وقـــــوانين متبعة في تنظيم حياتها، كالبشر تماماً

اللغة يمكن التعرف على معارف عالم الحيوان، ونظرته الى الكون، وصراعه مع الطبيعة، ووسائله التي بلغها في التغلب عليها، ولربما يقع للعلم في هذه الدراسات من أسرار وعجائب ما لم يقع له الى اليوم من أسرار وعجائب[٦].

ويوم يبلغ الإنسان من العلم ما يستطيع به الالتحام مع عالم الحيوان، والتفاهم معه، يومئذ يكون الإنسان بحق هو سيد العالم الأرضى، وخليفة الله فيه، وقد أنبأنا النبي {صلى الله عليه وسلم} أن هذا اليوم آت لا ريب فيه، فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أبى سعيد الخدرى أن النبى {صلى الله عليه وسلم} قال (لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس)[٧].

هذا .. ولقد ورد - كما سبق - في القرآن الكريم أسماء بعض أنواع الحيوان الطير والحشرات الإشارة الى قدرة الله الخارقة، حكمته البالغة، وتدبيره العظيم الذى يسع كل شيء في الوجود برحمته، ولتنبيه الأذهان لتتدبر في خلق السموات والأرض، فتزداد ايماناً ويقيناً، وتدرك أن هذا الكون الواسع الذى يعج بالمتضادات من: قوى وضعيف.. وصغير وكبير.. وآكل ومأكول ومسالم وشرس.. انما نظمته يد واحدة، مبسوطة بالعدل، سابغة بالفضل[٨]. وكثيرة هى التعاليم والقيم والحقائق التى يعلمنا اياها القرآن الكريم بأسلوبه الإلهى المؤثر المقنع، وهو يتجول معنا في عالم الحيوان من أصغر مخلوق فيه لا تكاد تراه العيون، حتى أكبرها حجماً وقد كتب أجدادنا المسلمون الكثير عن هذا العالم.. كالجاحظ، والدميرى، والقلقشندى، والنويرى، والعمرى...الخ، وقفوا عنده، وأطالوا الوقوف، مستمدين منه القيم والتعاليم، والطبائع والأسرار، ومروحين على أنفسهم بالمتعة والطرافة والجمال[٩].

وهذه محاولة متواضعة تعرضنا فيها: لعالم الحيوان في آيات القرآن، بقدر ما سمحت به



الطاقة.. وقبل أن نتحدث عن الحيوانات الواردة في آيات القرآن الكريم، نتعرض أولا لتصنيف الحيوانات على أساس النوع.

تصنيف الحيوانات على أساس النوع :

يُعرّف النوع بأنه : مجموعة من الأفراد ذات أصول وصفات مشتركة تعيش في مكان واحد عادة، ومعزولة جنسياً عن الأنواع الأخرى، وتتزاوج فيما بينها لتنجب ذرية لها نفس صفاتها، وقابلة للتزواج والإنجاب[١٠].

وتاريخ علم الحيوان يرجع الفضل في وضع أسس تصنيف المملكة الحيوانية الى العالم السويدي: «لينوس» حيث قسّم المملكة الحيوانية الى: مراتب .. وعوائل .. وأجناس .. وأنواع. وعليه فإن النوع ضمن هذا السياق هو : أصغر وحدة تصنيفية.

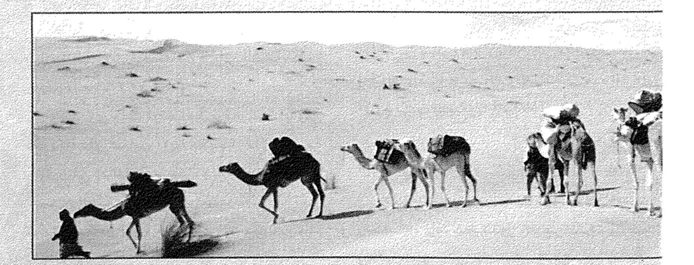
وقد ساهم العرب في وضع أسس التصنيف البيئي للحيوانات، ومن ذلك ما ذكره اخوان الصفا: «والحيوان أربع أقسام: فمنها سكان الهواء وهي أنواع: الطيور أكثرها .. والحشرات جميعها، ومنها سكان الماء، وهو كل حيوان يسبح في الماء كالسمك والضفادع ونحو ذلك، ومنها سكان البر، هي: البهائم والأنعام والسباع، ومنها: سكان التراب والهوام»[١١].

كما أن الجاحظ قد صنّف الحيوانات أيضاً الى أربعة أقسام حيث قال: «والحيوان على أربعة أقسام: شيء يمشي .. وشيء يطير .. وشيء يسبح.. وشيء ينساح»[١٢].

ونبدأ هذه السلسلة من عالم الحيوان بالحديث عن الإبل ..

١ـ الإبل :

الإبل كائنات معجزة من معجزات الخالق العظيم .. وأعجوبة من أعاجيب صنعه وروعة تكوينه، وهي حيوانات تحمل من الأسرار والإعجاز في خلقها ما لا يمكن للمرء أن يتصوره أو يدركه.. وهي بالمقابل مخلوقات تتجسد فيها المقاومة.. ويتمثل فيها الصبر والإرادة.. وقوة التحمل والعنفوان.. والانتصار على شدة الحياة.. وقسوة المناخ.. وعوز الماء والكلأ في مواطن عيشها، ومواقع تنقلها، وفيها أيضاً يتجلى الثراء والخصب والخير لينتفع بها



الناس[١٣]، وهي الى جانب هذا عزٌّ لأهلها وبركة لأصحابها.. فقد قال {صلى الله عليه وسلم}: «الإبل عزٌّ لأهلها»[١٤].

وقيل : ما خلق الله شيئاً من الدواب خيراً من الابل، إن حملت أثقلت.. وإن سارت أبعدت.. وإن حلبت أروت.. وإن نحرت أشبعت.

الإبل في اللغة :

الإبل .. والابل.. لا واحد لها من لفظها، قال الجوهري: هى مؤنثة، لأن أسماء الجموع لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين، والذكر الجمل.. والناقة الأنثى.. والبعير: ما يحمل عليه[١٥].

الإبل في القرآن الكريم :

ورد ذكر الإبل في القرآن الكريم مرتين:

الأولى : في سورة الأنعام عند قوله تعالى: {ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين} (الأنعام/ ١٤٤).

فقد ورد ذكر الإبل في هذه الآية في صدد التشريع الذى أحل لنا الأنعام ننتفع بها في وجوه المنافع المختلفة، فمنها ما يحمل عليه كالبغال، ومنها ما يحمل عليه ويؤكل كالإبل، ومنها ما يؤكل خاصة كالبقر والغنم[١٦].

الثانية : في سورة الغاشية في قوله تعالى: {أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت} (الغاشية/ ١٧ ـ ١٨).

فأنت ترى كيف قرنت الابل برفع السماء، وفي ذلك دلالة على عجيب الإبداع فيها، فالإبل بديعة التكوين في شكلها الجسمانى، ومع قوتها فهى تنقاد للصبى والصغير، والشيخ والكبير، فبوسع اثنين قيادة قطيع من الإبل يبلغ المئات في سهولة، ونظام مثير للإعجاب.

يقول الإمام القرطبى عند تفسيره لقول الله تعالى: {أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت}، «لما ذكر الله تعالى أمر أهل الدارين ـ الجنة والنار ـ تعجب الكفار من ذلك، فكذبوا وأنكروا، ولم يروا الفيلة، فنبههم ـ جل ثناؤه ـ على عظيم من خلقه قد ذلله للصغير يقوده وينيخه وينهضه، ويحمل عليه الثقيل من الحمل وهو بارك، فينهض بثقيل حمله، وليس ذلك في شيء من الحيوان غيره، فأراهم عظيماً من خلقه مسخراً لصغير من خلقه، يدلهم بذلك على توحيده وعظيم قدرته، وعن بعض الحكماء أنه حدث عن البعير وبديع خلقه، وقد نشأ هذا الحكيم في بلاد لا ابل فيها ففكر ثم قال: يوشك أن تكون طويلة الأعناق.

وحين أراد بها أن تكون سفائن البر صبّرها على احتمال العطش، حتى إن ظمأها ليرتفع الى العشر فصاعدا، وجعلها ترعى كل شيء نابت في البرارى والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم.

وقيل : لما ذكر الله السرر المرفوعة قالوا: كيف نصعدها؟ فأنزل الله {أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت}، وبيّن أن الابل تبرك حين يحمل عليها ثم تقوم، فكذلك تلك السرر تتطامن ثم ترتفع.. ويستطرد القرطبي ـ رحمه الله ـ قائلا: والابل أجمع للمنافع من سائر الحيوان، لأن ضروبه أربعة: حلوبة، وركوبه، وأكولة، وحمولة، والابل تحمل هذه الخلال الأربع فكانت النعمة بها أتم [١٧].

الإبل في التاريخ :

إذا كانت الخيل شجاعة وفروسية ونبلا.. وسيفاً وفتحاً.. وإذا كان الثور والبقرة حرثاً ودرساً وغذاء.. وإذا كانت الشياه لحماً ولبناً وملابس، فإن

الابل هي كل ذلك وتزيد، هي هودج التاريخ يتهادى حاملا الحضارة العربية[١٨].

فقد أدت الابل دوراً هاماً في حياة الإنسان العربي بشكل خاص، إلا أن أصل هذا الحيوان يعود الى الجزء الشمالى من القارة الامريكية حيث لا تزال الى اليوم في أمريكا أنواع من الجمال تُعرف باسم «اللاما» وانتقلت الى آسيا وباقى أنحاء العالم عبر الممرات الجليدية بين القارتين والمسماة حالياً بـ «جريدنج» الموجود بين سيبيريا وآلاسكا.

أما استئناس الابل فيشير العلماء بناء على دراسات أثرية الى أنه يعود الى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، حيث تم اكتشاف صورة هجين على ظهرها راكب في خرائب «تل حلف» في العراق.

ولقد ذكر القرآن الكريم ناقة ثمود، حيث دعا النبي «صالح» (عليه السلام) ربه لما طلب قومه أن يخرج لهم ناقة[١٩] من الصخرة، فخلق الله سبحانه لهم ناقة من الصخرة ووليدها فلما كذبوا وقتلوها جاءهم عذاب ربهم وأصبحوا في ديارهم جاثمين.

وكان للنبي {صلى الله عليه وسلم} ناقة يقال لها القصواء، وهي التى هاجر عليها الى المدينة المنورة.. وكانت رباعية، وكانت تسمى الجدعاء والقصباء، وكان في طرف أذنها جدع ولا تُسبق، فلما كان في سنة ست للهجرة سابق رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بين الرواحل فسبق قُعود لأعرابى القصواء فشق ذلك على الصحابة فقال {صلى الله عليه وسلم}: «حق على الله ألا يرفع شيئاً من الدنيا الا وضعه»[٢٠].

هذا .. ولاتزال الابل تنتشر في العالم عامة، وفي البلاد العربية بشكل خاص، حيث تمتلك ٦٠٪ من مجمل احتياطى العالم من الابل، ويعتقد أن استئناس الابل البرية تم في مكان ما من شبه الجزيرة العربية في وادى حضرموت ومنها انتشرت الى العالم[٢١].

أنــواع الابـــل :

هناك نوعان من الجمال في هذا الكون :

النوع الأول : الجمل العربى «وحيد السنام» (DROMEBARY CAMEL).

النوع الثاني : الجمل ذو السنامين (Bactriancaml).

وهما نوعان يتشابهان كثيراً، حتى إن ما يقال عن أحدهما يمكن أن ينطبق الى حد كبير على الآخر، ويقطن الجمل العربي المناطق الصحراوية لشمال افريقيا وشبه الجزيرة العربية، وتم ادخاله كحيوان مستأنس في الهند واستراليا.

أما الجمل ذو السنامين فهو حيوان قوى البنيان يعيش في آسيا شمال جبال الهملايا، وهو يقاوم البرد ولا يتحمل شدة العطش في الصحراء، ولهذا لا يُرى في جزيرة العرب وبادية الشام والعراق الا نادراً، ويكسو هذا الجمل غطاء كثيفٌ من الوبر الذى يسقط عند نهاية فصل الشتاء.

ولقد تم استئناس هذين النوعين منذ فجر التاريخ - كما سبق - واستخدمت الابل في الأغراض المختلفة ومنها: الركوب، وحتى الحراثة، إلا أنها تستخدم في المقام الأول كدواب للنقل، ولمنافع أخرى كالغذاء والكساء والخيام والخباء، ويستطيع الجمل

> الابـل: «إنْ حملتَهُ أثقلتْ.. وإنْ سارتْهُ أبعدتْ.. وإنْ حلبتْهُ أروتْ.. وإنْ نحرتْهُ أشبعتْ»

العربى «وحيد السنام» أن ينقل حملا وزنه (٥٠٠) رطلا لمسافة تبلغ (٤٠) كيلومتر، ولمدة ثلاثة أيام دون أن يشرب قطرة ماء، ولا يقل الجمل «ذو السنامين» في قدرته وقوته عن الجمل العربي.

وتؤكد بعض المصادر أن الجمل العربى هو أكبر وأضخم من الجمل «ذو السنامين» ومما تجدر الإشارة إليه أن الجمال العربية جمال قوية، وبامكانها الارتحال والتنقل الى أماكن بعيدة وعلى ظهورها أحمالا ثقيلة دون أن تستريح لمدة (١٢) ساعة في كل مرة[٢٢].

أسماء الابل وألوانها :

يذكر علماء اللغة للابل أسماء كثيرة ترتبط بعمرها وبيئتها وغير ذلك، والابل ـ كما سبق ـ هي اسم جمع لا واحد لها من لفظها، والذكر الجمل، والناقة الأنثى، والبعير ما يحمل عليه، وهذه بعض أسماء الابل منذ ولادتها حتى شيخوختها ـ ان جاز التعبير ـ

الإبل ذو السنام الواحد يعيش في الصحراء العربية ويتحمل الحر والعطش

ـ ولدها حين يُسل من أمه يقال له «سليل» ثم «سقف» ، و«حُوار» الى سنة وجمعُهُ «أحور» و«حيران».

ـ وهو فصيل اذا فُصل عن أمه.

ـ وفي السنة الثانية «ابن مخاض»، فاذا دخل في الثالثة فهو «ابن لبون» والانثى «بنت لبُون»؛ لأن أمه صارت ذات لبن.

ـ وهو في الرابعة «حقٌّ» ؛ لأنه استحق أن يحمل عليه.

ـ وهو في الخامسة «جذعُ»، وفي السادسة «ثنى» ، وفي السابعة «رباع»، وفي الثامنة «سديس» و«سدس» للذكر والأنثى.

ـ وفي التاسعة «بازل» قال الشاعر :

وابن اللبون اذا ما لُزَّ في قرن
لم يستطع صولة البُزل القناعيس

ثم هو بعدها بسنة «مُخلف عام» و«بازل عام»، ثم «مخلف عامين» و«بازل عامين»، ثم يعود أى: يصير عوداً وهرماً.

قالوا : والقلوص منها كالجارية من الناس، والقعود : كالغلام ، والجمع: قلائص وقعدان، والبَكْر : الفتىُّ، والأنثى : بِكْرة، وقيل : جمل راشُ ، وناقة راشة ورياش اذا كثر الشعر في آذانهما.

ـ وأما أسماء ما يركب منها ويحمل عليه فقد قالوا:

المطية : اسم جامع لكل ما يُمتطى من الابل.. فاذا اختارها الرجل لمركبه لتمام خلقها ونجابتها فهى: راحلة.. فاذا استظهر صاحبها وحمل عليها فهى: زاملة، والناس يقولون في الرجل العاقل الثابت في أموره: رجل زاملة، يريدون بذلك مدحه، فاذا وجهها مع قوم ليختاروا عليها فهى: «عليقة».

وتدل بعض أسماء الابل على صفة فيها، فهم يقولون:

ـ «كهاة» و«جلالة» وهى العظيمة.

ـ و«عُطْموس» و«القيطموس» و«عبله» وهى الحسنة الخلقة التامة الجسم.

ـ و«كوماء» وهى : الطويلة السنام.

- و«جناء» وهى : الشديدة القوية اللحم[٢٣].

أما ما قيل في المسير عليها والنزول للراحة فقد قالوا:

- اذا سار القوم نهاراً، فنزلوا ليلا فذاك «التأويب».
- واذا ساروا ليلا ونهاراً فذاك «الإساد».
- فاذا ساروا من أول الليل فهو : «الإدلاج».
- فاذا ساروا مع الصبح فهو «التغليس».
- فاذا نزلوا للاستراحة في نصف النهار فهو «التغوير».
- فاذا نزلوا في نصف الليل فهو «التعريس»[٢٤].

ألوان الابل :

وأما عن ألوان الابل فهى كالتالي :

بعير أحمر : لم يخالط حمرته شيء.

بعير أورق : أسود يخالط سواده بياض.

بعير أدهم : اشتدت ورقته حتى يذهب البياض الذى فيه.

بعير أشكل : يخالط سواده حمرة أو غبرة.

ناقة جرشية : حمراء.

المَغصَ : البيض من الابل الخالصة البياض.

الآدم : الشديد السمرة، وقيل : الابيض، فإن خالطته حمرة : فهو أصهب.

الأعيس : الذى خالط بياضه شقرة.

الأكهب : من الكهبة، وهى غبرة مشربة سواداً.

الهجان : البيضاء الخالصة اللون.

الأخضر : الذى اغبر حتى يضرب الى الخضرة.

الأكلف : الشديد الحمرة، يخلط حمرته سواد ليس بخالص.

الأسمر : الذى يضرب الى البياض في شهبة.

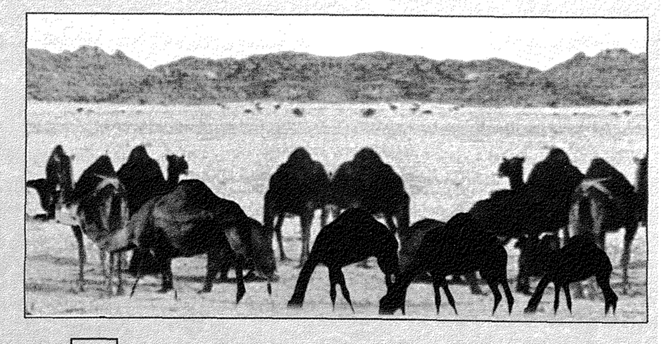
الغيهب : المظلم .

الأحسب : الذى في سواده حمرة أو بياض.

الأصفر : في وجهه حمرة مع بياض صاف[٢٥].

بديع خلق الله في الابل :

عندما خاطب الله عز وجل الانسان بشكل عام،



والعرب بشكل خاص، فإنما أشار الى أحد مخلوقاته الذى عايشه العرب وعايشهم، وعرفوا به وعرف بهم: {أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت}.

وعند التأمل في مختلف أعضاء الابل الخارجية تتضح الملاءمة والانسجام والتناسق والاتساق التام بين شكل كل عضو وتركيبه ووظيفته التى خلق من أجلها، اضافة الى التواؤم الكامل بين التركيب الداخلى والوظيفة أيضاً، وهذا يدل على صدق الآية الكريمة: {إنَّا كُلَّ شيء خلقناهُ بقدر} (القمر/ ٤٩).

أما الملاءمات بين التركيب الخارجي للأعضاء ووظائفها فمدهشة ورائعة، فيها كل الدقة والعظمة والإبداع، والقدرة على الصنع والخلق، فهذه الأعضاء ما خلقها الله بتلك الهيئة العجيبة، وذلك المظهر الخارجى والتراكيب الا لتتلاءم مع الوظائف التى أسندت اليها[٢٦].

فالرأس : ملائم لهيكل الجمل ومنسجم مع شكله وهيئته، كما أن شكله المثلثى يساعده على التخفيف من ضربات العواصف الرملية والحدة من قوة لفحاتها القاسية.

للابل آذان : صغيرة مزودة بوبر كثيف وافر يعمل على حجز الأتربة والرمال.

عيون الابل : كبيرة واسعة تحميها محاجر ضخمة ورموش طويلة تمنع دخول الغبار والرمال والتراب الى داخلها، ولعل الأهداب المتوافرة في الجفن العلوى - بخاصة - في هذه العيون دليل على عناية الله بالابل، فهى تقوم بعملها على أكمل وجه دون أن تحجب الرؤية[٢٧].

أما منخارا الجمل : فهما متحوران الى شقين رفيعين يمكن اغلاقهما في الوقت الذى يشاء، وخصوصاً عند اشتداد الرياح وهبوب الرمال والأتربة، وفي كل فتحة أنف جناح جلدى يمنع الأتربة والرمال من الدخول عند هبوبها، اضافة الى أوبار كثيفة طويلة تسهم في منع الأتربة والرمال من الدخول كذلك، ولولا عناية الله لامتلأت الأجهزة التنفسية بالرمال والتراب، ولتعطلت وظائفها الحيوية[٢٨].

شفاه الابل : مغطاة بأوبار لمسية ناعمة والشفة العليا مشقوقة طولياً في وسطها، وهى حساسة جداً وقابلة للمط، وتستطيع الامساك بالمواد العلفية وأغصان الأشجار والشجيرات بسهولة، أما الشفة السفلى فمتدلاة في الأحوال كافة، تحول الأوبار في الشفاة دون أن تؤذيها بالنباتات الشوكية.

قوائم الجمل : قوية صلبة طويلة تلائم سهولة الخطو أثناء السير، وهى رفيعة الشكل، فلو كانت غليظة البنيان لعاقت سير الجمل، ولتحرك حركة خفيفة عند عدوه أو سيره، وهكذا نجد أن الجمل يسير بخطى واسعة وبأقل عدد من ضربات الأرجل في الرمال.

قوائم الابل : الأمامية قوية وتحمل حوالى ٦٥٪ من وزن الجسم.

صدر الجمل : الزورقى الشكل يمنحه القدرة على مواجهة عواصف الرمال الصحراوية ، والسير بأمان فوق الرمال، كما أنه يسهل حركته وبسرعة أكثر لاسيما حين يواجه الرياح، والجدير بالذكر أن الجمل يسير مع الريح وبعكس اتجاه الريح.

الوسائد : الموجودة المقترنة أسفل الصدر وفي مناطق من القوائم لها فائدة كبرى في حماية الجمل من الجروح أثناء احتكاكاته بالأحجار والصخور الأرضية.

ذَنَب الجمل : قصير يخلو من الوبر عدا صف

واضح في أسفل الجهة الأنسية، وصف غير واضح في أسفل الجهة الوحشية، وتفيد هذه الأوبار في وقاية الجمل في منطقة الكفل وحماية أعضائه التناسلية من أذى الرمال العاصفة الشديدة الحرارة[٢٩].

أقدام الجمل : منبسطة في صورة خفاف تمكنه من السير فوق الرمال الناعمة.

الإبل : خصائص ومميزات :

تتمتع الابل بمزايا وخصائص نادرة لا تمتلكها بقية الحيوانات الأخرى مما جعلها معجزة من معجزات الله الخالق القادر على كل شيء.. فكل شيء في الجمل.. وكل مظاهره الخارجية والداخلية وفيزيولوجيتها تبين أن الجمل خلق للصحراء، ومن هذه الخصائص والمميزات ما يلي :

- يستطيع الجمل أن يسير بأثقاله دون تذمر.. يقطع الصحراء متحملا وطأة الجوع وشدة العطش، وقد خصه الله بذلك لأنه أوتى من القدرة على تحمل الظروف البيئية الصعبة مالم يؤته حيوان غيره[٣٠].

- في استطاعة الجمل التغذى على النباتات الشوكية التى لا تنمو الا حيث يوجد الجمل في البيئات الجافة وشديدة الجفاف.

- للابل حاسة شم قوية تميز بها غذاءها وماءها، ولقد ثبت أن لتجويفاتها الأنفية دوراً في تبريد الهواء والاحتفاظ بحرارة أجسامها.

أما عن كيفية تنظيم حرارة الجسم، فهى من المسائل المهمة التى تستحق الوقوف أمامها طويلا، حيث يستطيع الجمل التحكم في حرارة جسمه فيرفعها ويخفضها لغاية (١٢) مئوية، فعندما تكون حرارة الصحراء (٥٠) درجة يستطيع الجمل أن يجعلها (٣٨) درجة مئوية، وبنفس الآلية يرفع حرارة جسمه ليلا عندما تنخفض درجة الحرارة، ويستخدم الجمل طريقة توازن الحرارة هذه خاصة في وقت الظمأ، فإذا كان الجمل مرتوياً فلا يتجاوز تفاوت الحرارة أكثر من درجتين مئويتين، أما عندما يعطش الحيوان فتزداد هذه الفروق وتكون نتيجة هذا التفاوت الكبير في درجة الحرارة زيادة سعة الجسم في اختزان الحرارة فلا يضطر الجمل للتعرق إلا إذا تجاوزت حرارة جسمه (٤١) درجة، وهذا نادر الحصول في الحالات العادية، وإذا حصل ففي فترة قصيرة من النهار، أما في المساء فإن الجمل يتخلص من الحرارة التى اختزنها بالإشعاع ويوصلها الى الجو المحيط به دون فقدان الماء عن طريق العرق فيحافظ الجمل على حرارة جسمه ثابتة، ويساعد على ذلك رقة الطبقة الدهنية في سنام الجمل، الأمر الذى يجعل الأوعية الدموية قريبة من السطح الخارجي للحيوان مما يسمح باشعاع حرارة الدم ونقلها للجو المحيط[٣١].

- تتحمل الابل الجوع والعطش الى درجة الغرابة.. أما صبرها على الجوع فعجيبة من الأعاجيب، فهي حيوانات شبه مجترة كما صنفها علماء تغذية الحيوان وهي

> **في حال ارتفاع درجة البرودة في الصحراء فإن الجمل يمكن أن يصبر على الماء سبعة أشهر**

الدهون في سنام الجمل مخزون غذائي له عند الحاجة

قادرة على تخزين كميات كبيرة من الدهن يمكن أن يستخدم في حال نقص الغذاء والماء، وهذه خاصية مهمة تُعدُ عطاء وحماية من الإله القدير لهذه المخلوقات[٣٢].

أسرار إلهية وراء صبر الابل على الظمأ :

من المعروف أن البيئة المحيطة .. وسن الجمل .. وفصيلته.. ودرجة حرارة الجو.. والمناخ والغذاء.. وغير ذلك، كلها عوامل تؤثر في احتياجات الجمل للماء، وقد تبين أن الجمال الصومالية تشرب الماء مرة واحدة في فترة تتراوح بين (٣ ـ ٧) أيام، وتبين أن الابل لا تشرب الماء اطلاقاً خلال ستة أو سبعة أشهر إذا كان المناخ بارداً في الصحراء، حيث تعتمد اعتماداً كلياً على الغذاء الذى تاكله وما يحويه الغذاء أو الكلأ من ماء، فنسبة الرطوبة في الأعلاف والأغذية التى تاكلها الابل تؤدي دوراً في صبر الابل على الظمأ، إذ فيها غناء عن الماء.

ومن الشواهد على صبر الابل على العطش ما يلي :

ـ تمكنت الابل من السير في الصحارى الصومالية ثمانية أيام لم تشرب خلالها قطرة ماء!!.

ـ كما قامت الجمال برحلة شمالى استراليا قطعت خلالها (٣٧) ميلا لم تقترب فيها من الماء طيلة مدة (٣٤) يوماً، وقد ماتت معظم الجمال في الرحلة الثانية، بيد أن عدداً منها استطاع البقاء على قيد الحياة برعيه النباتات الرطبة الغضة الطرية[٣٣].

ولكن : ما هو سر صبر الابل على الظمأ؟!

ذكرت المصادر العلمية آراء واحتمالات كثيرة تُفسر صبر الابل على الظمأ، ومن هذه الآراء والاحتمالات ما يلى :

١ ـ احتواء كروش الابل على جيوب مائية تحتوى على ما مقداره (٥ ـ ٧) لترات ماء، وتعتبر مصدراً مهماً يمد الجمل بالماء وقت الحاجة.

٢ ـ أما الاحتمال الثاني : فيتعلق بالسنام الذى يعدُ مخزناً احتياطياً يستخدمه الجمل ليس فقط في حال نقص الغذاء وحسب، بل يستخدمه في توفير الماء عند نقصه، فهو مخزن للماء بما يحويه من دهون، وعن طريق احتراق هذه الدهون تنتج طاقة يستخدمها الجمل ذاته، حينما يقلُ الغذاء يحصل الجمل على الماء الناتج عن أكسدة هذه الدهون، وهو الماء المسمى بماء الاستقلاب الناتج من التفاعلات الكيميائية داخل الجسم.

٣ ـ الاحتمال الثالث : في صبر الابل على الظمأ، ففيه يذكر العلماء أن الابل تستطيع التحكم في حرارة أجسامها ـ كما سبق.

٤ ـ الاحتمال الرابع : وهو جدير بالملاحظة، يقول الباحثون: إن عدد مرات التنفس عند الابل هو قليل نسبياً مقارنة مع الحيوانات المستأنسة الأخرى، اضافة الى أن هذه المخلوقات لا تتنفس من أفواهها، ولا تلهث أبداً مهما اشتد الحر أو استبد بها

العطش، فهي بهذا تتجنب تبخّر الماء من هذا السبيل.

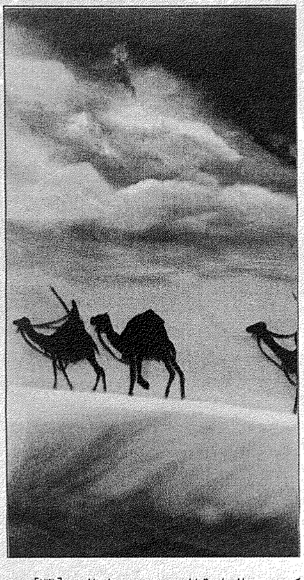
٥ - أما الاحتمال الخامس : فهو يركز على الجهاز البولى في الابل، وخاصة الكليتين في مقاومة الابل للعطش، وفي صبرها على الظمأ، فكُلية الجمل تأخذ الماء من البول لتدفعه من جديد الى الدم.

هذا ... وبمقدور الجمل الاستفادة من أى نوع من أنواع المياه وشربها، سواء أكانت آسنة، أم مالحة، أم عذبة، أم مُرة، ويعود ذلك الى التكوين التشريحى والفيزيولوجى للكلى ومقدرتها على طرح هذه الكميات الكبيرة منها[٣٤].

٦ - الاحتمال السادس : مضمونه أن دم الابل يستطيع الاحتفاظ بالرطوبة بنسبة أكثر من الحيوانات الأخرى، ويساعده على ذلك شكل الكريات الحمراء حيث تكون هذه الكريات بيضوية الشكل عند الابل وقرصية الشكل عند الحيوانات الأخرى، وهذه الكريات تقاوم الانفجار عندما يشرب الجمل كمية كبيرة من الماء بعد أن يعطش لفترة طويلة، وهذه ناحية فيزيولوجية مهمة تجعل الجمل يتأقلم مع ظروف العطش الشديد[٣٥].

٧ - الاحتمال السابع : مؤداه أن الجمل لا يحتفظ بالماء المدخر في معدته ولا في سنامه (فى صورة دهن قابل للاحتراق) وانما هو يحتفظ بالماء موزعاً في أنسجة جسمه كافة، وفي كل عضو فيه.

٨ - الاحتمال الثامن : كذلك يفيد أن الابل لا تعتمد على احتياطى السنام من الماء فقط، بل يمكن للابل أن تمتص الرطوبة من الهواء في أثناء التنفس، وذلك بفضل البنية الخاصة للجهاز التنفسى، وخصوصاً الانف، حيث يستطيع الاحتفاظ بنسبة كبيرة من الرطوبة الموجودة في هواء الزفير[٣٦].



طباع وصفات :

تمتاز الابل بطباع غريبة، وسلوكيات فريدة قلما نجدها في حيوانات أهلية أخرى غيرها.

- فولد الناقة عزيز عليها، حتى أنها عندما تفقده تحزن عليه.

- كما أنها ترفض أن يرضعها غير مولودها، وهذا منتهى العطف والحنان.

- من طباعها حُسن الألفة ، وصدق الصحبة،

والحنين الى الوطن، والتوق الى المرابع ومراتع الرعى والمعيشة.

- ومن خصالها الطاعة والانصياع بسهولة حتى قيل: إن قطاراً من الجمال كان بيعض حبله دهن، فمرت فأرة فجذبته فسار معها القطار بواسطة جذبها له[٣٧].

- ومن طباعها الغيرة على الإناث، وكذلك الحياء حتى عند نزو الذكر على أنثاه، لدرجة أن الجمل يخلو في البرارى حالة النزو، وهو الحيوان الوحيد الذى يصل به الخجل الى التوقف عن مضاجعة أنثاه إذا وجد أن هناك عيناً ترقبه.

- وفي الجمل من كرم الطبع أنه لا ينزو على أمهاته ولا أخواته، ومتى حمل على أن يفعل حقد على من ألزمه ذلك، وربما قتله، حتى قيل: إن بعض العرب ستر ناقته بثوبه ثم أرسل عليها ولدها، فلما عرف ذلك عمد الى احليله فأكله ، وحقد على صاحبه حتى قتله[٣٨].

- وفي طبع الجمل الاهتداء بالنجم، ومعرفة الطرق، والغيرة الصولة، والصبر على الحمل الثقيل وعلى العطش والجوع - كما سبق.

- تميل الابل الى شرب المياه الكدرة الغليظة، وهى إذا وردت ماء الانهار حركته بأرجلها حتى يتكدر، وهى من عشاق الشمس، وتتعرف على النبات المسموم بالشم من مرة واحدة فتتجنبه عند رعيه.

- من الطباع التى تميز الابل بعامة: أنها تسير وراء قائدها بكل طواعية واذعان وقبول، وخير ما يمثل ذلك الجمال ذات السنامين، إذ لوحظ أن الجمال البرية من هذا النوع في صحراء جوبى تكون نشيطة أثناء النهار، وتتحد مع بعضها البعض في مجموعات كل منها يتكون من (٦) أفراد بينها ذكر واحد وباقى الأفراد من الاناث.

- مشية الابل تكون متمايلة متأرجحة مميزة، وذات خطى واسعة مما ينتج عن ذلك أن الأرجل الأمامية والخلفية في الجهتين اليمنى واليسرى تتحرك كل منهما معاً على جانب واحد، ولا يماثل الابل في سيرها هذا من الحيوانات إلا الزرافة، ومن هنا نجد أن راكب الجمل بسبب هذه المشيه المميزة يصيبه نوع من الدوار أو الصداع أثناء ركوب الجمل، وبخاصة اذا امتطى هذا الحيوان لأول مرة، أو اذا لم يكن قد مارس ركوب الابل من قبل[٣٩].

- من صفات الجمل الجيد أن يكون ذا عينين برّاقتين، وأذنين صلبتين، وسنام أملس مستدير رأسى الوضع أو مائله قليلا لإحدى الجهتين[٤٠].

أبوال الإبل وألبانها .. شفاء!.

لقد بينت السنة المطهرة أن أبوال الابل وألبانها تُصلح الأبدان، وتُشفى من السقم، فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : «أن ناسا اجتووا[٤١] في المدينة فأمرهم النبي {صلى الله عليه وسلم} أن يلحقوا براعيه يعني الإبل فيشربوا من ألبانها وأبوالها فلحقوا براعيه فشربوا من ألبانها وأبوالها حتى صلحت أبدانهم»[٤٢].

قال المناوى في *الفيض* : (عليكم بأبوال الإبل أي تداووا بها في المرض الملائم لذلك.. فإنها ترعى في المراعي الزكية الطيبة فيتولد لها لبن صالح، قال ابن العربي لا يمتنع أن تكون ألبان الإبل وأبوالها دواء في بعض الأحوال لبعض الأمراض لبعض الأشخاص في بعض البلدان وقد قالوا إن أصلح

اللبن لبن النساء ثم لبن الأتن ثم لبن الإبل ثم لبن المعز ثم البقر ثم الضأن وهو أغلظها ولا يمنع من ذكر الترتيب بقياس التجربة الطبية هذا الحديث لأنه إنما أشار على الأعراب باللبن لأنهم نشؤوا عليه فوافق أبدانهم والمعول عليه أن الألبان تختلف باختلاف الحيوان والأبدان والأهوية والأزمنة والمراعي والأقطار، وأما البول فإنما دلهم عليه لما فيه من الحرافة وفيه نفع لداء البطن سيما الاستسقاء)[٤٣].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «إن في أبوال الإبل شفاء للذربة[٤٤] بطونهم»[٤٤].

هذا .. ومادام النبي {صلى الله عليه وسلم} قد بين أن ألبان الابل وأبوالها تُصلح الأبدان، وتُشفى الأمراض، فالمسلم حسن الإسلام والاستسلام لله ولهديه لا يسعه إلا التسليم حتى لو كان الهدى مخالفاً لهوى النفس، مُرجئاً أمر الحكمة والفائدة والمصلحة لعلام الغيوب.

والعلم يُقرر :

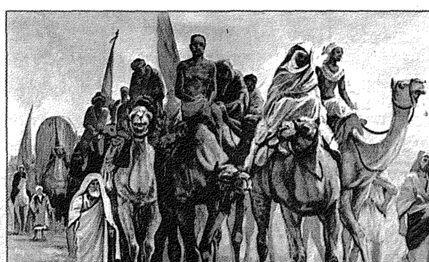
لقد أثبت العلم الحديث أن في ألبان الابل مركبات ذات طبيعة بروتينية كمضادات التخثر، ومضادات التسمم، ومضادات التجرثم، والأجسام المانعة.. وغيرها، وصفة مقاومة التجرثم هذه مهمة جدا في ألبان الابل، فخلال فترة محددة من الزمن تمنع هذه الأجسام تكاثر الأحياء الدقيقة فى اللبن، لذا فهو لا يتجبن، وبسبب ارتفاع مقدرته على مقاومة التجرثم فإن الحموضة لا تسرع اليه، حيث يستطيع المحافظة على حموضته الطبيعية لمدة ٢٤ ساعة، في الوقت الذى لا يحافظ فيه لبن الأبقار على حموضته الطبيعية لأكثر من ٦ ساعات حيث يتجبن بعدها، فصفة مقاومة التجرثم في ألبان الابل من الصفات الممتازة القيمة لأنها تسمح بتحديد مدة حفظه وتصنيعه، وهذا كله يوضح أن الابل كحيوانات للألبان تفضل عن الأبقار وغيرها من الحيوانات الأقتصادية في مناطق الرعى الجافة.

(الماء هو الروح.. واللبن هو الحياة) فتلك هي حكمة البدو في الصحراء

وبشكل عام فإن لبن الابل عادة ما يكون ذا لون أبيض ناصع، وطعم حلو مائل الى الملوحة، وهذا يعتمد على نوع الغذاء الذى تناولته الابل، إلا أنه غالباً ما يعتبر ذا مذاق حاد ومالح الطعم، وهو ذو قوام سميك.

ويتميز لبن الابل بارتفاع كمية الدهن والبروتين والمكونات الأخرى، وهذا دليل على القيمة الغذائية المرتفعة لهذا اللبن، ومن أهم الخصائص لألبان الابل كمية الماء فيه، فقد برهن الباحثان: (ياجيل واتزيون) على أن نسبة الماء فيه تصل الى ٨٦٪ عند توافر ماء الشرب، وترتفع هذه النسبة الى ٩١٪ عندما يشح الماء[٤٦].

ويُعد لبن الناقة مصدراً غنياً بـ «فيتامين ج» أو ما يسمى بحمض الاسكوربيك، وهذا الأمر مهم جداً من الناحية الغذائية للإنسان في المناطق التى تندر فيها الفواكه والخضر، والتى تحتوى على هذا الفيتامين، ولهذا ينصح باعطاء هذا اللبن للنساء الحوامل والمرضعات وللمصابين بالزكام وبعض



الناقة الحلوب يوفر الغذاء الكامل لصغارها وللانسان أيضاً، ففى جميع البلاد التى تربى فيها الابل يستهلك لبن الناقة طازجاً أو ممزوجاً مع ألبان الأبقار أو النعاج أو الماعز، وذلك لتحسين مذاقه، وفي روسيا وبخاصة في المناطق الشاسعة الجافة الواقعة بين بحر قزوين وبحيرة بلاكاش تقوم الابل بدور كبير الأهمية في تغذية الانسان، ففى كازاخستان تساهم الألبان ومنتجات الألبان بنسبة ٩٠٪ من الغذاء الأساسى اليومى للسكان، وتعد الابل أهم مصدر للبن في هذه المنطقة، ويليه ألبان الحيوانات الأخرى.

وليس غريباً أن نلاحظ ازدياد أعداد المسنين والمعمرين في مثل هذه المنطقة من روسيا، ويقال: إن بعض هؤلاء الناس كانوا يتناولون لبن الابل في غذائهم[٤٧].

وفي مناطق شمال كينيا يعيش الرعاة على لبن الناقة كلياً، أما في الجزائر فيعتمد البدو في الصحراء الكبرى على اللبن في الحصول على غذاء متوازن، وعند هذه القبائل مثل يقول: «الماء هو الروح واللبن هو الحياة».

وتُعد ألبان الابل الى جانب ألبان الحيوانات الأخرى المصدر الرئيسى لغذائهم، وفي المملكة العربية السعودية زاد الاهتمام بتربية الابل في الآونة الأخيرة زيادة ملحوظة، وتبين من خلال البحوث التى أجريت هناك أن البدو البالغين كان لديهم أعلى معدل من : اللاكتاز في أمعائهم، ومن المعتقد أن هذا الأمر

الأمراض التنفسية الأخرى، وكذلك لمرضى الاسقربوط، الذى تتجلى أعراضه في تورم اللثة ونزيف الدم منها.

كما قد وجد أن فيتامين (ج) في لبن الناقة يتراوح بين ٧ و ٥٪ و ٨ و ٩٪ ملليجرام. ومع تقدم فترة الادرار يزداد محتوى فيتامين (ج) وتبلغ معدلات فيتامين (ج) في لبن الناقة ثلاثة أمثالها فى لبن الأبقار، ومرة ونصف معدلها في لبن النساء، ويوجد في لبن الناقة معدلات لا بأس بها من فيتامينات (ب١ ، ب٢ ، ب١٢) وفيتامين (أ) ونسبة من الكاروتين.

الابل ذو السنامين يعيش فى المناطق الباردة ولا يتحمل الحر ولا العطش

وفي فرنسا أثبتت الأبحاث أن ما يتراوح بين ٤ إلى ٥ كجم من لبن الناقة ومنتجاته يكفى لتلبية جميع احتياجات الانسان من السعرات الحرارية والدهون والبروتين والكالسيوم.

واللبن الذى تنتجه

يرتبط بمدى سيولة لبن الابل وقيمته الحرارية، كما بين الدور المهم لهذا اللبن في المحافظة على حياة سكان الصحراء[٤٨].

وفي الهند يستخدم لبن الابل لعلاج الاستسقاء واليرقان ومتاعب الطحال والسل والربو والبواسير، وقد أنشئت عيادات خاصة يستخدم فيها لبن الابل لمثل هذه المعالجات، كما أفادت الابحاث العلمية أن وظائف الكبد تتحسن كثيراً في المرضى الذين أصيبوا بالتهابات الكبد، وذلك بعد علاجهم بلبن الابل الذى ثبتت فاعليته في العلاج.

هذا .. وقد وضّحت بعض البحوث أن لهذا اللبن خصائص تؤدى الى تخفيف الوزن، كما أنه سهل الهضم في الجسم، كذلك يعطى لبن الابل للمرضى والشيوخ والأطفال والنساء الحوامل نظراً لغنى تركيب هذا اللبن بالمواد الغذائية التى سلف ذكرها، وبخاصة الحموض الدهنية غير المشبعة والمواد البروتينة والفيتامينات، ولأن الدراسات أثبتت أن هذا اللبن مفيد للصحة، وفي تكوين العظام، فسبحان الذى أحسن كل شيء خلقه[٤٩].

وماذا عن لحوم الابل ؟!

لحوم الابل تتميز عن اللحوم التقليدية للحيوانات الاقتصادية الأخرى كالبقر والغنم بميزتين هما:

١ ـ قلة موادها الدهنية.

٢ ـ ارتفاع نسبة المياه فيها.

حيث تتراوح نسبة المواد الدهنية في لحوم الابل ما بين ٢ر١٪ الى ٨ر١٪، بينما تتراوح في لحوم البقر مثلا بين : ٤٪ الى ٨٪ .. كذلك يشكل الماء في لحوم الابل نسبة: ٧٨٪ مقارنة بلحم البقر.

كما أن لحوم الإبل غنية بالبروتينات ، حيث تصل نسبتها إلى ١٩٪ ، وأيضا بالعناصر المعدنية، وهذا يعني أن استهلال لحوم الإبل بدلا من لحوم الحيوانات الأخرى لا يقلل فقط من نسبة الدهون، بل يؤدى الى التقليل من استهلاك الأحماض المشبعة التى يعتقد أن لها صلة بأمراض القلب[٥٠].

أمراض الابل وطرائق علاجها :

الجرب أشهر الامراض التى تصيب الابل، ولا أحد يجهل هذا الداء، وهو يحصل من حيوانات طفيلية تعيش في أجزاء من الجلد السطحية، وتنتقل الى الانسان، وكثير من الدواجن ، والحمير ويداوى هذا الجرب بغسل الأعضاء الجرباء بالماء الفاتر والصابون، ومتى جف تُدلك بخليط من القطران وزيت الزيتون والنسرين ومسحوق الكبريت بمقادير متساوية[٥١].

الوضوء من لحم الابل وحكمه !!

هل إذا أكل الانسان لحوم الابل يتوضأ .. أم لا ؟.

روى الامام مسلم ـ رحمه الله ـ أن رجلا سأل النبي (صلى الله عليه وسلم) أأتوضأ من لحوم الغنم ؟

قال : إن شئت، وان شئت فلا تتوضأ.

قال الرجل : أأتوضأ من لحوم الابل ؟

قال : نعم ، توضأ من لحوم الابل.

قال الرجل : أأصلى في مرابض الغنم ؟ قال : نعم.

قال الرجل : أأصلى في مبارك الابل ؟ قال : لا [٥٢].

الجـزيرة العـربيـة تمـتلك ٦٠٪ من مجموع الإبـل في العـالم

وروى أيضا : «انما الوضوء مما مست النار، توضأوا مما مست النار»[٥٣].

وروى أبو داود عن جابر - رضي الله عنه - كان آخر الأمرين من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ترك الوضوء مما مست النار»[٥٤].

- ذهب أكثر العلماء الى أن أكل لحوم الابل لا ينقض الوضوء.

قال النووى : وممن ذهب الى ذلك الخلفاء الأربعة وابن مسعود وأبيّ بن كعب وابن عباس وجماهير من التابعين، ومالك وأبو حنيفة والشافعى وأصحابهم محتجين بحديث جابر السابق.. وهو عام يشمل لحوم الابل وغيرها.

- وذهب أحمد واسحاق بن راهويه ويحى بن يحى وأبو بكر بن المنذر وابن خزيمة، وحُكى عن أصحاب الحديث وعن جماعة من الصحابة الى انتقاض الوضوء بأكل لحوم الابل اعتماداً على الحديثين الأولين.

- والجمع بين أمر النبى {صلى الله عليه وسلم} بالوضوء بأكل لحوم الابل وما كان عليه في آخر الأمر من ترك الوضوء مما مسته النار - هذا الجمع فيه كلام كثير - وقد رأى بعض العلماء أن الأمر بالوضوء يراد به غسل اليدين، أى : الوضوء اللغوى، وان كان هذا الرأى فيه مناقشة عند ايراده للجمع بين الوضوء وعدمه.

والمختار : هو رأى الجمهور من عدم نقض الوضوء بأكل لحوم الابل ومما مسته النار[٥٥].

من فوائد الابل :

استخدمها الانسان وسائل للنقل وحمل الاثقال، وبخاصة في البيئات الصعبة الوعرة، والأماكن التى لا تستطيع وسائل النقل الأخرى الوصول اليها، قال تعالى : {وتحملُ أثقالكُم إلى بلد لَّم تكُونُوا بالغيه إلا بشقّ الأنفُس إنَّ ربَّكُم لرءُوفٌ رحيمٌ} (النحل/ ٧).

كما استخدم الانسان جلود الأنواع الحيوانية - ومنها الابل - المختلفة وأصوافها وأوبارها وأشعارها في صناعة الأثاث والملابس وصنع الأحذية وأدوات الزينة، قال تعالى: {ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعاً إلى حين} (النحل/ ٨٠).

- من فوائد الابل أيضاً أنهم ينقون بمسحوق عظامها السكر، ويضيفونها الى غذاء الطيور.

- يقول الدميري : «كل الحيوان له مرارة الا الابل، ولذلك كثر صبرها وانقادت، وكنى الجمل بأبى أيوب، وانما توجد على كبدها شيء يشبه المرارة، وهى جلدة فيها لعاب يكتحل به فينفع من العشا العتيق، واذا أحرق وبر الابل وذرَّ على الدم السائل قطعه، واذا شرب السكران من بول الابل أفاق من ساعته»[٥٦].

خلق الله عز وجل الأنواع الحيوانية - ومنها الابل - وما تمتاز به من جمال وروعة وقوة تحمل وابداع، وجعلها مجالا واسعاً رحباً للتفكير في عظمة خلقه وقدرتة ■

الهوامش :

(١) مجلة منار الإسلام، العدد ٢ السنة ٢٥، ص ٣٤.

(٢، ٣) مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٣٤٨، ص ٦٦ ـ ٦٧.

(٤، ٥، ٦) حياة الحيوان كما صورها القرآن، د/ محمد أمين عثمان، مجلة الوعى الإسلامي، العدد ٣٤٨، ص ٦٦.

(٧) أحمد في المسند: ٨٣/٣، وهو في السلسلة الصحيحة برقم ١٢٢.

(٨) سلسلة القصص القرآني ٨٥/١٧.

(٩) مع عالم الحيوان في كتاب الله. د/ عماد الدين خليل، مجلة منار الإسلام، العدد ٩، السنة ٤، أغسطس ١٩٧٩م، ص ١٧.

(١٠) مجلة المنهل: العدد ٥٢٤، ص ٤٠.

(١١) مروج الذهب : ٤/٢ ـ ٥، وانظر السابق.

(١٢) مجلة المنهل : العدد ٥٢٤، ص ٤٠.

(١٣) مجلة الوعى الاسلامى، العدد ٤٢٢، ص ٦٢.

(١٤) الحديث أخرجه ابن ماجة في السنن ٧٧٣/٢ رقم ٢٣٠٥، والطبراني في الكبير ١٥٦/١٧ رقم ٤٠٤، والبخارى في الأدب المفرد ٢٠٢/١ رقم ٧٥٣.

(١٥) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ٣٥/٢٠، ط/دار الشعب، لسان العرب ٣٣/١١ ط/دار صادر بيروت.

(١٦) سلسلة القصص القرآني ٨٦/١٧.

(١٧) تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) ٣٥/٢٠، ط/دار الشعب.

(١٨) مجلة العربى العدد ٤٢٠، ص ١٢٦ نوفمبر ١٩٩٣م.

(١٩) وردت كلمة (ناقة) في القرآن الكريم سبع مرات على النحو التالي : (سورة الاعراف/٧٣، ٧٧ ـ سورة هود/٦٤ ـ سورة الاسراء/٥٩ ـ سورة الشعراء/١٥٥ ـ سورة القمر/٧١ ـ سورة الشمس/١٣).

(٢٠) احمد في المسند: ١٠٣/٣، برقم ١٢٠٣٠، الزهد لابن أبى عاصم: ٣٨/١، فتح الباري ٣٤١/١١.

(٢١) الابل والتكيف مع الصحراء، د/عواد جاسم الجدى، مجلة الوعى الاسلامى العدد ٣٥٧، ص ٤٢.

(٢٢) المجلة العربية، العدد ٢٩٧، ص ١١٠.

(٢٣، ٢٤، ٢٥) مجلة الفيصل العدد ٢٨١، ص ٣٤ ـ ٣٥.

(٢٦، ٢٧، ٢٨) مجلة الوعى الاسلامي: العدد ٣٥٧، ص ٤٣.

(٢٩) مجلة الوعى الاسلامى: العدد ٣٥٧، ص ٤٣، والعدد ٤٢٢، ص ٦٢.

(٣٠، ٣١، ٣٢) مجلة الوعى الاسلامى، العدد ٣٥٧، ص ٤٣، والعدد ٤٢٢، ص ٦٢.

(٣٣) المجلة العربية ، العدد ٢٩٨، ص ١١١.

(٣٤، ٣٥، ٣٦) الابل والتكيف مع حياة الصحراء، د/ عواد الجدى، مجلة الوعى الاسلامى، العدد ٣٥٧، ص ٤٣.

(٣٧، ٣٨) المستطرف : ٣٨٩.

(٣٩) المجلة العربية : العدد ٢٩٨، ص ١١١.

(٤٠) مجلة الفيصل، العدد ٢٨١، ص ٣٥.

(٤١) اجتووا أي أصابهم الجوى وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول، ويقال اجتويْتُ البلد إذا كرهت المقام فيه (النهاية في غريب الحديث ٣١٣/١).

(٤٢) البخاري : ٥٣٦٢.

(٤٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٤٥٣/٤.

(٤٤) الذربة : «قال الزمخشري الذرب فساد المعدة وقال ابن الأثير: الذرب بالتحريك داء يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام ويفسد فيها فلا تمسكه»، فيض القدير: ٤٥٣/٤.

(٤٥) أورده الحافظ في الفتح : (١٤٩/١٠).

(٤٦) مجلة العربي : ٤٥٣، ص ٩٢.

(٤٧، ٤٨، ٤٩) ثورات في الطب والعلوم، كتاب العربي، ط وزارة الاعلام الكويت، ص ٢١١ ـ ٢١٧.

(٥٠) مجلة العربي : العدد ٤٤٢، ص ٦٣.

(٥١) مجلة الفيصل : العدد ٢٨١، ص ٣٨.

(٥٢) مسلم : ٣٦٠.

(٥٣) مسلم : ٣٥١.

(٥٤) أبو داود : ١٩٢ وصححه الالباني.

(٥٥) مجلة منبر الاسلام، العدد ٥٩، ص ١٣٨، فتوى للشيخ عطية صقر رئيس لجنة الفتوى بالأزهر.

(٥٦) حياة الحيوان : ٢٦/١.



الفرق بين التصحيف والتحريف

٣٩

□ الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد ومن والاه، ومن أراد لهذه الأمة التيقظ والانتباه.. وبعد: يكتب طلاب الدراسات العليا رسائلهم الجامعية فيجدون في بعض الكتب التي يستقون منها معلوماتهم اختلافا في الكلمات فلا يفرقون بين التصحيف والتحريف لذا - وحتى يتخلص الإنسان من الإشكال - يستحسن أن يقول إذا وجد مالا يرضاه - الكلمة في الكتاب كذا وهو خطأ، ولا يقول هذا تصحيف أو تحريف؛ لأنه قد لا يفرق بينهما - واكثر ما يكون هذا في المخطوطات، لذا أحببت أن أنقل للطلاب الفرق بينهما فاقول:

قال د/ عبد الوهاب أبو سليمان في كتابه تحقيق التراث: ومعنى التصحيف: الخطأ في الصحيفة، ويريد اللغويون من قولهم الخطأ في الصحيفة، الخطأ في قراءتها، ومن هنا سمي من يخطأ في قراءة الصحيفة (صحفيا) بفتح أوله وثانيه، ثم اتسع في اللغة فسمي الخطأ في الكتابة تصحيفا أيضا، ومن هنا قال في المعجم الوسيط، صحف الكلمة، كتبها، أو قرأها على غير صحتها، لاشتباه في الحروف[١].

وبعضهم خلط بين التصحيف والتحريف فلا يجعل بينهما فرقا، وبعضهم ذهب إلى التفريق بينهما، فجعل مجال التصحيف هو الخطأ في زيادة النقط ونقصانها، وجعل مجال التحريف الخطأ في تغيير الحرف إلى حرف آخر.

وممن ذكر هذا الفرق بين التصحيف والتحريف ابن حجر في شرح نخبة الفكر[٢] قال: وإن كانت المخالفة بتغيير حرف، أو حروف مع بقاء صورة الخط في السياق، فإن كان ذلك بالنسبة الى النقط فالمصَحَّف، وإن كان بالنسبة إلى الشكل فالمحَرَّف، ويعني ابن حجر بالشكل هنا هيأة الحرف لا حركاته، ذلك أن التغيير في الشكل (الحركة) يصطلح عليه غالبا بالخطأ.

(قلت) الذي رأيته يخالف ما قاله ابن حجر. والله أعلم.

وقد شاع التصحيف عند القدامى شيوعا بارزا، فقد وقع فيه جماعة من الأجلاء من أئمة اللغة والحديث، حتى قال الإمام أحمد بن حنبل:

ومن يعرى من الخطأ والتصحيف.

ومثل في تفسير ابن كثير للتصحيف فقال: وعن نوف البكالي أنه قال: كان نمل سليمان أمثال الذياب (يقصد الذئاب)[٣] هكذا رأيته مضبوطا بالياء المثناة من تحت، وإنما هو بالباء الموحدة (الذباب) وذلك تصحيف[٤].

وفي الفروع لابن مفلح مثل بمثال للتصحيف فقال:

والذى يظهر لي أن قوله: ونصه الولي؛ إنما هو ويضمنه الولي، وحصل فيه تصحيف، وهو واضح، وبهذا يستقيم الكلام وينتفي التكرار[٥].

وذكر في دقائق المنهاج مثالا آخر للتصحيف فقال: قول المنهاج ولو وكله بقضاء دين، فقال قضيته، وأنكر المستحق، هكذا صوابه، ووقع في بعض نسخ المحرر وكله في قبض دين فقال قبضته وهو تصحيف من النساخ[٦].

(قلت) وأكثر ما يكون التصحيف في الكلمات المتشابهة كتابة، جاء في حاشية البجيرمي: قوله تصحيف: أي تحريف من سبعة إلى تسعة[٧]. لكن في حواشي الشرواني لم يفرق بينهما فقال: قوله تصحيف: أي تحريف من سبعة إلى تسعة[٨].

في المجموع للنووي قال: روى صفوان بن عسال

المرادي رضي الله عنه قال «كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يأمرنا إذا كنا مسافرين أو سفراً... وقوله «مسافرين أو سفراً» شك من الراوى هل قال مسافرين، أو قال سفراً، وهما بمعنى واحد، ولكن لما شك الراوي أيهما قال، احتاط فتردد، ولم يجزم بأحدهما، وهكذا صوابه سفراً براء منونة، ويكتب بعدها ألف، وربما غلط فيه، فقيل سفري بالياء، وهذا خطأ فاحش، وتصحيف قبيح[٩].

ومثل في البحر الرائق لابن نجيم للتصحيف بتغيير النقاط من الشب إلى الشث فقال: والدباغ على ضربين حقيقي وحكمي فالحقيقي هو أن يدبغ بشيء له قيمة كالشب والقرظ والعفص وقشور الرمان ولحي الشجر والملح وما أشبه ذلك، وضبط بعضهم الشب بالباء الموحدة، وذكر الأزهري أن غيره تصحيف، وضبطه بعضهم بالثاء المثلثة، وهو نبت طيب الرائحة مر الطعم؛ يدبغ به، ذكره الأزهري في الصحاح[١٠].

وقد تصحف الكلمة الواحدة الى كلمات مختلفة مثال ذلك ما جاء في شرح الزرقاني: فكان الرجل إذا بايع يقول لا خلابة: أي معناه الذي يقدر عليه من النطق، ففي مسلم من طريق اسماعيل بن جعفر عن ابن دينار يقول لا خيابة، قال عياض: بالتحتية لأنه كان ألثغ يخرج اللام من غير مخرجها، ولبعضهم لا خنابة بالنون - وهو تصحيف - وفي بعض روايات مسلم لا خذابة بالذال المعجمة اهـ.. وفي رواية أبي عمر من طريق نافع قال ابن عمر: فسمعته يقول إذا باع: لا خذابة لا خذابة[١١].

وجاء التصحيف في كلمة البر (الحنطة) إلى كلمة البز (القماش) ففي فتح الباري قوله: باب التجارة في البر وغيره.. واختلف في ضبط البز، فالأكثر على أنه بالزاى، وليس في الحديث ما يدل عليه بخصوصه بل بطريق عموم المكاسب المباحة، وصوب ابن عساكر أنه بالراء، وهو أليق بمؤاخاة الترجمة التى بعد هذه بباب، وهو التجارة في البُر، وكذا ضبطها الدمياطي وقرأت بخط القطب فلهذا ما يدل على أنها مضبوطة عند ابن بطال وغيره بضم الموحدة بالراء[١٢].

أما التحريف فيكون بتغيير الكلام عن مواضعه، وتبديله عن مساره، وقلبه عن حقائقه جاء في تفسير ابن كثير: قوله تعالى: {وابتغاء تأويله}[١٣] أي تحريفه على ما يريدون[١٤].

وفي تفسير ابن كثير أيضا وضح هذا التحريف، وأنه ترك ما أمروا به، وارتكاب ما نهوا عنه، فقال {فبما



أ.د. ياسين بن ناصر الخطيب

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به}[١٥] أي فسدت قلوبهم فقست، وصار من سجيتهم تحريف الكلم عن مواضعه، وتركوا الأعمال التى أمروا بها، وارتكبوا ما نهوا عنه[١٦].

وفي مغني المحتاج قال: فإذا ساقاه أكثر من سنة صح، وإن لم يبين حصة كل سنة، فإن فاوت بين السنين، لم يضر، ووقع في الروضة لم يصح، وهو تحريف[١٧].

وعرف التحريف في مغني المحتاج؛ فقال: وأصل التحريف الزوال عن جهة الاستواء[١٨].

لكن في كتاب تحقيق التراث للدكتور عبد الوهاب الفضلي قال: ومن أمثلة التحريف ما يأتي: ضاء، ضاع، ضيف: طيف، صال: جال، راعي: داعي، منابر: مقابر، إلى أكثر من ثلاثين كلمة، وذكر قبل ذلك أمثلة من القرآن الكريم [١٩].. والله اعلم ■

الهوامش :

(١) مادة (صحف).
(٢) ابن حجر في شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ص ٣٢.
(٣) لأن الهمزة إذا كسر ما قبلها خففت الى الياء.
(٤) تفسير ابن كثير ٣٦٠/٣.
(٥) الفروع لابن مفلح ٢٠١/٥.
(٦) دقائق المنهاج ٦٣/١.
(٧) حاشية البجيرمي ج ٤، ص ٢٢٢.
(٨) حواشي الشرواني، ج ٩ ص ١٤٠.
(٩) المجموع للنووي ٥٤٢/١ و ٥٤٤/١.
(١٠) البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم ١٠٥/١.
(١١) شرح الزرقاني ج ٣، ص ٤٣٢.
(١٢) فتح الباري ٣٩٧/٤.
(١٣) آل عمران/ ٧.
(١٤) تفسير ابن كثير ٣٤٦/١.
(١٥) المائدة/ ١٣.
(١٦) تفسير ابن كثير ٣١١/٤.
(١٧) مغني المحتاج للشربيني ٣٢٨/٢.
(١٨) مغني المحتاج للشربيني ٢٢٤/٤.
(١٩) ص ١٩٢.



٩٠ اختلاق كاذب

□ من الناس، من يختلقون أمورا لا حقيقة لها، وتمضي الأيام فلا يكتفون بتصديق الناس لها، بل تكون لديهم كأنها حق واقع، فهم يتحدثون مثلا عن مصيبة لم تحدث، ويتلقون التعازي من الأصدقاء والأهل، ويزداد العجب حين يبكون وتتساقط دموعهم، وكأن مشاعرهم قد تأثرت بحدث واقعي وكنت أعجب لذلك حين تأتيني الأنباء عن أمثال هؤلاء، ولكن أحد أصدقائي قال لي: وفيم العجب؟.

إن الممثل على الشاشة البيضاء يبكي وتتساقط دموعه غزيرة، وهو يمثل دورا لم يقع في الحياة، بل كان من اخترا ع المؤلف، فمن السهل على من توهم شيئا خياليا، أن يتأثر بما توهم فيبكي، وفي قرية من القرى ادعى غريب نزل البلدة انه ابن فلان المتوفى، وكان يذهب الى قبره كل أسبوع مع الزائرين، ويبكي أحرّ بكاء، ثم اعترف بعد أن بلغ من العمر أرذله أن المسألة كانت عبثا، ليجعل له جذورا في القرية فلا يقال إنه غريب! وقد صدق الناس دعواه حين زعم أن والده تزوج بأمه في قرية نائية، وقد ماتت بعد أن فارقها بزمن، ولم تخبره إلا في مرضها الأخير.

(خطابات وهمية):

كان أحد الشباب في مدينة الزقازيق يتلقى أسبوعيا خطابا عاطفيا من فتاة تقيم في عاصمة أخرى فيقرأ الخطاب على ملإ من أصدقائه متأثرا، ويجيب عليه ويعرض الرد على أصدقائه حيث يجلسون دائما في «قهوة المثلث» وهو في غاية النشوة والارتياح، وقال له بعض زملائه إن هذه أسراراً يجب ألا تذاع إذ كيف تكون نبضات القلوب نهباً مشاعا من الأصدقاء، لا سيما وحبيبتك التى تكتب الرسائل متزوجة ولها ولد، واذا كنت تكتم اسمها وبلدتها، فقد يوجد من يعرفها بالقرائن والأدلة، فقال إنى أشعر براحة تامة حين أقرأ رسائلها لكم، وقد احترت في أمرى.

ومكث أكثر من عامين تأتيه الرسائل مكتوبة على الآلة، إذ لا يليق أن تكتب الحبيبة خطابا بخط يدها، إذ قد يقع في يد لا تحفظ السر، فيشيع من أمرها ما ترجو أن يظل في الكتمان، أقول مكث أكثر من عامين، وقد اجتمع لديه أكثر من أربعين رسالة يحفظها وينسقها حسب تواريخها الواردة، ثم جاء في بعض الأحيان متألما، فقال إن رسائلها لم تعد تصل، وأخذ يتأوه كمن فقد كنزا من أثمن الكنوز، وطال عليه الأمد، أو ظن أنه طال، وجاءنا وهو يلطم خده، ويقول أنه سافر حيث تقيم، وعلم أنها ماتت في حريق شب بالمنزل بعد انفجار وابور الغاز، فأخذنا نواسيه ونعزيه وهو يمعن في البكاء.

وبعد أمد غير يسير، عرفنا من أحد أصحاب (الآلات الكاتبة بالزقازيق) أن فلانا هذا كان يأتيه أسبوعيا برسالة غرامية يزعم أنها وصلت إليه، وكان ينفحه مبلغا كبيرا كيلا يذيع السر، ثم يذهب إلى عاصمة مجاورة فيضع الرسالة بالبريد متجهة إليه! فالحبيبة مزعومة مختلقة! أما كيف بكى لموتها؟ وكيف لطم خده فهذا مالا ندريه!؟

(حديث الأستاذ نقولا يوسف) :

الأديب الاسكندري المعروف نقولا يوسف، كان يجلس دائما في كازينو كليوباترة العامر بالزوار في موسم الصيف بالاسكندرية، وأكثر قصصه مستوحاة مما كان يرى ويسمع من أنباء الرواد في هذا الموسم، ومن أطرف ما رواه لي ثم سجله فيما بعد، ولا أدرى أين سجله، فأنا لم أقرأ جميع مؤلفاته! أنّ فتاة حسنة المنظر غالية الثياب، كثيرة الزينة، وفدت الى الكازينو، فكانت قبلة الأنظار، وقد أخذ بعض الحاضرين يتودد إليها، فكانت ترد في احتشام ولا تسمح بالمحادثة إلا في حدود المجاملة اليسيرة، وقد سألنا عنها عامل الكازينو الذى يقدم لها المشروبات، ويظفر وحده بحديثها، فقال إنها ابنة ثرى كبير هو عضو في مجلس الشيوخ، والعضو المنتدب في مجلس ادارة شركة كبرى، ومن ذوى الثراء الذى لا يحدّ.

وفي يوم من الأيام رأيناها تجلس مع شاب وسيم، تظهر عليه دلائل الثروة والجاه، وتبارح الكازينو معه، وتأتى، فعرفنا بديهة أنه أحد أصدقائها في القاهرة، وأن منزلته المادية والاجتماعية، لا تقل عن منزلتها، ولكن بعض الزوار بعد قرابة أسبوعين أخذ يحدّق في هذا الشاب، متحيراً في أمره، لأنه يعرف ساعياً للبريد بمنطقة كرموز مثله تماما فهل يتلاقى الشبيهان إلى هذا الحد، ودفعه الفضول إلى الاستقصاء، فذهب الى كرموز حيث يعمل، وعرف من زملائه أن حاله قد انقلب فجأة منذ ثلاثة أسابيع، إذ باع منزله الذى يمتلكه، وهو من طابق واحد متواضع، واشترى بالثمن بدلتين وحذائين، وأخذ يظهر في مظهر الأثرياء! قال الزائر المتربص، ولم أطق صبرا على استغفاله هذه الفتاة الراقية، فأسرعت إليه في مجلسه العاطفى، وقلت: إنك لم توزع البريد منذ يومين، وإن الإدارة ستسألك، ففوجىء بما لم يتوقع، ونادى صاحبته فخرجا من المكان!

وعلمت - بعد يومين - أنه أخذ يعتذر لها، وقال انه وقع في حبها فباع منزله، ليحظى بالجلوس معها، وقد كذب حين ادعى أنه نجل ثري كبير، ولابد أن ينصرف بعد ان افتضح أمره، إذ كان لا يبغى غير التشرف بالجلوس، أما وعد الزواج الذى ارتبطت به معه، فهى الآن في حلّ منه!.

ثم حدث ما لم يكن متوقعا، فإن الفتاة اللامعة، قالت له: أنا متمسكة بهذا الوعد، ويكفى أن تكون قد بعت المنزل من أجلي، وأنا مثلك تماما، لست ابنة عضو في مجلس الشيوخ، وعضو منتدب في شركة كبرى، فأنا «خياطة» أقيم في حى شبرا، وقد قيل لي إن اصطياد الأثرياء سهل في موسم الصيف، فحرصت على أن أظهر بمثل هذا المظهر، أما وقد انكشفت الأمور فقد أحببتك، وأنا طوع أمرك، فقال لها: وما العمل؟ وقد فقدت منزلى! قالت : اجتهد في النقل إلى القاهرة، وتسكن معى!.

(الحياة الغاربة) :

والحياة الغاربة تكون بعد انتهاء عهد الوظيفة، والاتكال الى المعاش حتى يحين قدر الله سبحانه، وكان أحد هؤلاء الذين قضوا الحياة دون زواج، قد بلغ الساحل وهو وحيد، وأخذ يعرض حياته الماضية فعرف أن الذنب ذنبه، وأن والدته، قد عرضت عليه وهو في مقتبل العمر فتيات كثيرات، منهن الجميلات، وبنات الحلال من الأسر الطيبات، وهو موظف حكومي يطمع هؤلاء في مثله، ولكنه أبى إلا أن تكون الزوجة ابنة موظف مرموق يساعده على الرقى السريع، أو ابنة ثرى مقتدر، له العقار والأطيان ليستريح إلى ما سيصيبه من الميراث! ومثل هذين لا يرغبان إلا في النظراء والأمثال، وهذا ما يتعذر على مثله ولكنه أصرَّ على الموقف، وبكل إباء.

وتقدمت السنون به حتى بلغ الخمسين، فأخذ يرجع إلى بنات الأسر التى رحبت به من قبل، وقد نشأ فيها من بلغت سن الزواج من الشابات الجميلات، فأعرضت عنه في إباء، وقالت لابد أن يبحث عن امرأة أرملة في سنه لترضى به، فازداد ألما، وأصر على الامتناع إلا أن يبلغ فتاه من الآنسات الجميلات!.

ثم أحيل الى المعاش، وكان وحيدا بعد أن ماتت أمه، فلمس من الناس ازورارا حيث كان لا يزوره أحد إلا في المناسبات البعيدة، وعزّ عليه أن يبقى بالبلدة مهجورا، هكذا، فاختار أن ينزح إلى عاصمة كان يعمل بها من قبل عدة أعوام، وعَرَفه من عَرَفه من الناس، وسألوا عن حاله بعد الانتقال، فقص عليهم أنه تزوج وأن زوجته قد ماتت في الولادة العسيرة، وقد أقسم ألا يتزوج بعدها، وهذا خطؤه لأنه الآن في حاجة الى زوجة والى أولاد بل الى أحفاد.

وكان يخرج من جيبه صورة لزوجة جميلة في زي الزفاف وقد وقف بجوارها، ويعرض الصورة على الزوار من معارف الزمن الماضي باكيا منتحبا، والحقيقة أنه رأى صورة جميلة لعروس تقف مع عريسها، فحملها إلى مصور ناشىء وطلب منه أن يقف جوارها - مع فارق السن - ويأخذ الصورة جامعة لهما، ورضي المصوّر نظرا للأجر السخي فكانت هذه الصورة عزاءه! ولا أدرى هل سمحت الأيام بمن يكشف هذا التزوير أو أن المسألة مرت بسلام!.

(القصة الأخيرة) :

أما القصة التالية فأمريكية قرأتها معرّبة، وقال كاتبها إنها قصة واقعية لم يزد عن أن نقلها كما سمعها ممن شاهدها رأى العيان.

كانت الفتاة التى تنزل الفندق جميلة جذابة، وكانت تلبس ثوب الحداد سوادا في سواد بحيث لا يظهر إلا وجهها الأبيض الجميل تحت شعرها الأسود اللماع، وهى صغيرة لم تعد العشرين، وكانت تخرج وحدها إلى الحديقة المجاورة مطرقة كاسفة دون أن يصحبها أحد، وقد تعمد أحد المقيمين بالفندق أن يجلس جوارها على المائدة أثناء تناول الطعام، وكان ذا ثراء وجاه، يتحدث عنه عارفوه باهتمام وتقدير، وقد سمعت الكثير عنه دون أن تشترك في الحديث، ثم بدأ فسألها في لطف: أرجو الا تكون الآنسة قد أصيبت بمكروه، فقالت في لهجة حزينة: لقد انتزع منى أعز إنسان لدّى إنه خطيبى، ولا أريد أن أحملك همومى، فابتسم متلطفا: وقال لا تقولى مثل هذا، أنا أحب أن أشاركك كل همومك، وأنا أتابعك في اهتمام!

فقالت يا سيدى أنا أعلم أن هذا عطف منك، ولكن الحزن يشملنى وحدى، فقال متعجلا، حرام أن تلزمى الصمت، وأن تعيشى وحيده وأنا أرحب أن أكون رفيقك في الجلوس بالحديقة حين تذهبين وحدك! وأكون أنا تحت رعايتك، ودار نقاش هادىء انتهى الى الموافقة.

وحين جلسا معاً في الحديقه أخذت تفيض في الحديث عن خطيبها الفقيد، وكيف عقد النية على الزواج في الربيع القادم وكانت له أملاك واسعة في إيطاليا واسمه الكونت (كذا) ولم أر أنبل منه في حياتى، ولكنه وقع في مشاجرة مع بعض الخصوم فتبارزا وانتصر، ورجع إلى حيث يتربص به أجله إذ غرق به جندول ببعض البحيرات! فجعل صاحبها يتألم لحالها، ويقول سأشاركك مصابك من الآن، وسأظل صديقك، فلا تقولى: إنى وحيدة فمسحت طرفها بيدها تغسل ما ترقرق من الدموع، ثم فتحت حقيبتها، وقدمت له صورة في حرز مخملى جميل، وقالت: انه هو!! كم كان جميلا! فنظر صاحبها الى الصورة وابتسم، وقال رحمه الله، تستحقين أن تحزنى عليه! ألا يمكن أن أكون ظلا له..؟! فسكتت.

ومضت الأيام، وأعلنت الخطبة والزفاف، ثم كانت تستأذنه في أن تذهب الى بلدتها القريبة أياما لتزور أهلها ثم تستسمحه أن تزور أهل الفقيد فهم يعتبرونها بعض الأسرة، فكان يسمح ويترك لها أن ترحل كما تشاء، فلابد للزوجين من فترات انقطاع، يشتعل أثناءها الحب وتتجدد الأشواق عند اللقاء.

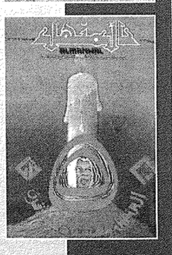
وجاءت ذات مرة حزينة تتمارض، وأخذ الزوج يرفه عنها ما استطاع، ودار الحديث عن الراحل العزيز فقالت إنه زارها في الحلم أياما متوالية، وأنها مكتئبة من أجله، وأخرجت الصورة من الحقيبة وجعلت تقبلها، فلم يملك الزوج أن يقول مبتسما: لقد سكتّ عن هذه الكذبة منذ اللقاء الأول، إن الصورة يا سيدتى لصديقى فلان وكانت معروضة بمحل (كذا) وعلمتُ أنك اشتريتيها بتحرياتى الخاصة، والمحل موجود، أنذهب إليه معاً.

هنا سقطت على كتفه باكية، وقالت: كذبة عشقتها، وكانت السبب في حبك إياى! فضمها الى صدره وقال: ليس للكذب عمر طويل، فليرحل منذ الآن ■

للقديم روعته







أسطر في الفن والإبداع والكلمة المنتقاه.. نستخرجها من صفحات (المنهل) عبر عقوده الماضية.. نعيد قراءتها معاً.. نستعيد بها إبداع السالفين ممن مضوا.. والباقين ممن احتضنت المنهل أقلامهم.. ما أروع وأبدع وأجمل أن يقلب المرء صفحات ظننها طويت، وكم تكون القراءة الثانية أعمق دهشة من الأولى.



□ أربعة وعشرون عاماً مضت من وفاة العلامة الأستاذ عبد القدوس الأنصاري ـ عليه رحمة الله ورضوانه (١٣٢٤هـ/ ١٤٠٣هـ).

في ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م أسس مجلته المنهل، وظل يحدو مسيرتها ما يقرب من نصف قرن من الزمان، حتى تاريخ وفاته في ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

واعتدنا في مثل هذا الشهر من كل عام إفراد (ملف) عن الأستاذ عبد القدوس الأنصاري ـ عليه رحمة الله تعالى ـ بأقلام محبيه.. والآن رأى بعض محبيه ـ أيضاً ـ أن ننشر في يوم (ذكراه) هذا بعض كتاباته.. واستحسنا ما استحسنه المحبون.

ونبدأ بهذين المقالين: (اذا انهارت المدنية الحديثة) ـ و (جرذان الانسانية).

- المنهل -

في ذكراه :

إذا انهارت المدنية الحاضرة

إن الاسلام اذا نفض غبار التوانى والتقاعس ووحد صفوفه استطاع ان يصمد للعاصفة صمود الصنديد الثابت، فتمر عليه بسلام ويبقى بعدها ثابت الاركان ويحيى حياة القوة والسؤدد.

العالم اليوم يقف علي بركان ثائر من الاضطراب، وتهب على أنحائه زوابع قاسية من الفوضى وعدم الاستقرار، و«تمثال» الحضارة الغربية المسيطرة على الميدان، قد صوبت اليه السهام الفتاكة، وسُدَّتْ عنه وجوه «الامل» في الخلود ـ وابتسام الساحر تبدل وجوما، وشموخه الرهيب انقلب حسوما، ولقد شعر بحراجة الموقف، وأحس بدنو الساعة، وانه ليخشى أن تحطمه هذه العواصف وأن يقتلعه هذا البركان.

واذا فرض انهيار هذا «التمثال» العظيم الهائل، فمن هو يا ترى يتقدم الى الميدان، ليقيم على أنقاضه حضارة «المستقبل» المنشودة، المفعمة بروح النبل والطهر، والتسامح والصفاء، والروعة والخلود؟.

هذا هو سؤال الساعة !!

وللاجابة على هذا السؤال إجابة عملية، لا قولية، أرى أنه يتحتم على الاسلام أن يستعد من الآن، ليكون «فارس» الميدان المجلي، وهذا يكون اذا استيقظ بنوه من غفلتهم، واطرحوا عن كواهلهم أعباء الكسل، والقوا من أدمغتهم أردان الخمول

والتواكل، وإذا عرفوا أن الفرصة سانحة لهم اليوم، للنهضة المجيدة، واذا فطنوا لأن عليهم اهتبال هذه الفرصة، فإضاعتها شعار التدهور والغفلة الشائنة، وما كل حين تواتى الفرص، وما على الاسلام أن يتجرع كل حين مرير الغصص، وأنا زعيم بأن الاسلام اذا نفض عنه غبار التوانى والتقاعس واذا وحد صفوفه، استطاع - والحالة هذه - ان يصمد للعاصفة، صمود الصنديد الثابت، فتمر عليه بسلام، ويبقى بعدها ثابت الاركان، ويحيى حياة القوة والسؤدد، وأنا كفيل بأنا اذا وزنا الموقف العالمى الحاضر بميزان الدقة والنظر الثاقب آثار منا هذا الصنيع عوامل التحفز لنبث ما أقبره الهادمان: الجهل والجمود، من تراث مدنية الاسلام، وأنَّا إذا نقبنا عن هذا التراث القيم واعملنا مطايا العزم الحديدى في التهام ما أثلته هذه الحضارة الغربية القائمة اليوم قبل انهيارها من فنون ميكانيكية مستغربة، وصناعات كهربائية مدهشة، نتلقفها عنهم تلقف الجوعان المشغوف، مستعينين في سيرنا الحثيث بوثبات الجد والطموح والاقدام والشغف والاهتمام التام.

اذا فعلنا ذلك كله فسرعان ما نتملك أزمَّة الصناعة الحديثة، وسرعان ما نستولى على «مفتاح» العلم الصناعى وسرعان ما نكتشف «سر» العلم الفنى، واذا تملكنا كل هذا، واستمددنا في تقدمنا المنشود من النورين: نور علمنا القديم «المختفى»، وهذا النور الجديد الذى أوشك أن «ينطفى».

هناك نستطيع أن نكون بحق مشيدى بروح الحضارة القادمة وهناك نتمكن من أن نصبح سادة العالم الهادين، وقادته الراشدين، كما كان اسلافنا الاماجد، بناة الحضارة الاسلامية الزاهية وفي طليعة موكبهم المهيب الزاهر منقذ سفينة «البشرية» من تعاريج الضلال، ومهاوى الانحطاط «سيدنا محمد» بن عبد الله {صلى الله عليه وسلم} ، ومن ورائه أسود الاسلام وسيوفه، ونجومه ومصابيحه يتقدمهم العمران والخالدان[١] والسّعدان[٢] ، ومن جاء بعدهم من الفاتحين البواسل كموسى بن نصير، وطارق بن زياد، بطلي الاندلس، وكالمنصور بن أبى عامر وعبد الرحمن الغافقى، بطلي الارض الكبيرة[٣]، وكصلاح الدين الايوبى والمعتصم العباسي، بطلي الشرق الادنى؛ وسوى هؤلاء الفاتحين من رجال «الفتوحات» العلمية كجابر بن حيان والبيرونى؛ وابن سينا والفارابى،، وابن حوقل والبلخى وابن بطوطة وابن خلدون، وابن ماجد وابن فرناس وغيرهم من رافعى علم الحضارة الاسلامية من كل ندب همام، اوقف نفسه، وارخص نفيسه في سبيل رفع منار ملته، ففاز بالحسنيين، وكان من الخالدين ■

[رمضان ١٣٥٦هـ / نوفمبر ١٩٣٧م]

ص ص ٣ - ٥

الهوامش :

(١) نعني بهما خالد بن الوليد وعمرو بن العاص تغليبا.
(٢) نعني بهما سعد بن أبي وقاص والمثنى بن حارثة الشيباني تغليبا.
(٣) الأرض الكبيرة، هو الاسم الذى كان يطلقه العرب على أوروبا.

جـــرذان الانســـــانيـــــة

□ هؤلاء اليهود «جرذان» الانسانية ، ليس لهم هم إلا أن يعبثوا في الأرض فساداً، كما تعبث الجرذان فساداً سواء بسواء.

وفي غريزة الجرذ، السعى الحثيث في نشر الأوبئة الفتاكة بدون موجب وبث سموم الامراض الوبيلة بدون سبب، اللهم إلا حب الفساد للفساد، وحب الايذاء لمجرد الايذاء.

وفي طبيعة اليهودى السعى الحثيث لنشر الفتن بين الناس، وتأريث العداوات واضرام نيران الإحن، وبث المبادىء الهدامة في أرجاء العالم، لمجرد الانتقام ولسوء النية وخراب الضمير.

وسيادة اسرائيل في جزء من فلسطين ـ مهما ضاقت شقته ـ معناه الصارخ ايجاد «بؤرة جراثيم رسمية» لتقويض ما بلغت اليه الانسانية في شتى مراحلها من سمو واصلاح وخير وحضارة.. ذلك لأن اليهود شرذمة موتورة من سائر أجناس البشر، لا تختص بعداوتها العميقة، المسلمين دون النصارى، ولا العرب دون العجم، ولا يسلطون نيران ذحولهم المتأججة على شعب دون آخر.. الجميع في انظارهم أعداء وعليهم ـ كما يوحي اليهم منطقهم الملتوي ـ أن يقضوا عليهم بالتدريج ليخلو لهم الجو.. هذا عدو صديق حتى يمتصوا منه ما فيه زاد لبلوغ مرادهم.. وهذا عدو مظاهر يحاولون طرحه أرضا بعدوهم الصديق.. وهكذا دواليك.

ولماذا لا يعتنق الشعب اليهودى هذه الفلسفة المجرمة ازاء البشرية عامة أليست قد اضطهدتهم جمعاء، وسامتهم صنوف العذاب والهوان في مختلف الحقب والبقاع؟.

وحقيقة لقد وفق الله العرب للخير والهدى، وانقذ بهم الانسانية، حينما اتحدت جهودهم السياسية والحربية، لاقتلاع «شجرة الشر الخبيثة» من «الأرض الطيبة».. فعلى الانسانية أن تعترف لمنقذيها العرب بهذا الجميل الخالد ما كرّ الجديدان..

وبعد.. فلا يأمن العرب هذه الحية الرقطاء الغدارة المندسة منذ نحو نصف قرن في تلال فلسطين وفي أغوارها وسهولها، فهذه الحية لا قطرة لديها من وفاء، وكل عقد أو عهد معها مصيره الى الانحلال السريع، والزوال المريع، وما على العرب وقد هبوا، لتمزيق أوصال جسمها النتن، الا أن يعملوا بقول شاعرهم الحكيم:

لا تقطعن ذنب الأفعى وتتركها
إن رُمْت نجحا فاتبع رأسها الذنبا

(شعبان ١٣٦٧هـ/ يونيو ١٩٤٨م)

ص ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨

من مـــآثر العــــقــــاد

(العقاد يحترم الحجازيين) .. تحت هذا العنوان الداخلى سجل الاستاذ العلامة أحمدعبد الغفور عطار - عليه رحمة الله تعالى - مأثرة من مآثر العقاد - عليه رحمة الله تعالى - وذلك في مقاله المعنون (مع العقاد) المنشور في مجلة المنهل في عدد ربيع الأول ١٣٩١هـ ص ٢٩٥.

يقول العطار :

العقاد يحترم الحجازيين ويحبهم، يحسن الى محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم، وبخاصة أهل مكة والمدينة حرسهما الله وحرسهم، ويجل آل البيت كل الاجلال.

فذات مرة ذهب الاستاذ ابراهيم فلالى الى سكن العقاد يزوره بدون موعد، ودق الفلالى الجرس فخرج له العقاد وسأله عن مقصده، فذكر له انه من المعجبين به، ودفعه حبه اياه الى زيارته.

فغضب العقاد وقال له : انك واحد من آلاف يعجبون بالعقاد، فاذا أراد كل منهم أن يعمل عملك فمتى يقرأ العقاد؟ ومتى يكتب؟ ومتى ينام ؟ ومتي يستريح ؟ لو اعطيت كل معجب بى دقيقة لذهب كل وقتى ولم تبق لى منه دقيقة، اسمع، انني لا أقابل أى احد مهما كان بدون موعد سابق، الا يوم الجمعة فبابى مفتوح لكل زائر.

فاعتذر السيد الفلالى، وذكر له انه من أبناء مكة، وأنه من آل البيت، وانه يجهل أن المقابلة لا تتم إلا بموعد.

وما كان العقاد يعلم ان الفلالى من آل البيت ومن أهل مكة حتى اعتذر له ورحب به، وكرمه.

وذات مرة كنت أنا والاستاذ عبد القدوس الأنصارى في زيارة العقاد يوم جمعة، وكانت ندوته حافلة، وثار جدل بين العقاد والأنصاري وكان العنف في اسلوب الأستاذ الأنصارى، واللين واللطف في أسلوب الأستاذ العقاد.

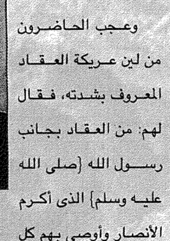
وعجب الحاضرون من لين عريكة العقاد المعروف بشدته، فقال لهم: من العقاد بجانب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذى أكرم الأنصار وأوصى بهم كل خير؟ اذا كان رسول الله خير الخلق يكرمهم، أفلا يكرمهم العقاد ؟ وهل بلغ العقاد من سوء الأدب حتى لا يحترم أنصاريا لعلمه وفضله وجواره لرسول الله؟ ■



العقاد



أحمد عبدالغفور عطار

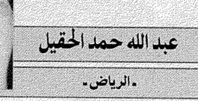




ابراهيم فلالي



الجامعة وتنمية البحث العلمي



عبد الله حمد الحقيل

ـ الرياض ـ

□ غني عن القول أن الجامعة لها ثلاثة أهداف رئيسية أول هذه الأهداف التدريس، أما الهدف الثاني فهو البحث العلمي، والهدف الثالث خدمة المجتمع والتواصل معه والإسهام في نموه وتطوره.. ولابد من التوازن بين هذه الأهداف والغايات حتى تحتل الجامعة مكان الصدارة وتتبوأ المنزلة اللائقة بها كمركز للإبداع والإنماء العلمي والثقافي في المجتمع وإعداد رواد القلم والفكر والبحث والمعرفة وتكوين البنية التربوية والتقدم العلمي.. ولا يماري أحد في ما بلغته جامعتنا اليوم من مكانة مرموقة حيث تضم كفاءات عالية وتجمع نخبة ممتازة من أبناء هذا البلد مما يبشر بخير ويدعو إلى التفاؤل والأمل في أن يقوم التواصل بين الجامعة والمجتمع، إذ الجامعة هي المنهل الصافي وقلعة من قلاع المعرفة وقاعدة أصيلة تحظى بالثقة والتطلع وتخص قضايا المجتمع باهتمامها وعنايتها وتلبية حاجات البلاد بالمتخصصين تحقيقا لرسالتها السامية.

وللجامعات رسالة عظيمة.. ودور حيوي كبير في تنشيط البحث العلمي في مختلف فروعه وجوانبه ولقد أخذت بعض جامعاتنا تسير على الطريق بعزم قوي وبخطى ثابتة وطموح وثاب، وذلك مصدر سعادة واعتزاز ومازلنا نأمل المزيد من العطاء والإنتاج في ميادين البحث العلمي ومجالات المعرفة لتصبح هذه الجامعات منارات علم وفكر وصروح معرفة وبحث، فهي صاحبة خصائص قلَّ ان تتوفر في غيرها خصوصا بعد أن توافرت لها الامكانات والمقومات وظروف العطاء والإنتاج والإبداع، وبذلك تكون ذات اثر في بناء المجتمع ومساهمة في رفعة وعلو شأنه مما يجعلها موضع الإعجاب والاحترام وان تعيد لهذه البلاد مكانتها العلمية المجيدة حيث انطلقت من جوانبها أنوار الهدى والعرفان وحفلت بمفاخرها ومآثرها الأسفار وتفجرت منها ينابيع الأدب والفكر والشعر والمعرفة.

إن الجامعات هي المعين الثر والصرح العلمي الشامخ والمصدر الفكري والإشعاع الثقافي لشتى المعطيات والفضائل الخلقية والعلمية فهي عامل قوي وأساس حيوي في تطوير المعرفة بمعناها المتكامل.

إن الكثير من الجامعات في شتى البلدان تتفاعل مع مجتمعها وبيئتها علما وبحثا ولها دور ريادي وفاعل ومؤثر في مختلف جوانب المعرفة ومعالجة الكثير من المشكلات وإبداء المشورات العلمية في مختلف الأمور التعليمية والصحية والزراعية والاجتماعية وغير ذلك مما يحقق الفائدة للمجتمع حيث أن لديها التخصصات المختلفة والكفاءات العلمية ومراكز البحث والمعلومات.

إن بلادنا تقطع أشواطا في طريق الرقي والنهضة والتقدم في شتى المجالات وتطمح من الجامعات إلى جانب إعدادها رجال الغد أمل الأمة أن تكون على صلة دائمة في متابعة ودراسة مشكلات المجتمع والمشاركة الجادة في البحث العلمي عن طريق عقد الندوات والمحاضرات وإصدار النشرات العلمية والثقافية ونشر الثقافة والوعي والمعرفة بين أفراد المجتمع بحيث تكون صروحا شامخة ومنارات سامقة مضيئة تتفاعل مع قضايا المجتمع وتهدي للخير والصلاح وتضيء جوانب الحياة ودروبها وتبعث على النشاط والطموح والعمل وتحقيق الأمل والتواصل والأهداف السامية.. وبالله التوفيق ■

نشـــرت المنهل فى عـــددها رقم (٦٠١) الربيعان ١٤٢٧هـ .. قصيدة بعنوان (وعلى الكبـــار تطاول الاقـــزام) ص. ٤٦ - ٤٧ منسوبة إلى الشاعر نزار قباني - رحمه الله.

وثبت أن هذه القصـيدة من شـعر الشـاعر السعودى الأستاذ يحيى توفيق حسن، وسبق أن نُشــرت فى ديوانه (صلى عليك الله) الطبـعـة الأولى عـام ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م وبنفس مسمى الديوان.

والمنهل نشرت القصيدة من موقع نزار قباني على الشبكة، وستنشر فى عـددها القـادم توضيحاً من الشـاعر الكبـير يحيى توفيق حسن حول القصيدة.

ولذلك جرى التنويه